

أشهر المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية



A
940.53
A8258a

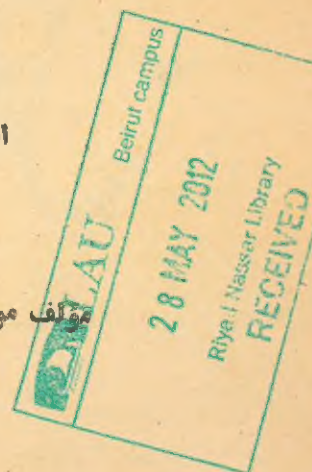
الحرب العالمية الثانية
١٩٤٥ - ١٩٣٩

أشهر المعارك الجاسمة في الحرب العالمية الثانية

أشرف على اختيارها وإصدارها

عمر أبو النصر

مؤلف موسوعة الحرب العالمية الأولى والثانية



(تصدر عن مكتب « عمر أبو النصر » للتأليف والترجمة والصحافة)
بناية درويش - شارع سورية - بيروت

970992 HIG
GIF 266026



هتلر

كلمة المؤلف

في الطبعة الثانية لكتابي عن الحرب العالمية الثانية كتبت في مقدمته ما يلي :

« الى القارئ الكريم

« لقد طوّقت بك الدنيا يوم كتبت لك تاريخ (الحرب العالمية الاولى) لعشرين سنة خلت بعد انتهائها ..

ومن حقا ان تعلم ان الطبعة الاولى من هذه المجموعة قد نفذت منذ سنوات عديدة بعد ان بيع ما يقارب المليون نسخة من اجزائها الواحد والخمسين .

وكان ان اعدنا طبعها بالاتفاق مع المكتب التجاري في بيروت ، وقد نفذت هذه الطبعة ايضا ولم يبق الا عشرات النسخ ..

ثم عدت اطوّف بك العالم فقدمت لك تاريخ الحرب العالمية الثانية بعد عشرين سنة من اندلاعها ، فاقبل عليها القراء كما اقبلوا على الاولى ، ونفذت نسخها ، فاعدنا طبعها بالاتفاق مع المكتب التجاري ايضا فنفذت نسخها ايضا ولا يزال الطلب عليها متواسلا ، فقررت اصدار هذا الكتاب الجديد عن تاريخ الحرب العالمية الثانية ارضاء للقارئ وتلبية للطلبات الكثيرة التي وصلتني من بعيد وقريب ..

هذا الكتاب يختلف عما كتبت في الماضي من ناحيتين :
اولهما انه يقدم للقارئ تاريخ الحرب العالمية الثانية بطريقة جديدة،
فلا يهمل حادثا ولا شأنا كبيرا ، بل انه يتبسط في الحوادث المهمة والمعارك

الحاسمة ويصف لك تأثيرها واثرها ، في سير الحرب ، وكيف انها قلبت الامور ونقلت النصر من فئة الى اخرى لتكون خاتمة المطاف وفصل الخطاب ..

واذا فانت في سبيلك لقراءة كتاب جديد عن الحرب الماضية ، ولطالعة اهم احداثها وفصولها الرهيبة التي خلقت الدنيا الحاضرة ، ومشاكلها التي لا تنتهي .

ولقد قسمت هذا الكتاب الى قسمين : القسم الاول ضمنته قصة الحرب العالمية الثانية ، كتبه مؤرخ مشهور هو الاستاذ فيشر استاذ التاريخ في جامعة اكسفورد ..

واما القسم الثاني فقد خصصته للمعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية ، وما كان من اثرها في تطور الحرب واتساعها وتوقدها ، واشتدادها ، مما اكتفينا في القسم الاول بالاشارة اليه دون الشرح والتفصيل ...

ان هناك من المؤرخين من يدرسون في الحرب معاركها الحاسمة .. ويؤرخون للقواد الذين شاركوا في هذه المعارك الحاسمة وكانت خططهم كلمة الفصل فيها ...

وهناك غيرهم يروون قصة الحرب في نسق رتيب علمي لا يهز القارئ ولا يثيره ..

واما نحن فقد ذهبنا في هذا الكتاب مذهبا وسطا ، وجمعنا بين المدهيين ، فان لم يتسع هذا كله في كتاب واحد ، اتبعناه بشأن ، وللقارئ القول الفصل ان ساعد وايد وشجع ..

عمر ابو اليسر

- ١ -

اسباب الحرب العالمية الثانية

بقلم الاستاذ : هـ . ١٠ ل فيشر
المؤرخ الانكليزي الشهير
واستاذ التاريخ في جامعة اكسفورد

التوتر الدولي

لا يعدو المرء الحقيقة حين يقول ان جميع الاحداث السياسية الهامة ذات الصبغة الدولية التي حدثت خلال الفترة التي توسطت الحربين العالميتين (١٩١٩ - ١٩٣٩) ... هذه الاحداث جميعها تقريبا كانت نتيجة مباشرة او غير مباشرة للتسويات العامة التي ابرمت بين الحلفاء واعدائهم عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى . ولقد كان كثير من بقاع العالم ابان هذه الحقبة يفتي في مرجل من الحسد والقلق والبغضاء والتناوب والاضطراب لما اثارته معاهدات فرساي ، وسان جرمان ، ونويي ، و تريانون ، وسيفر ، من الحنق وخيبة الامل وغمرة اليأس واسباب الانقسام والتفكك .

ولم يكن تقويض دعائم الامن الجماعي مباغتة او غير متوقع . فقد استمرت عملية التفكك والتداعي طيلة هذه الفترة دون ان تبلل الدول الكبرى سوى محاولات ضئيلة مصطنعة لوقف تلك العملية .

واخذت القوة في العقد الرابع من هذا القرن تصبح الفيصل الاكبر

في تسوية الشؤون والمنازعات الدولية ، وزاد التسلح تدريجيا في جميع اقطار أوروبا ، وظهرت عصبة الأمم عاجزة عن فرض سلطانها على الدول الكبرى المعتدية ، واعترف أعضاؤها بأن العقوبات الادبية هي أقصى ما يستطيعون اللجوء اليه ، من وسائل الضغط والقهر على الدول التي تخرق العصبة ، ولا تحترم قراراتها . واخذ الجو السياسي يتلبد بالفيوم وينذر بالبروق والرعود ، وانتهكت حرمة المعاهدات ومبادئ القانون الدولي دون حياء أو رادع ، وما غزو اليابان لمقاطعة منشوريا ، وفتوح ايطاليا لبلاد الحبشة ، الا مثلال لما كان يجري في ذلك العقد من الزمان .

ومضت دول المحور (المانيا وايطاليا واليابان) قدما توحد قواها وتضم صفوفها وتنظم هيئاتها . واخذت المانيا وايطاليا واليابان تتقارب تدريجيا فيما بينها ، ساعية الى الظفر ببعض الاسلاب التي رنت بأعينها اليها ، شاعرة بأن النسويات الماضية قد حرمتها هذه الفنائم والاطاييب التي راحت تنعم بها وحدها الدول الديمقراطية . ولاح لهذه الدول انه يمكنها ان تظهر بما تشتهي بالتلويح بالقوة او باستخدامها .

وبدت لها الدول الديمقراطية شعوبا قد هرمت وحل بها ضعف الشيخوخة ، ولاحت لعينها النظم الديمقراطية بطيئة في انجاز الاصلاحات الداخلية ، عقيمة في الوصول الى قرارات حاسمة .

كما وعد حكام المانيا وايطاليا بني قومهم بانهم سيجدون العلاج الناجح لمشكلاتهم الداخلية ، والحلول الشريفة العاجلة لمعضلاتهم الخارجية ، وانهم سيعملون على اقامة نظام جديد للعالم ، توزع بمقتضاه المستعمرات والمواد الخام والموارد الطبيعية بالمساواة والقسطاس بين الأمم ، وان بلادهم ستجد العزة والكرامة والرخاء والنظام اذا ما التفت حولهم وانضوت تحت اعلامهم .

ولقد لقيت هذه الدعاية قلوبا واعية لدى تلك الشعوب نتيجة لتنظيم هذه الدعاية على نحو فريد ونطاق رحيب ، وظهرت الانظمة الدكتاتورية درجة عالية من الكفاية والمقدرة والسرعة في انجاز الاعمال ، والقضاء على اسباب الاضطراب الداخلي والضرب في شدة على ايدي المعارضين .

اما الدول الديمقراطية الكبرى فقد اصررت حتى اللحظة الاخيرة على اغماض عينها عن رؤية الخطر الداهم الذي يهدد سلامتها . فواصلت الولايات المتحدة سياسة العزلة وابت ان تحمل على عاتقها اية مسؤولية لكفالة السلام العام . واستنامت انكلترا الى صولة اسطولها ورفعة مقامها ،

ودهاء سياستها ، فلم تبدل جهدا جديا حاسما لوقف الدول المحرومة كايطاليا واليابان ، او الدول التي احست بعار الهزيمة وذل التسليم كالمانيا - لكف يدها عن البطش والعدوان . وبدأت انكلترا مع فرنسا في الاعوام القليلة التي سبقت الحرب العالمية الثانية سياسة عرفت بسياسة « التهدة » ، تميزت بالخمول الذهني ، والتراخي الادبي والجبن السياسي .

غزو اليابان الاراضي الصينية

وكانت اليابان الدولة الجماعية الاولى التي شعرت بانها من القوة بحيث تستطيع ان تضرب في سرعة ماضية وقوة قاهرة ضربة كبرى في سبيل التوسع والسلطان . وكانت تتميز جنقا من القيود التي فرضتها عليها سياسة الباب المفتوح في الصين ، ومعاهدة الدول التسع ، واغرى اليابان على اختيار الصين مسرحا لتدخلها وفرض نفوذها ، ما بدت عليه الجمهورية الصينية من ضعف شديد وانقسامات خطيرة بين زعمائها ، واشتعال حروب اهلية محتدمة الاوار بين كبار قوادها ، مما انهك قواها ، واهلك فيها الحرث والنسل . فخالتها اليابان فريسة سهلة المنال ، ومجالا فسيحا لتحقيق اهدافها السياسية واطماعها الاستعمارية .

وكانت مقاطعة منشوريا ذات اهمية عظمى لليابان من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية . وخشيت ان تقع هذه الولاية تحت النفوذ الشيوعي ، الامر الذي يهدد تهديدا خطيرا مصالحها الاقتصادية الكبيرة في تلك الجهات . وكان يحكم منشوريا قطب شبه مستقل من الاقطاب العسكريين الصينيين كانت تشبه اليابان في ميوله القوية نحو الصين ، وصادقته مع السوفييت . .

واتفق ان كان يسيطر في مطلع العقد الرابع فريق متطرف من الحزب العسكري على الحكومة اليابانية ويسير دفة شؤونها . وحدث ان انفجرت على خط سكة حديد منشوريا الجنوبية قبلة اطاحت بارواح عدد من اليابانيين ، كما اغتيل عدد آخر من اليابانيين الساكنين ببعض القرى الصينية ، واعتدي على املاكهم . فاغتنم الجنرال هاياشي هذه الفرصة ، وزحف في ١٨ ايلول سنة ١٩٣١ بقواته اليابانية من كوريا الى منشوريا ، وتم له فتحها في غير عناء كبير .

ويعد كثير من المؤرخين المدققين هذا الحادث الذي يعرف « بحادث منشوريا » - يعدونه بدءا للحرب العالمية الثانية - . .

واقام اليابانيون حكومة خاضعة لهم في تلك المقاطعة ، وفي ١٥ ايلول ١٩٣٢ اعلنوا منشوريا دولة مستقلة باسم مملكة « منشوكو » واجلسوا على عرشها بويي امبراطور الصين السابق ، وعملوا على اقصاء كل نفوذ للجمهورية الصينية عن تلك الدولة .

ورغم ان هذا الغزو كان انتهاكا لعهد عصبة الامم ، وخرقا لميثاق كيلوج ، اللذين كانت اليابان احدي الدول الموقعة عليهما ، والملزمة باحترام احكامهما ، فقد وقفت عصبة الامم موقف العاجز عن منع هذا العدوان ، او اجبار المعتدي على رد غنيمته ، وحماية سلامة اراضي الصين بوصفها احدي الدول الاعضاء بها ، وذلك وفق المادة العاشرة من عهد العصبة .

ولكي تغطي العصبة عجزها ، عينت لجنة برئاسة لورد ليتن لبحث الحالة في منشوريا . وقد قدمت هذه اللجنة تقريراً عرض على الجمعية العمومية للعصبة في ٢٤ شباط سنة ١٩٣٣ ، واوصت فيه بجعل منشوكو ولاية تتمتع باستقلال ذاتي تحت سيادة الصين . ولكن اليابان ضربت بهذه التسوية عرض الحائط ، وانسحبت من عضوية عصبة الامم ومضت قدما توضح قبضتها على ذلك الاقليم الرحيب الفني .

وازداد نفوذ الحزب العسكري في اليابان ، واستفحلت شوكته في توجيه دفة البلاد واقدام على اغتيال رئيس الوزراء وعدد من الوزراء الاقطاب المعروفين باعتدال النظرة ، ونشط لتنفيذ برنامج ضخم في الاستعداد الاقتصادي والتسلح الحربي لغزو الصين نفسها .

ووقع في صيف سنة ١٩٣٧ تصادم بين الجنود اليابانيين الذين كانوا يجرون بعض المناورات ، والجنود الصينيين المرافقين على جسر (ماركو بولو) على مقربة من بلدة بيبينغ . ويعرف هذا التصادم « بحادث الصين » . ذلك ان الجيش الياباني قام على اثره (٧ تموز) بالزحف على الاراضي الصينية ، رجاء الاستيلاء على بعض مقاطعات الصين الشمالية ، وبذلك طوّح ببلاده في مغامرة حربية هائلة . لان زعماء اليابان وقادتها العسكريين اخطأوا تقدير مقدرة الصين على الكفاح والجلاد والتصميم القاطع . وكان ان اشتبك القطران الشرقيان في حرب ضروس طويلة ، ما لبثت ان غدت جزءا من الحرب العالمية الثانية .

الحرب الحبشية الإيطالية

شجع تخاذل الدول الديمقراطية امام الغزو الياباني لمقاطعة منشوريا ،

وانتهاجها في غير جدوى سياسة التهذبة ، واخفاق عصبة الامم في محاولاتها تسوية حادث منشوريا بما يعيد الطمأنينة الى الدول الصغيرة . ويكفل سلامتها . . . شجعت هذه العوامل وغيرها (بنيتو موسوليني) دكتاتور ايطاليا على الاقدام دون خشية على النزول في حلبة الفتح والاستعمار ، فامتشق الحسام في وجه دولة صغيرة ضعيفة ، رنت انظار الايطاليين امدا طويلا الى امتلاكها واستغلال مواردها الطبيعية .

وكانت ايطاليا قد اعتزمت في عام ١٩٣٣ الاستيلاء على الحبشة ، رغم ان كلتا الدولتين كانت عضوا بعصبة الامم .

ووعده موسوليني ابناء جلدته ، بانه حينما يجيء عام ١٩٣٥ « ستصبح ايطاليا في مركز يجعل صوتها مسموعا وحقوقها معترفا بها » .

ورأى ان الاوان قد حان لاعادة الامبراطورية الرومانية ذات المجد التليد والسلطان الواسع ، وبدت له الحبشة التي اعترضت الطريق بين المستعمرتين الايطاليتين : ليبيا والصومال ، والتي كان يذاع عنها وفرة مواردها الطبيعية وضعف قوتها الحربية . . . بدت له لقمة سهلة سائفة يمكن ان يبدأ منها تحقيق آماله العريضة واحلامه الضخمة . واستطاع ان يقنع في اوائل سنة ١٩٣٥ (بيير لافال) رئيس الوزارة الفرنسية بالموافقة على هذا الفتح .

ارسل موسوليني قوات ومعدات حربية هائلة ، وزحفت كتائبه في تشرين الاول سنة ١٩٣٥ على تلك البلاد البدوية الضعيفة ، وكانت نتيجة القتال امرا مقروغا منه ، اللهم الا اذا تدخلت عصبة الامم للحيلولة دون هذا العدوان . واستصرخ النجاشي هيللا سيلاسي العصبة بان تمد له يد القوت ، بعد ان تعرضت بلاده لفتك جميع المعدات الحربية لدولة اوروبية من الدرجة الاولى في المصفحات والطائرات والغازات السامة .

وبعد مناقشات طويلة وخطب مملّة ، اعلنت العصبة في تشرين الاول ان ايطاليا دولة معتدية . وقررت في الشهر التالي توقيع « العقوبات » الاقتصادية التي يفرضها عهد العصبة في مثل هذه الحالة على الدول المعتدية فطلبت من الدول الاعضاء ان تمتنع عن مدها بالسلاح والمال ، وفرضت الحصار البحري عليها ، بيد ان ايطاليا كانت تملك من الاسلحة والمواد - ما عدا البترول - ما يكفيها للاجهاز على فريستها . .

ورفضت اغلبيّة الدول الاعضاء ان تدخل في قائمة المواد المحظورة

الحديد والصلب والقصدير وزيت البترول ، الامر الذي جعل من « العقوبات » الاقتصادية مهزلة كبرى ، واضعف الى مدى بعيد نفوذ العصبة الادبي وسلطانها القانوني . هذا في حين انه كان يقصد في الحقيقة من وراء تطبيق المادة السادسة عشرة من عهد العصبة ان يكون قطع العلاقات التجارية والمالية مع الدولة المعتدية خطوة تمهيدية لعمل حربي حاسم تقوم به جميع الدول الاعضاء .

وما وافى شهر آذار سنة ١٩٣٦ حتى كان الايطاليون قد قضوا على كل مقاومة حربية جدية من جانب الحبشة ، ودخلوا اديس ابابا فاتحين ، مما اضطر هيلاسيلاسي على الفرار في اوائل ايار .

وانتشي الدوتشي بخمرة النصر بعد ان تحدى ثلاثا وخمسين دولة ، واعلن في ٩ ايار ضم الحبشة كلها الى ايطاليا ونادى بالملك فكتور عمانويل الثالث امبراطورا على الحبشة . واطهرت بريطانيا وفرنسا ان كلتاهما تؤثر سياسة التهدة الملتوية . وما لبثت العصبة ان اقرت جهازا بعجزها ورفعت العقوبات الاقتصادية عن ايطاليا في منتصف عام ١٩٣٧ .

ما ظهر هتلر (١)

ولقد كان الجو السياسي في البلاد العربية حالكا مدلهما في السنوات التي تقطعت بين ظهور هتلر على المسرح السياسي الدولي وعلان الحرب العالمية الثانية ...

وكانت الحكومات العربية جميعها واقعة اما بصورة مباشرة او غير مباشرة ، تحت نفوذ احدى الدول العظمى ، وكان شباب العرب يحاولون تحرير بلادهم بمختلف الوسائل ، فتارة يثورون ، وطورا يقاطعون ، وتارة ينفلون اسواقهم ومتاجرهم .. ومرة يرفضون التعاون ، ويأخذون بأسباب السلبية الى اقصاها ، وهذه حالة ابعد ما تكون عن الاستقرار ، واقرب ما تكون الى اثاره الخواطر واضطراب النفوس ، وتدمير الراي العام ، وتصعد النظم الحكومية القائمة ...

في هذا الجو المضطرب القلق الجاهم ظهر هتلر ولست اريد البحث عن ظهوره في المانيا ولكني اريد التعليق على ظهوره دوليا سنة ١٩٣٣ بعد ان

(١) بقلم عمر ابوالنمر

اكتسح حزبه جميع المقاعد في الريشتاغ الالمانى ، وبعد ان اصبح الكابورال السابق في الجيش الالمانى البافاري مستشار المانيا وزعيمها الاول ... وتطلع شباب العرب الى هذا الشخص الذي لم يكن شيئا لسنوات خلت ، فاصبح اليوم شيئا مذكورا ، واخذوا يرقبون حركاته ويتبعون خطبه ، ويعدون عليه انفاسه ، فاذا هو يتقدم بعد تسلمه زمام السلطة ، من نصر الى نصر ، واذا هو يهدم كل العراقيل الدولية التي كانت تقف في طريقه ، واذا كل تصريح من تصريحاته يثير دويا عالميا ، واذا كل كلمة من كلماته تحدث هزة سياسية من الطراز الاول ، واذا المانيا وبعد سنوات قليلة من ظهوره تعود الى مركزها في صدر الوجود ...

وحبس العرب انفسهم ، واخذوا يبحثون موقفهم ويرتصدون الايام المقبلة ، وقد ذهب بعضهم الى الظن بانه لا سبيل الى حصولهم على استقلالهم الا ان تختصم الدول الكبرى بعضها مع بعض ، فيخلو لهم الجو ، ويصفو الزمن ، وكانوا يعتقدون الى هذا بانه كلما ازداد الجو السياسي في اوربوا تلبدا ، كلما قرب الامل في الانطلاق والحرية ...

ولم يكن العرب علم الله يريدون استبدال عبودية فرنسية او انكليزية باخرى المانية ، فان هذه الفكرة كانت ابعد ما تكون عن تفكيرهم ، ولكنها سلاح استعمله اعداؤهم لتشويه عطفهم نحو المانيا ، مع ان عطفهم هذا لم يكن يتعدى الرغبة في ان تعود هذه الدولة الى سابق عهدها ، وماضيات ايامها وحرقاتها ، خصوصا وان الالمان لم يتصلوا بالعرب اتصال الحاكم المستعمر وانما اتصلوا بهم اتصال تجارة وثقافة وصناعة .. فلم يكن والحالة هذه بينهم وبين الالمان عداوة او خصومة ...

وكان هذا العطف سببا في ان يتتبع شباب العرب كل حركة من حركات هتلر ، وكل كلمة من كلماته وكان في القموض الذي اضفاه هذا الانسان على نفسه وحياته الخاصة ، سببا قويا في اثاره اهتمام العالم حوله ، فقد كان الناس لا يعلمون عن نشأته الا قليلا ، وكان في نزواته وثوراته ، واضطرابه وقلقه ما يدعو الى مزيد التفكير فيه ، وكانت مفامراته السياسية وانتصاراته فيها وسكوت الدول الكبرى عنه مما يزيد في افتتاح العالم به ، والتعلق بشخصه ...

والواقع اننا امام شخصية غريبة ، خرجت على غير مثال ولا نظام ، وما اكتبه اليوم عنه لم انشره في الكتب الماضية التي اصدرتها عنه والتي كانت السبب في متاعبي العديدة ولست احاول اليوم ان اردد ما قلته عنه

بالامس ، وانما اريد ان اصف بعض نزعاته ونزواته مما لم اعرض له قبلا... لما ظهر هتلر على المسرح الدولي اخذ المتصلون به يضربون اخماسا باسداس كيف يستطيع هذا الجندي السابق ، الذي لم تكن له سابقة في السياسة ولا معرفة في الاصول المتبعة في الاستقبالات الدبلوماسية ، ولا كان ينعم بقسط من المعارف المفروضة فيمن يتزعم مثل مركزه ، ان يستقبل السياسيين ورجال الصناعة ، وكبار رجال المال ، وممثلي الدول العظمى ، وكيف يكون حديثه معهم ، وما يكون جوابه لاسئلتهم ، وقد اجاب هتلر نفسه على هذا السؤال فقال لصديقه من معارفه راحت تحاوره قائلة :

— ما الذي تقوله للسفير الروسي حين تستقبله في حفلة سياسية ؟

فاجابها هتلر قائلا :

— ان هذا امر سهل جدا ... انظر الى عينيه مليا حتى يملكه الاضطراب ثم اقول له : « اوجدت الجو مناسبا في برلين يا صاحب السعادة ؟ » وبينما هو يحاول الجواب على سؤالي ، اكون قد تركته الى ضيف آخر ...

ومن المؤكد ان هذا الجواب يفسر عقلية هتلر كل التفسير ، ولكنه لم يكن الطريقة المفضلة عنده ، فقد كانت لديه طريقة اخرى ، وهو ان يبدأ بالكلام ما استقر زائره في مجلسه ، ولا يدعه يقول شيئا حتى ينتهي من خطابه ، وقد يستغرق حديثه احيانا نصف ساعة او اكثر او اقل ، ثم يصرفه دون ان يسمح له بان يقول شيئا ، فاذا سمح له بكلمة او اكثر قاطعه في اثنائها ، وراح يتحدث بما يريد الاقضاء به كأنما هو وحده ، او كأنه يخطب لنفسه ...

ويؤكد الذين اتصلوا به انه كان كثير الاحتقار للناس ، لا يحترم احدا ، ولا يقدر شخصا ، وان من حوله كانوا عبارة عن آلات مسخرة ، وقد بلغ به الامر قبيل الحرب الثانية ان كان لا يستقبل زائريه في المواعيد المقررة ، ولما حاول الدوق (اوف ويندسور) الاجتماع به اضطره الى الانتظار ساعة كاملة قبل ان يسمح له بالدخول عليه ...

وكان الى هذا وحيدا لا اصداقاء له بالمعنى المعروف من الصداقة ، ولم يكن لاحد دالة عليه ، ولم يكن يسمح لاحد ان يدل عليه ... ولكنه كان محببا الى خدمه وحرسه ، يعطف عليهم ، ولا ينسى ايام ميلادهم ، يعمدهم بالعطف ويتولاهم بالاحسان ، ويذكرهم بالخير ما كان الى ذلك سبيل ...

وكان الى هذا كثير الارق ، لا يعرف النوم المتواصل مدى ساعات الا نادرا ، ولا يأوى الى فراشه في وقت معين ، ولا يشرب الخمرة ، ولا يدخن ، لا يجيد المفاولة ولا يحسن هذه الظاهرة ، وما شاع عن علاقته النسائية قد كذبتة الاخبار الموثوقة ، يكره مطالعة التقارير التي تقدم له ، ويأبى الا ان يظل مكتبه فارغا من الاوراق الرسمية ، ويعتمد كل الاعتماد على رأيه ، وزاد اهتزازة برأيه نجاحه فيما قام به من مفاومات كانت تخالف آراء مستشاريه وقواده ، واذا كان هناك ما يستهويه فهو دراسة خرائط البناء وكل ما يتصل بالعمارة ، والاستماع الى الموسيقى ...

ومن المفروض ان يثير هذا المخلوق الغريب اهتمام الناس والعالم ، ومن المفروض طبعا ان يثير اهتمامي فاكتب عنه ثلاثة كتب في سنة واحدة تقريبا ..

انتصارات هتلر الدبلوماسية

وكان هتلر بالتاكيد يرمي الى اهداف سياسية ثلاثة ، هي : توحيد جميع الشعوب الالمانية في دولة واحدة وسيطرة المانيا على اوروبا الوسطى والطريق الى الشرق الاوسط ، واقامة دولة جماعية كبرى تكون بمثابة حد حاجز دون طغيان الشيوعية على اوروبا .

والحق ان هتلر كان يضرب ضرباته السياسية في حذق وجسارة فائقين جاءه بانتصارات سريعة عاجلة ، وبوآه مركزا من السلطة والتفوذ لم يلفهما عاهل الماني منذ عهد شارل الخامس ، فقد تمكن بسلسلة من المناورات السياسية الباهرة والمفاومات الجريئة ان يسطر سلطانه على دولة المانية حقا ، لا على اشبات من الممالك والمقاطعات والمدن الحرة . والتف السواد الاعظم من الامة الالمانية في حماس بالغ ووطنية مشبوبة يقفون من ورائه صفا مرصوفا ، شعارهم « امة واحدة وحكومة واحدة » ، وزعيم واحد .

ولقد انتهجت كل من فرنسا وانكلترا منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى سياسات متضاربة ، وظهر الخلاف بينهما جليا في مناسبات عديدة . وكان هتلر يعرف ذلك . فاستغل الشقاق بين الدولتين الديمقراطيةين الكبيرتين ابداع استغلال واتبع سياسة ، ظاهرها يدل على المفاومة والشطط ... ولكنها قامت في الواقع على المام حسن بمجريات الامور ، وحذق كبير لافانين السياسة .

وما جاء عام ١٩٣٥ ، حتى شعر انه من القوة واحسن من الثقة بضعف
بريطانيا وفرنسا وتفرق كلمتهما ، بحيث وقف منهما وقفة الواثق بقوته ،
المطمئن الى نتيجة سياسته . ففي كانون الثاني سنة ١٩٣٥ أجرى استفتاء
تحت اشراف عصبة الامم في مقاطعة السار طبقا لمعاهدة فرساي ، جاءت
نتيجته في صالح المانيا ، ذلك ان ٩٠٪ من اصل تلك المقاطعة اعلنوا رغبتهم
في العودة الى احضان الوطن الالماني . .

واعاد هتلر جهازا في آذار سنة ١٩٣٥ نظام التجنيد الاجباري العام ،
وانشأ قوة جوية ، واقام المصانع الكبيرة لانتاج الاسلحة والطائرات الحربية
على نطاق كبير ، رغم مخالفة هذه الامور لاحكام معاهدة فرساي .

ولم تر بريطانيا في هذه الاجراءات ما يثير قلقها ، مما باعد كثيرا بينها
وبين فرنسا . فرأت الاخيرة ان تتجه نحو روسيا ، وسعت الى توثيق
صلاتها السياسية مع الجمهورية السوفياتية . وفي ٢ ايار سنة ١٩٣٥
ابرمت بين الجمهوريتين معاهدة كانت في صميمها تحالفا حرييا ، ولو انها
اتخذت في ظاهرها صيغة ضمان متبادل يدخل في نطاق عهد عصبة الامم .

فرد هتلر على هذه الاتفاقية بزيادة التقرب من انكلترا . وافلح في ان
يعقد معها معاهدة بحرية في حزيران سنة ١٩٣٥ ، وافقت فيها انكلترا على
ان يخرق هتلر احكام معاهدة فرساي الخاصة بتحديد قوة المانيا البحرية
بتحديد صارما ، مقابل اعترافه بتفوق القوات البحرية البريطانية . ورضيت
بان يحدد الاسطول الالماني الذي قرر هتلر بناءه ب ٣٥٪ من مجموع حمولة
الاسطول البريطاني ، وتساهلت تساهلا سخيا في عدد حمولة القواصات
التي يمكن لالمانيا بناؤها . وكان هتلر يرمي من وراء هذه المعاهدة الى فصل
بريطانيا عن دائرة الحلف الفرنسي الروسي ، وبذلك شرعت الدول الأوروبية
العظمى تعيد من جديد تمثيل الالعوبة القديمة للتوازن الدولي على مسرح
السياسة الأوروبية .

وانتهز هتلر فرصة حرج مركز ايطاليا الدولي خلال الحرب الحبشية ،
فايد موسوليني تأييدا قويا في تحديه قرارات العصبة ، واعلانه ازدراءه
شأنها ، وعدم حقله بالتزامات المعاهدات والقانون الدولي اذا ما تعارضت
هذه الالتزامات مع مصالح بلديهما ، فضمن بذلك لنفسه ود زميله الايطالي
واعترافه بالجميل . .

واذرك هتلر ان فرنسا لن تحمل السلاح بمفردها ضد المانيا ، اذا هي
اقدمت على احتلال اراضي الرين واعادة تحصينها . فاعلن في ٧ آذار سنة

١٩٣٦ في خطبة قوية العبارات انه يعتزم تحصين تلك البقعة وكانت منطقة
قد جردت من السلاح وفق معاهدات فرساي .

وفي ليلة ذلك اليوم نفسه دخلت جنوده تلك المنطقة ، ناقضا بذلك
معاهدة (لوكارنو) التي كان قد وعد قبيل ذلك بانه ينوي احترام احكامها
ودافع عن عمله بان المعاهدة الفرنسية - الروسية هي في روحها ونصها
انتهاك لميثاق لوكارنو .

ورغم ان انكلترا اعلنت على لسان وزير خارجيتها في خطبة القاها في
٢٦ آذار سنة ١٩٣٦ بانها لن تتردد في خوض غمار الحرب اذا هاجمت المانيا
فرنسا او بلاده . . . فقد حزر هتلر في حدس صادق ان انكلترا زاهدة في
تأييد فرنسا بالقوة ضد المانيا نتيجة لعدوانه الجديد .

واخذت الآن ايطاليا ومانيا تدنوان سراعا احدهما من الاخرى ، يوحد
بينهما مصالحهما المشتركة ، وضغط خصومهما عليهما . . . وحدث في
صيف سنة ١٩٣٦ حادث جال وثق عرى التفاهم بينهما ، وزادهما تقاربا
واثحادا . ذلك انه اندلعت في اسبانيا في تموز سنة ١٩٣٦ نيران حرب
اهلية تكاد تكون منقطعة النظير في شدة ضراوتها وفتكها وتدميرها .

ولنرجع القهقري قليلا . فلقد كان الشعب الاسباني يشن متوجعا مكتوم
الانفاس من نير ملكية جائرة ودكتاتورية عسكرية طاغية تمثلنا في شخصي
الملك الفونسو الثالث عشر والجنرال (بريمو دي ريفيرا) كبير الوزراء . ومع
ان (دي ريفيرا) كان مقتدرا عفيف اليد ، الا انه لم يستطع ان يكسب حب
مواطنيه . واخيرا استقال في كانون الثاني سنة ١٩٣٠ ، خائب الامل معتل
الصحة . . .

وتمكن الجمهوريون الاسبان من الظفر باغلبية ساحقة في الانتخابات
المحلية التي جرت في نيسان سنة ١٩٣١ . فهدد زعيمهم زامورا
باضرام فتنة عامة ، ان لم ينزل الملك الفونسو على الفور عن العرش . فانخلع
قلب الملك ولاذ بالفرار من البلاد وان لم يتنازل رسميا عن الملك ، بل « اوقف
استعمال سلطاته الملكية » .

فبادر (زامورا) على الاثر الى تأليف حكومة مؤقتة اجرت انتخابات
عامة في حزيران سنة ١٩٣١ جاءت بنتائج مؤيدة للجمهوريين ، واعلن البرلمان
الاسباني في ٩ كانون الاول سنة ١٩٣١ اقامة الجمهورية الاسبانية الثانية ،
وعمل على اقرار تغييرات اقتصادية ودينية شاملة . ولكن بقيت الامور على

حالتها من القلق وعدم الاستقرار . وتعددت الوزارات خلال الاعوام الاربعة التالية . وحاولت كل وزارة ان تفرض سياسة اصلاحية في ملكية الارض ، والحد من نفوذ الكنيسة وتطبيق لون من الاشراف الحكومي على الصناعة ، وان لم يبلغ هذا اللون من الاشراف درجة تأميم المصانع ..

وقابلت العناصر الاسبانية المحافظة هذه الاصلاحات بالسخط . وتفاقم النزاع بينها وبين الطوائف الراديكالية ، وأجري سنة ١٩٣٦ انتخاب عام جاء بأغلبية ضئيلة في صف الحكومة الشعبية فاضطربت على الاثر الفتن وكثرت الاضطرابات . وتشجع « الوطنيون » ، يشد أزهرهم كبحار ضباط الجيش وملاك الارض والكنيسة ، فقاموا بحركة انقلاب لانتزاع الحكم من أيدي الجمهوريين المعتدلين .

وما انقضى زمن قصير حتى وصل صدى هذه الحركات الى بلاد المغرب الاسبانية فشق الجنرال فرانكو الذي كان على رأس القوات الاسبانية المراقبة بها - شق عصا الطاعة على الحكومة في ١٨ تموز . وسرعان ما امتدت لهب هذا التمرد الى اسبانيا نفسها ، فشبت حرب اهلية لا مثيل لها في وحشيتها وويلاتها بين انصار الملكية والكنيسة وملاك الارض واصحاب المهن الحرة من جانب .. والاحرار والاشتراكيين والشيوعيين والفوضيين والوطنيين من اهل مقاطعة الباسك (وكانت حكومة الجمهورية قد وعدتهم بمنح مقاطعتهم الاستقلال الذاتي) من الجانب الآخر .

ورأت المانيا النازية وايطاليا الفاشية ان الفرصة مؤاتية لهما للاحاق الهزيمة بدعاة الاشتراكية ومريدي الديمقراطية .. فأمدتا فرانكو بالرجال والطائرات . وحصل انصار الجمهورية على بعض العون العسكري من روسيا ووقفت الحكومتان البريطانية والفرنسية موقفا غامضا مترددا ، مخافة ان يؤدي تدخلهما الى اتساع شقة هذا الصراع الدموي الهائل ، فيمتد الى أوروبا بأسرها ..

وواصلت الحكومة الجمهورية الاسبانية النضال دون هوادة . غير ان المساعدات الحربية الكبيرة التي قدمتها المانيا وايطاليا للجنرال فرانكو جعلت انتصاره امرا مؤكدا . واضطرت مدريد الى التسليم في ٣٠ آذار سنة ١٩٣٩ بعد حرب مريرة هلك فيها نحو مليون من الانفس ، ودمر الكثير من نفائس اسبانيا وثروتها . واقام فرانكو حكومة ديكتاتورية ما زالت مترتبة في دست الحكم الى اليوم .

هتلر وسياسته العسكرية

ضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا

كان هتلر بطبيعته عدوا لدودا للشيوعية . فاصلى الشيوعيين الالمان حربا قاسية وسلط عليهم عذابا اليما . ورأى في اليابان العسكرية وايطاليا الفاشية حليفين طبيعيتين . فوثق علاقاته السياسية بهما وفي خريف سنة ١٩٣٦ امضت اليابان والمانيا ميثاقا ضد الشيوعية . ثم انضمت ايطاليا الى هذا الميثاق : فقد زار موسوليني في اواخر ايلول سنة ١٩٣٧ المانيا ، حيث اعلن الزعيمان وسط مظاهر الحماس الشديد اقامة محور برلين - روما ، بوصفه تحالفا سياسيا ذا اهمية لا تقدر « لخير أوروبا وحفظ السلام في ربوعها » . وما انقضى زمن طويل حتى افلح هتلر في عقد حلف كييسر معاد للشيوعية ينتظم المانيا واليابان وايطاليا واسبانيا وهنغاريا .. واشعرته محالفاته الجديدة بالامان ، وملأت قواته البحرية الجديدة نفسه بالثقة ، وشجعه تقاعس حكومتي فرنسا وبريطانيا ، وتدهور الروح المعنوية في شعبيهما ، وعزلة الحكومة السوفياتية ... شجعت هذه العوامل كلها على الشروع في تحقيق سياسات كبيرة الاطماع من التوسع الاقليمي . وكان هتلر كبسمارك - يعارض في بدء تسلمه مركزه الرفيع اي توسع استعماري، وكان يرى ان على المانيا ان توجه انظارها صوب الاراضي الواقعة على تخومها الشرقية ، مؤثرا ان يكون هذا التوسع على حساب روسيا فسي اوكرانيا ...

وعني عناية خاصة بأن تكون علاقاته ودية ببريطانيا ، وفاق الى تعزيز المعاهدة البحرية التي عقدها معها سنة ١٩٣٥ . ذلك انه رغم اعتزازه بقوة الريخ الثالث الذي اقامه ، وبطش الجحافل الالمانية التي ابدع تدريبها ، فانه كان يخشى ان يثير غضب تلك الدولة اذا ما تعارضت سياسته مع مصالحها الاستعمارية الكبيرة .

ولكنه اكره في نهاية الامر - كما اكره بسمارك من قبله - تحت ضغط الرأي العام الالمانى ، ان يطرح وراء ظهره السياسة ، وان يطالب بارجاع المستعمرات الالمانية السابقة ، وكان اكثرها قد وقع غنيمة في ايدي بريطانيا عقب الحرب العالمية الاولى . فانطوت هذه المطالبة على اكثر من تلميح لانكثرا بما وصل اليه مركزها الدولي من تدهور نتيجة لضعفها العسكري .

عندئذ عادت الحكومة البريطانية الى سياسة توثيق تحالفها مع فرنسا . بعد ان اشرف هذا التحالف على التداعي والانحيار . وقدم (نفل تشيمبرلين) رئيس الوزارة في ١٧ شباط سنة ١٩٣٧ الى مجلس العموم طلبا برصد اربعمائة مليون جنيه تنفق في سنة واحدة على اعادة تسليح بريطانيا ، على ان يزداد هذا المبلغ الى الف مليون وخمسمائة مليون جنيه تنفق على التسليح في بحر خمسة أعوام .

وفي العام التالي ، اعلن ان انكثرا قد اخذت على عاتقها الدفاع بقوة السلاح لا عن فرنسا وبلجيكا فحسب ، اذا ما وجه ضدها اعتداء خارجي ، بل ان هذا التعهد يمتد الى البرتغال ومستعمراتها والى مصر والعراق ايضا .

وصرح (تشمبرلين) في خطاب آخر القاه في ختام شباط سنة ١٩٣٨ : « بان عصبة الامم ، كما تتألف اليوم ، عاجزة عن تدبير الضمان الجماعي لاي عضو من اعضائها . . لذلك ينبغي الان خدع الامم الصغيرة الضعيفة في الاعتقاد بأن عصبة الامم تستطيع ان تحميها من الاعتداء » .

ولم تمض اسابيع ثلاثة على القاء هذا البيان حتى تجلى صدقه . . . عندما بدأ هتلر بتنفيذ برنامجه في التوسع بضم النمسا الى الريخ الالمانى الثالث . فقد كانت النمسا بلادا يتألف غالبية اهلها من الجنس الجرمانى . وكانت دولة صغيرة ، لا حول لها ولا قوة . تحتل مركزا استراتيجيا هاما في طريق المانيا الى كل من ايطاليا وتشيكوسلوفاكيا . لذلك قرأه في اواخر سنة ١٩٣٧ على العمل على ادماجها بالمانيا ، وارجاع نحو سبعة ملايين الماني يقطنون عبر الحدود الى حظيرة الوطن الاكبر .

وفي ١٢ آذار سنة ١٩٣٨ ضرب هتلر ضربته ، وارسل قواته المسلحة الى النمسا ، في نفس الوقت الذي قام فيه طابور خامس بالسيطرة على قوات الجيش والبوليس النمساوية . وبعد يومين اعلن هتلر رسميا اتحاد النمسا بالمانيا . وبذلك تمكن ، دون ان يطلق رصاصة واحدة ، من ضم سبعة ملايين نسمة الى الريخ ، وجعل ممر (برنر) حدا فاصلا بينه وبين ايطاليا ، وتطويق جناح تشيكوسلوفاكيا ، واقامة حاجز فعال بين روسيا وفرنسا .

وقبل ان تفيق الدول الديمقراطية من وقع هذه الضربة ، كان هتلر قد اعد العدة لتوجيه ضربته التالية . وكانت غنيمة في هذه المرة اثنان واوسع . ذلك ان تشيكوسلوفاكيا كانت بلادا غنية بصناعاتها ومواردها الخام . وكانت تقف حائلا دون وصول الالمان الى وادي الدانوب . وتملك جيشا واسطولا جويا قويين . فتطلع هتلر الى الاستحواذ على معداتها الكبيرة ، وكان في الدولة التشيكوسلوفاكية نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون من الالمان يقطنون مقاطعتي بوهيميا ومورافيا على طول تخوم المانيا الجنوبية .

وكانوا قد ضموا الى تشيكوسلوفاكيا بمقتضى معاهدة فرساي . وكان يطلق عليهم اسم « السوديت » . وكانوا جميعا . . يتلهفون الى الانضمام الى الوطن الام . وان رغبت العناصر المعتدلة بينهم ان يتم هذا الانضمام دون اراقة دماء .

واستخدم الالمان جميع وسائل الدعاية في حض السوديت على المطالبة بالاتحاد مع اخوتهم الالمان في المانيا . واخذ هتلر يرسل بروقه وعوده الى التشيك مهددا منهدرا ، بينما انتهج سياسة الوعيد تلو والملاينة تارة اخرى مع فرنسا وبريطانيا .

ونجحت اساليبه ايما نجاح . فقد اندلعت في تموز سنة ١٩٣٨ الفتن في بلاد السوديت ، وهددوا جهارا بالانفصال . . . وثار المشاجرات في داخل البرلمان التشيكوسلوفاكي .

ورأت الحكومة البريطانية ان تسعى الى التخفيف من حدة النزاع . فبعثت في اوائل آب بلورد رنصيمان احد وزرائها ، بوصفه مجرد وسيط شخصي ليساعد الفريقين على ايجاد حل لتسوية الخلاف . غير ان (هنلاين) زعيم السوديت قطع مفاوضاته مع

الدكتور بنيش رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكية ولورد رنصيمان ...
كما حدثت في ليلة ١١ ايلول سنة ١٩٣٨ مصادمات دموية بين البوليس
التشيكوسلوفاكي والثوار السوديت في عدد من المدن السوديتية . فكان
لذلك اسوأ وقع في المانيا ، وارتفعت الصيحات مطالبة بالثار للدم الاماني
الذي اهرق خلال قمع هذه الاضطرابات ، وفي هذه اللحظة الدقيقة تدخل
(نفل تشيمبرلين) على نحو مثير ... فقد طار في الخامس عشر من ايلول
الى برخشتادن ... الملاذ الجبلي لهتلر . فصرح له الزعيم
الاماني بأنه « ليس ثمة شيء في مقدور المرء ان يصنعه للحيلولة دون غزو
تشيكوسلوفاكية ، ما لم يمنح السوديت حق تقرير مصيرهم ، وما لم يمنحوا
هذا الحق على وجه السرعة » .

فقدت بريطانيا وفرنسا على الاثر وفي ١٩ ايلول مذكرة مشتركة الى
الحكومة التشيكوسلوفاكية تشيران فيها عليها بالمبادرة الى التنازل لالمانيا عن
اي اراض يقطنها اكثر من ٥٠٪ من السوديت .

وبعد اربعة ايام بعثت المانيا بمذكرة تضمنت ضرورة تقديم الحكومة
التشيكوسلوفاكية منحا اكثر . وفي ٢٦ ايلول القى هتلر خطابا اعرب فيه
عن عدم ثقته بالمرء في اخلاص الحكومة التشيكوسلوفاكية فرد عليه الدكتور
بنيش بأن بلاده لن ترضخ للتهديد ، وانها سوف تقاوم القوة بالقوة .
وكان نفل تشيمبرلين يروم تجنب الحرب ، او على الاقل كسب الوقت
الذي يمكن لبلاده فيه ان تستكمل استعدادها الحربي . فتقدم لهتلر بضمن
الحكومة البريطانية لنقل الاراضي السوديتية التي ثبت الاستفتاء انه
تقطنها اكثرية المانية الى الرينخ .

واقترح عليه عقد مؤتمر من الدول العظمى الاربع في ميونيخ . فوافق
هتلر على هذا الاقتراح ، كما وافق عليه ايضا موسوليني .

وجاء الى ميونيخ الاقطاب الاربعة : هتلر وموسوليني وتشيمبرلين
ودالايه (رئيس وزراء فرنسا وقتئذ) . وبعد مفاوضات قصيرة وصلوا
الى اتفاق وقعوه في ٢٩ ايلول ، وبمقتضاه تنزل تشيكوسلوفاكية عاجلا عن
اقاليم معينة تقطنها اغلبية من السكان الالمان ، وتجري في اقاليم
اخرى استفتاءات توضع تحت اشراف دولي . كما يوكل الى لجنة دولية
تخطيط الحدود الجديدة بين المانيا وتشيكوسلوفاكية ، واتفق الكبار الاربعة
على وضع تسوية لمطالب هنغاريا وبولونيا لدى تشيكوسلوفاكية في مدى
ثلاثة اشهر .

وعاد تشيمبرلين الى لندن ، وخاطب مواطنيه قائلا : « لقد جلبت لكم
السلام مع الشرف » . ولكن ونستن تشرشل الذي وقف موقف المعارض
لسياسة التهذئة ، رده عليه قائلا :

لقد كان على بريطانيا وفرنسا ان تختارا بين الحرب والعار . ولقد
اخترتا العار . ومع ذلك فستقحم الحرب نفسها عليهما » .

ولقد صحت نبوءة تشرشل قبل ان يمضي عليها عام واحد .

واذعنت تشيكوسلوفاكية مرغمة على هذه التسوية . وعبر الجند
الالمان الحدود في اول تشرين الاول ... وفي اليوم عينه اعلنت بولونيا ان
تشيكوسلوفاكية قد نزلت لها عن مدينة تشن

وفي اليوم التالي احتل المدينة الجند البولنديون . وتقدم الهنغاريون
ببعض المطالب التي تضمنت ضم انحاء في ولاية سلوفاكية تقطنها اغلبية
هنغارية . ورضيت تشيكوسلوفاكية في الثاني من تشرين الثاني بتحكيم
المانيا وايطاليا لتسوية هذه المطالب .



المانيا كما اصبحت بعد التسوية وقبل اعلان الحرب العالميه الثانية

فشل اتفاقية ميونيخ

فشل سياسة « التهدة »

ارجأت اتفاقية ميونيخ موعد اعلان الحرب العالمية الثانية عاما تقريبا ، ولو انه كان عاما حافلا بالمخاوف والازمات والاحداث الجسام ..

فقد اخذت الغيوم التي لبدت الجو السياسي وحملت في طياتها نذر الحرب - اخذت تنقشع ، وصفا الموقف في الظاهر ، ولو الى فترة قصيرة . فقد اصدر هتلر وتشيمبرلين في صباح ٣٠ ايلول تصريحاً مشتركاً يعبران فيه عن رغبة امتيها بالآ تشهر احدهما السيف في وجه الاخرى ، ويعربان عن « تصميمهما القاطع على استخدام طريق المشاورة في حل جميع المسائل التي تهم البلدين » .

وقسي ٦ كانون الاول وقع فون رينتروب وزير خارجية المانيا والمسيو بونيه وزير الخارجية الفرنسية - وقعا في باريس تصريحاً مشتركاً اكدا فيه اهمية ابقاء العلاقات السلمية بين الدولتين واعلنا انه ليس بينهما من مشكلات الارض ما يفرق بينهما .

واكد هتلر بنفسه في هذه الاثناء ان اعادة المستعمرات الالمانية ليست بالمشكلة التي تدعو الى امتشاق الحسام - كما ادلى مستر ملكوم مكدونلد وزير المستعمرات البريطانية في ٧ كانون الاول سنة ١٩٣٨ ببيان في مجلس العموم ، قال فيه : « ان اعادة اية مستعمرات لا يدخل الآن في مجال

السياسة العملية » ولو انه اعرب في الوقت نفسه عن استعداد الحكومة البريطانية لدراسة اية مقترحات تعرض عليها « لتوزيع المواد الخام توزيعاً اقرب الى المساواة » .

ومع ذلك فقد تعمق الجو السياسي في غضون شتاء ١٩٣٨ - ١٩٣٩ بين فرنسا وايطاليا حين ارتفعت في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨ اصوات في مجلس النواب الايطالي صائحة : « تونس ؟ كورسيكا ! جيبوتي » . فاقضى (دالاديه) في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٣٩ بتصريح اعلن فيه ان بلاده غير مستعدة لان تنزل عن اية بقعة تمتلكها ..

وكانت اتفاقية ميونيخ نصراً دبلوماسياً ياهراً لهتلر - ما في ذلك ريب . ولقد شجعه تكوص بريطانيا وفرنسا عن اتخاذ موقف حازم ازاء نقضه مرة بعد اخرى احكام معاهدة فرساي ، وخوفهما من خوض غمار حرب اوروبية ... كما ان المشكلات الداخلية التي جابهت الوزارة الفرنسية نتيجة محاولتها موازنة الميزانية وتنظيم الصناعة وزيادة الانتاج ، ادت الى قيام الاضرابات فيها وازدياد التدمير بين طبقاتها الدنيا - كل هذا شجع هتلر على التماهي في السير بخطته حتى آخر الشوط المحتوم . فقبض بيد من حديد على البلاد التي ضمت الى الرايخ ، وطرد اليهود البولنديين المستوطنين في المانيا .

وزاد الطين بلة اغتيال شاب من يهود بولندا يقطن باريس .. لفون رات السكرتير الثالث للسفارة الالمانية بها .. مما جعل المانيا تشدد الوطأة على اليهود في بلادها ..

كما قبض على عدد كبير من افرادها ، وزج بهم في السجون ، وفرضت على اليهود عقوبات فادحة ، وكيل لهم من الاهانات والدلة اشكالا . والوانا .. وكذلك شددت الحكومة الالمانية ضفطها على الحكومة التشيكوسلوفاكية كي تقصي اليهود من المناصب العامة ، وتفصل عن عصبة الامم .

فاضطر (بنيش) الى تقديم استقالته ، وفر من بلاده . وانتخب مكانه في ٣٠ تشرين الثاني الدكتور اميل هاشا .. رئيساً للجمهورية .

وحدث ان اعلنت في ١٤ آذار سنة ١٩٣٩ ولاية سلوفاكي استقلالها عن تشيكوسلوفاكيا . فاراد هاشا ان يرغم تيسو رئيس وزارة سلوفاكية على الاستقالة . فاستنجد (تيسو) على الفور بهتلر « ليحميه »

من هذا الافتتاح . فلما هتلر هاشا الى برلين ، حيث اجبره على الموافقة ، لا على مطالب سلوفاكيا فحسب ، بل على التوقيع على وثيقة تجعل في الواقع تشيكوسلوفاكيا اية المانية .

وتدفقت الجنود الالمانية على براغ ، وجعلت بوهيميا ومورافيا ولايتين تابعتين للريخ ، وسلوفاكيا محمية المانية . وفي الوقت نفسه غزت هنغاريا الضالعة مع المانيا مقاطعة روتينيا ، وادمجتها في بلادها ، وبذلك امحت الجمهورية التشيكوسلوفاكية من عالم الوجود .

وكان لتقويض هذه الدولة الناشئة آثار غاية في خطورة الشأن فسي الموقف الدولي الاوروبي . فقد ارسلت كل من فرنسا وروسيا والولايات المتحدة وبريطانيا مذكرات قوية للهجة الى الحكومة الالمانية ، تحتج فيها على تقطيع اوصال تشيكوسلوفاكيا والقضاء على استقلالها .

وفي تلك اللحظة انتهجت الحكومة البريطانية ، بتأييد قوي من الحكومة الفرنسية ، سياسة جديدة : هي سياسة المقاومة لاعتداءات هتلر . فاعلن (تشيمبرلين) في مجلس العموم بان حكومته تقدم ، بالتعاون مع الحكومة الفرنسية ، « كل معونة ممكنة للحكومة البولندية على الفور في حالة اعتداء اية دولة على ارضها » .

واقفنى الزعيم الايطالي خطى زميله الالماني . فارسل قوة حربية الى البانيا في ٧ نيسان ، فلاذ ملكها (زوغو) بالفرار الى اليونان .

وفي الثاني عشر من ذلك الشهر ، التأم عقد جمعية تأسيسية البانية قررت عرض التاج الالباني على الملك فكتور عمانوئيل ، الذي غدا يلقب رسميا « بملك ايطاليا والبانيا وامبراطور الحبشة » .

وانتابت المخاوف ساسة بريطانيا وفرنسا من ان تكون اليونان الفريسة الثانية . فاصدرت كل من الدولتين في ١٣ نيسان تصريحاً يؤكد عزمهما على تقديم كل مساعدة ممكنة لتلك البلاد في حالة غزوها ، ومدا نطاق هذا التاكيد الى رومانيا ايضا .

وبادرت بريطانيا وفرنسا الى فتح باب المفاوضات مع روسيا وبولندا وتركيا واليونان ورومانيا لعقد « اتفاق ودي بلقاني » . واقدمت الحكومة البريطانية في ٢٧ نيسان على فرض نظام التجنيد الاجباري في بلادها . فقد هتلر هذا الاجراء عملاً عدائياً موجهاً ضد المانيا ، ورد عليه في اليوم

التالي في خطاب القاه بمجلس الريشتاغ اعلن فيه ان المانيا لا تعد الاتفاقية البحرية المبرمة بين الدولتين سنة ١٩٣٥ ملزمة لها بعد الآن .

واخذت الخلافات بين بريطانيا وفرنسا وبين المانيا تتسع وتقوى وحول الزعيم الالماني حملاته العنيفة الى بولندا . فاخذت الصحف الالمانية تحمل حملات شعواء على « الارهاب الذي لا يطاق » الذي تلقاه الاقلية الالمانية على ايدي الحكومة البولندية ، وتطالب بضرورة وضع نهاية لذلك الجور البالغ .

وتقدم هتلر الى الحكومة البولندية يطالبها باعادة مدينة « دانترغ » الحرة ومنطقة واسعة من الممر البولندي الى المانيا .

وعند تصريح بريطانيا في ٦ نيسان سنة ١٩٣٩ الخاص بضمانها سلامة الاراضي البولندية من كل اعتداء - عد هذا التصريح تحدياً يهدد السلام الاوروبي ، وخرقا لنصوص وروح المعاهدة التي كان قد ابرمها مع بولندا في كانون الثاني سنة ١٩٣٤ ، والتي نصت على تحريم الحرب تحريماً قاطعاً بين القطرين ، وعلى ضرورة استخدام المفاوضات المباشرة لتسوية جميع الخلافات التي تنشأ بينهما .

وسلط هتلر على البولنديين حرب امصاب خفية ، منذرا اياهم بالويل والثبور اذا لم يرضخوا لمطالبه وتقدم في الوقت نفسه الى بريطانيا يعدها بان يضمن الامبراطورية البريطانية مقابل اطلاق يده في بولندا . فكان الرد البريطاني الذي تلقاه حازماً جاء فيه : « ان حكومة جلالة الملك مرتبطة بالتزامات نحو بولندا ، وانها تنوي الوفاء بتعهداتها » .

وكان موقف روسيا ازاء هذه الاحداث الخطيرة لغزاً غامضاً . فقد جرت مفاوضات بينها وبين فرنسا وبريطانيا منذ آذار سنة ١٩٣٩ للوصول الى اتفاق بين هذه الدول للعمل يدا واحدة على مقاومة اي اعتداء يأتي من جانب المانيا ، وارسلت فرنسا وبريطانيا بعثتين حرييتين قامتتا بمحادثات طويلة مع هيئة اركان الحرب الروسية .

وتمكنت بريطانيا في ايار سنة ١٩٣٩ من عقد حلف مع تركيا يقضي بالتعاون بينهما في حالة نشوب حرب في شرق البحر الابيض ، ووصلت فرنسا وتركيا الى اتفاق مماثل في الشهر التالي ، بعد ان سويت بينهما مشكلة سنجق اسكندرونة بان وافقت فرنسا على سلخه من سوريا وضمه الى تركيا . وامضت الدول الثلاث : تركيا وفرنسا وبريطانيا في ١٩ تشرين

الاول معاهدة توثق عرى التفاهم بينها ، وتؤكد اتحاد اهدافها وقوة تضامنها .

وسارت المفاوضات بين روسيا وبريطانيا وفرنسا متعثرة يسودها الارتياح والتخوف . فقد اشترطت روسيا للحصول على موافقتها على عقد معاهدة تحالف بين الدول الثلاث ان تقبل الدولتان الديمقراطية وضع دويلات البلطيق ، كاثيا ولتوانيا واستونيا « تحت وصايتها » .

غير ان هذه الدويلات لم تكن تقبل راضية الاندماج في جارتها القوية ، وكانت لتوانيا قد عقدت صاغرة معاهدة عدم اعتداء مع المانيا في ٢٢ آذار سنة ١٩٣٩ ، وتنازلت لها بمقتضاها عن (ممل) ، وعقبته لتفيا واستونيا في عقد معاهدتي عدم اعتداء مماثلتين مع المانيا في اوائل حزيران ، كما ابدت فنلندة رغبة صريحة في الوقوف موقف الحياد الدقيق .

وفوجيء العالم بتحول خطير في الموقف الدولي حينما اعلن له توقيع المانيا وروسيا في موسكو في ٢٣ آب سنة ١٩٣٩ معاهدة عدم اعتداء بينهما . وحت هذه المعاهدة ملحقا سريا حدد فيه نفوذ كل منهما في دويلات البلطيق وبولندا وبسارابيا .

وكانت المانيا قد وقعت في برلين معاهدة تحالف مع ايطاليا في ٢٢ ايار تعهدت فيها الدولتان بان تقدم كل منهما للآخرى كل تأييد سياسي ودبلوماسي ، اذا ما هددت مصالح احدهما . وان تمنحها كل تأييد عسكري اذا ما نشبت حرب بين احدهما ودولة اخرى .

وكان اخفاق الحلفاء في الوصول الى عقد معاهدة مع روسيا عاملا فاصلا في استفحال الموقف الدولي سواء ذلك ان عقد المعاهدة الروسية الالمانية قد شجع تشجيعا قويا الزعيم الالمني على تشديد الخناق على الحكومة البولندية . وكانت الكثرة الكبرى من اهل داننرغ يطالبون بالعودة الى الوطن الام - المانيا - وقامت الصحافة الالمانية بحملة نارية على الحكومة البولندية تتهمها بسوء معاملة الاقلية الالمانية في بلادها ، واتهمت الجرائد الالمانية بريطانيا بتشجيعها بولندا على هذا العدوان .

وبدلت في آخر لحظة محاولات فاشلة لصون السلم ، والاحجام عن اراقة الدماء . فارسل (تشيمبرلين) خطابا شخصيا الى هتلر في ٢٢ آب يطلب منه العمل على تجنب اوروبا حربا مخربة دموية . وارسل اليه دالاديه مثل هذا الخطاب في ٢٦ من ذلك الشهر .

ووجه الرئيس فرنكلن روزفلت في الثالث والعشرين نداء الى ملك ايطاليا يدعو فيه للتوسط في النزاع المتفاقم ، كما ارسل في الرابع والعشرين نداء الى هتلر ورئيس جمهورية بولندا يناشدهما تسوية خلافتهما بالطرق السلمية . واصدر البابا بيوس الثاني عشر نداء حارا يحث فيه دول اوروبا على التمسك باهداف السلام . وتضافر ليوبلد الثالث ملك بلجيكا مع فلهلمينا ملكة هولندة في عرض وساطتهما على الفريقين المتنازعين (٢٨ آب) .

بيد ان الحوادث جرت سريعا في الايام الثلاثة الاخيرة من السلم . فقد رجحت بريطانيا هتلر ان يعيد فتح باب المفاوضات مع بولندا . وقبل هتلر في مساء ٢٩ آب هذا الرجاء في شيء من التردد .

ولكنه اشترط ان تبعث بولندا مفوضا تخوله حق قبول الشروط الالمانية ، على ان يصل الى برلين في اليوم التالي . فرفضت بولندا هذا العرض ، وان كانت قد حاولت في الحادي والثلاثين ان تتصل بالمانيا بالطرق الدبلوماسية المعتادة عن طريق سفيرها ببرلين .

وفي مساء ذلك اليوم اذاع الراديو الالمني الشروط التي تقبل المانيا ان تجري المفاوضات على اساسها .

وفي ظهر ٣١ آب احاط موسوليني الحكومتين البريطانية والفرنسية علما باستعداداه لدعوة مؤتمر تعقده الدول الاوروبية الكبرى للتوسط في النزاع . ولكن في الساعات البكرة من صباح اليوم التالي بدات المصفحات الالمانية تشق طريقها داخل بولندا ، والطائرات الالمانية تمطر الوان الدمار والهلاك على المطارات والسكك الحديدية والسكان المدنيين .

فارسلت كل من الحكومتين البريطانية والفرنسية انذارا نهائيا الى الحكومة الالمانية في ذلك اليوم تطلب منها سحب قواتها الفازية من الاراضي البولندية . ولكن زعيم الريح الالمني رفض قبول هذا الطلب . وفي اليوم الثالث من ايلول اشهرت بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا .

الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

سحق بولندا

مضى على انتهاء الحرب العالمية الثانية سنوات معدودات فقط . ولهذا يتعذر على المؤرخ المعاصر ان يصل الى جميع الحقائق والمعلومات الصحيحة التي تمكنه من ان يكتب في الوقت الحاضر تاريخا بعيدا عن الهوى ، خاليا من المفتريات التي تلازم بطبيعة الحال دعاوي الحروب واشاعات المفرضين وميول ذوي المصالح .

في اول ايلول سنة ١٩٣٩ شق الجيش الالماني الجبار الذي خلقه الريخ الالماني الثالث - شق طريقه عبر بولندا ، قيدا بذلك اعظم حرب دموية في تاريخ العالم ، واكثرها نفقة وخسائر . . . واوسعها نطاقا ، واشدها تدميرا . . . فانه بينما كان القتال في الحرب العالمية الاولى مقصورا الى درجة كبيرة على قارة اوروبا ، جعلت الحرب العالمية الثانية من القارات كلها - فيما عدا اميركا الجنوبية - ساحة هائلة واسعة الرحاب للطمع والتزاح . واكرهت الدول جميعا - حتى تلك التي لم تشترك فيها بالفعل - ان تتحمل في درجة كبيرة او صغيرة متاعبها وآلامها وان تكتوي بنارها وويلاتها ، وان تحس بكوارثها وفواجعها .

وبدا الدور الاول للحرب بفزو بولندا ، وانتهى بسقوط فرنسا في شهر حزيران سنة ١٩٤٠ . وقد بدأ القتال دون ان تعلن المانيا رسميا الحرب على بولندا . وقامت القوات الالمانية بحرب خاطفة دامت اسبوعين مروعين لا مثيل لهما رعبا وفتكا وتدميرا في الحروب الحديثة . فقد حولت فيهما الاساطيل الجوية الالمانية الهائلة مدن بولندا وقراها الى انقاض وركام . واضطر البولنديون الى الارتداد امام القوات المصفحة الكاسحة التي جردت عليهم . وما ان وافى اليوم السابع من ايلول حتى كان الالماني قد استحوذوا على حوض سيليزيا الصناعي ، وحطموا اقوى خطوط المقاومة البولندية ، واخذوا يدنون في سرعة مخيفة من وارسو .

وفي فجر اليوم السابع عشر من ايلول عبرت الجنود الروسية - طبقا لبند سري في اتفاقية ٢٣ آب - عبرت حدود بولندا الشرقية ، واستولت على الاراضي التي كان الالماني والروس قد اتفقوا فيما بينهم على ان تكون حصبة روسيا من الغنيمة . واكرهت فلور الجيش البولندي على التسليم اما الى الروس او الى الالماني . واستبسلت حامية وارسو في الدفاع عن قصبة البلاد . ولكنها اجبرت على التسليم للالماني في ٢٨ ايلول .

وبذلك انتهت كل مقاومة منظمة بولندية . وتمكنت المانيا بخسارة ضئيلة نسبييا في الرجال والعتاد من ان تخضع لسلطانها واحدا وعشرين مليون نسمة ، وان تضع يدها على موارد بولندا العظيمة في الزراعة والصناعة .

وفي اليوم عينه الذي سقطت فيه وارسو في يد الالماني ، وقعت في موسكو معاهدة المانية روسية حددت مناطق الاحتلال الروسي والالماني في تلك البلاد المقهورة ، واعلنت الدولتان الملائ بانهما « سوتا نهائيا المشكلات الناشئة عن انهيار الدولة البولندية ، وارسوا اساسا وطيدا لسلام دائم في شرق اسيا » .

وبعد ان انتهى من سحق بولندا ، تقدم هتلر ومولوتوف وزير خارجية روسيا في ٦ تشرين الاول يعرضان في ثقة الظاهر المفاوضات لعقد الصلح طبقا للاعلان الروسي . الالماني المشترك .

ولكن بريطانيا وفرنسا لم تعبرا هذا العرض اي التفات . وكذلك اشاحتا بوجههما عن العرض الذي تقدم به ليوبلد الثالث ملك بلجيكا وقلهلمينا ملكة هولندا ، حينما اهابا في السابع من تشرين الثاني بالدول

المنحاربة ان تسعى جاهدة الى تسوية خلافاتها عن طريق المفاوضات والعمل على اعادة السلام الى ارجاء اوربا .

ولكن رغم التحالف الذي ابرم بين المانيا وروسيا ورغم اعلانهما المشترك الانف ، لم تشعر روسيا باطمئنان حقيقي الى حسن نوايا الزعماء النازيين ازاءها . فراحت تعمل في همة ونشاط في تعزيز حدودها الجديدة وتوطيد مركزها في البحر البلطي . فطلبت من دوليات ذلك البحر منها بعض الامتيازات الاقتصادية والحربية . فاجابتها تلك الدوليات دون ابطاء الى مطالبتها .

ففي التاسع والعشرين من ايلول وقعت استونيا معاهدة مع روسيا لتبادل المساعدة ، وقدمت لها عددا من القواعد البحرية والجوية ، وسمحت لتفيا ولتوانيا لروسيا في اوائل تشرين الاول بمراقبة بعض الحاميات العسكرية الروسية في نقط معينة داخل حدودهما .

ثم قدمت روسيا عددا من المطالب لفلندة ، ومن بينها التنازل لها عن بعض الجزر في خليج فنلندة ، وميناء بتسامو . . وهو الميناء الوحيد في المنطقة المتجمدة الشمالية الذي لا يتجمد ماؤه خلال شهور الشتاء ، وكذلك التنازل عن النصف الشمالي لبرزخ كارليان الواقع بين بحيرة لادوجا وخليج فنلندة . - ولكن فنلندة وقفت موقفا عنيذا امام جاريتها الجبارة . فجردت روسيا عليها قواتها الحربية . وما لبث العالم ان وقف مذهوشا . ومعجبا اشد الاعجاب بالبسالة النادرة التي ابداهها الفنلديون في الصمود اربعة اشهر كاملة امام غريمهم المارد في ذلك القتال غير المتكافئ . واخيرا اضطرت فنلندة الى القاء سلاحها في اوائل اذار سنة ١٩٤٠ وعقدت صلحا مع روسيا احتفظت قيته باستقلالها ولكنها اكرهت على التنازل عن بعض الاراضي الواقعة على تخومها الشرقية ، وعن جزيرة هانفو الاستراتيجية . وبعد اشهر قلائل استحوذت روسيا على دوليات البلطيق الثلاث الانف ، وانتزعت ولاية بسارابيا من رومانيا . وبذلك اكملت روسيا - كما هيء لها - نظامها الدفاعي ضد جحافل المانيا النازية حينما يجيء « اليوم الموعود » .

وكانت روسيا تحكم طبق دستور اقر سنة ١٩٣٦ ، وعرف فيه الاتحاد السوفياتي بانه دولة تعاهدية تتألف من احدى عشرة جمهورية اشتراكية متساوية الحقوق ، اتحدت بمحض اختيارها لمصالحها المشتركة . ولا يرال هذا الدستور معمولا به الى الان ، الا في ناحية واحدة .

فقد عدل في شباط سنة ١٩٤٤ ، كي تعطى كل من الجمهوريات المؤسسة للاتحاد حق انشاء قوميسارات (وزارات) منفصلة لشؤون الدفاع والسياسة الخارجية .

ومع ان كل حركات « التطهير » و« تصفية » اعداء الجمهورية السوفياتية امر عادي في تلك البلاد الرحيبة الواسعة ، الا ان العالم روع بنوع خاص بحركة تصفية هائلة جرت في آب سنة ١٩٣٦ ، حينما قدم زينوفيف وكامينيف اللذان كونا مع ستالين « الحكومة الثلاثية » المطلقة التي ادارت دفة البلاد منذ موت لينين سنة ١٩٢٤ - حينما قدم هذان القطبان الشيوعيان مع زمرة من كبار الشيوعيين الروس الى المحاكمة بتهمة تنظيم عصابات ارهابية لاغتيال ستالين وكبار اعدائه . وحكم عليهم بالاعدام ، واعدم اكثرهم ، وفي حزيران سنة ١٩٣٧ حوكم سرا المارشال تكهاشفسكي رئيس هيئة اركان الجيش ، مع سبعة من كبار القواد الروس ، وحكم عليهم بالاعدام ، واعدموا رميا بالرصاص . وتلاهاتين المحاکمتين القبض على مئات الالوف من المدنيين والعسكريين ، وقدموا الى محاكمات صورية ، وحكم عليهم بالاعدام او السجن او المنفى الى سيبيريا او اغتيلوا في الخفاء دون تقديمهم حتى الى مثل تلك المحاكمات ، او فصلوا من خدمة الحكومة والهيئات العامة .

ويعتقد ان اكثر هؤلاء الذين « صفوا » كانوا ضالعين مع المانيا النازية وانهم كانوا يسعون الى تغيير سياسة روسيا الخارجية ومحاولة التقريب بينها وبين المانيا .

ولذلك فانه حينما غزا الالمان روسيا في مطلع صيف سنة ١٩٤١ ، وقف الروس صفا مرصوفا في وجه الغزاة وقدموا بزعامة ستالين جبهة متحدة نظمت تنظيميا محكما من الناحيتين السياسية والصناعية . والحق انه لامر ذو مغزى ان تجري عملية « تصفية » اخرى مماثلة في المانيا في بواكير سنة ١٩٣٨ . فقد اعدم او سجن او فصل عدد كبير من الضباط الالمان الذين اشتبه في انهم يؤثرون تعاون بلادهم مع روسيا السوفياتية .

انهيار الجبهة الغربية

اما في الغرب فقد سارعت الحكومة الفرنسية الى تعبئة الجيش على اثر اعلانها الحرب . ومع ذلك فان الفرنسيين لم يلتفوا حول الوطن في

الروح التي ملأت جوانحهم عام ١٩١٤ . . . ولم تهتز قلوبهم حينما نفخ في بوق الحرب يدعوهم الى تلبية النداء « بان الوطن في خطر » .

ذلك ان فرنسا لم يكن على رأسها وقتئذ زعماء ممتازون يقودون صفوفها ويظفرون بثقتها . وكانت الفوضى السياسية وخراب الدم والفساد الاجتماعي قد اناخ على الهيئات العامة . ورفض الحزب الشيوعي الفرنسي وشميعه المنظمة اليه ان يؤيد حربا « رأسمالية » . . . واشاع في نفوس الكثيرين من افراد الطبقات الدنيا عدم الرضا عنها . . . واثار الاضطراب وبث القلق في صفوف الامة . اضاف الى ذلك ان سياسة التهذبة التي انتهجها ساسة بريطانيا وفرنسا الى ما قبل اعلان الحرب ، جعلت جانبيا كبيرا من الراي العام مستعدا لتحمل كل استفزاز اذا كان هذا يجنبهم مكاره الحرب وخطوبها . . . ومع ذلك فقد كانت فرنسا متأهبة الى درجة كبيرة للاقاة العدو . وكان يمتد على طول الحدود الفرنسية الالمانية خط « ماجينو » الذي مثل اعلى درجة من درجات تطور الدفاع العلمي بلفتها اوروبا حتى ذلك الحين » . ولكن هذا الخط الدفاعي المنيع الذمار لم يمتد على طول الحدود الواقعة بين فرنسا وبلجيكا . فقد اكتفى رجال الهندسة العسكرية الفرنسية بتحسين تلك الحدود بوضع حزام من الاسلاك الشائكة ، واقامة الاعمدة العائقة لسير الدبابات ، وحفر الحفر لصيدها . وشيد الالمان داخل حدودهم في مواجهة خط ماجينو ، خط سيففريد او « السور الغربي » . وهي منطقة حصنت على نمط مشابه لنمط ماجينو نفسه .

وقد جعل وجود هذين الخطين الدفاعيين المنيعين من العسير على الجيوش المتحاربة القيام بحركات حربية خاطفة على طول جبهة المانيا الغربية . في اليوم التالي لاعلانها الحرب على المانيا بدأت انكلترا بانزال طلائع قواتها بأرض فرنسا . واخذت هذه القوات تحتل تدريجيا الاماكن التي خصصت لها على الحدود البلجيكية - الفرنسية شرق مدينة ليل .

وفي الوقت الذي كانت تسحق قوات المانيا المصفحة مقاومة الجيش البولوني ، وقف البريطانيون والفرنسيون في جبهتهم عاجزين عن ان يمدوا لحليفهم السيئة الطالع يد المعونة بالضغط على العدو المشترك . . . صحيح انه حدث خلال الاسابيع الاولى من القتال بعض النشاط على طول خط ماجينو ، كان من نتيجته اكراه الالمان على الجلاء عن ساربريكن ولكن الفرنسيين اكروهوا بدورهم على الارتداد من غابة فارندت .

ثم ساد الجبهة الغربية هدوء شامل تقريبا اثناء الاشهر السبعة الاولى من الحرب . وكانت هذه الاشهر التي ركس فيها القتال فترة غلب خلالها على الجند الفرنسيين بنوع خاص السأم الشديد ، وانتشر بينهم السخط والتبرم ، واخذ روحهم المعنوي وحماهم الوطني ينحطان لدرجة ملحوظة . ولكن « الحرب الصامتة » بين المانيا وعدوتها انتهت على نحو مثير في اوائل نيسان سنة ١٩٤٠ . ذلك ان الحصول على الحديد الخام من السويد كان من الاهمية بأعظم مكان للامان . وكانوا يجلبون هذه المادة اللازمة لصناعاتهم الحربية خلال شهور الشتاء حينما يقفل الجليد ثغور بحر البلطيق - كانوا يجلبون حديد السويد من ميناء نارفك النرويجية . وكان امرا طبيعيا ان تحاول بريطانيا حمل النرويج على وقف هذا النقل في مياهها الاقليمية ، وسد الطريق البحري في وجه السفن الالمانية . ولذلك فبينما كان الهدوء المستتب الشامل يخيم على ميادين الحرب البرية ، اذ بالمانيا تغير في الساعات الاولى من صباح ٩ نيسان دون سابق انذار ، على الدانمارك التي كانت قد أبرمت معها قبيل ذلك معاهدة عدم اعتداء .

الهجوم على النرويج

وفي الصباح الباكر من اليوم نفسه انزل الالمان كتائبهم ، دون انذار سابق ايضا ، في نقط عدة على طول الساحل النرويجي . حدث هذا في نفس اللحظة التي كانت تضع قوة بحرية انجليزية - فرنسية الالفام في مياه النرويج الاقليمية التي كانت السفن الالمانية المحملة بالحديد الخام تتخذها سبيلا لها للتملص من هجوم السفن الحربية البريطانية عليها واغراقها . وما وافى مساء ذلك اليوم حتى كان الالمان قد قضوا على كل مقاومة فعالة في النرويج ما عدا اقصى الشمال . . . وكانت خطة الهجوم الالمانية على النرويج من ابدع النماذج الحربية لحسن التصميم وسرعة التنفيذ ودقة التعاون بين مختلف اسلحة الجيش .

لقد حاول البريطانيون ان ينجدوا النرويج . فنزلت قوات بريطانية في نارفك (١٥ نيسان) وفي نامسس (١٦ نيسان) . ولكن الالمان تمكنوا في سهولة من سحق هذه القوات ، غير ان قوة كبيرة مؤلفة من جند بريطانيين وفرنسيين وبولونيين ونرويجيين افلحت في الاستيلاء على نارفك في ٢٨ ايار .

ولكن نظرا للاحداث الهائلة التي كانت تجري وقتئذ في الجبهة الفرنسية

سحبت هذه القوات من جنود الحلفاء في الثامن من حزيران . ولجأهاكون ملك النرويج وزرأوه الى انكترا حيث واصلوا منها النضال ، وغدت القوات النازية مدى اربعة اعوام سيدة النرويج .

الهجوم على فرنسا

وما كاد ينقض شهر واحد على غزو النرويج ، حتى ضرب الالمان ضربتهم الكبرى في الغرب . فقد بدأوا هجوما هائلا قبيل فجر ١٠ ايار على هولندا وبلجيكا ولكسمبروغ في آن واحد دون اي اعلان للحرب . ولم تمض ساعات قلائل حتى كانوا قد اكتسحوا لكسمبروغ . واخترقوا في الثاني عشر من الشهر خط الدفاع الرئيسي للجيش الهولندي . وقاموا بغارات جوية عنيفة على المدن الهولندية ودمرت جانبا كبيرا منها ، واقت الرعب في نفوس الاهلين . وسقطت روتردام في الرابع عشر واكره الهولنديون عقب التكتبات المروعة التي حلت بهم ان يلقوا بسلاحهم في اليوم التالي . وفي الوقت نفسه كان الالمان يوجهون ضربات هائلة لجيش بلجيكا الصغير . وكان ملكها قد استنجد ببريطانيا وفرنسا ، فدخل جيشاهما بلجيكا طبقا لخطة موضوعة . ولكن القيادة الالمانية جردت قسوات مصفحة كبيرة ، ملحقة بقيادة المارشال فون رندشتد حطمت خط دفاع الحلفاء في ١٤ ايار ، فاخرقته بين نامور وسيدان ، وعبرت نهر الميز شاقة طريقها خلال غابات الاردن التي كان يظن انه من المتعذر على اي جيش اختراقها . واتجه جزء من القوات المصفحة الالمانية غربا نحو اميان ، وجنوبا نحو ريمس .

ودخل الالمان اميان في ١٩ ايار وابفيل في اليوم التالي وزحفوا سراعا ميمين وجهتهم صوب المواني الفرنسية على القنال الانكليزي . فوصلوا ساحله في الحادي والعشرين ، وهاجموا بولون وكاليه في الثالث والعشرين ، وبدأ كان كل شيء ينذر الحلفاء بوقوع كارثة مروعة وهزيمة ماحقة . . . فقد انحطت روح الجيش الفرنسي الى اسفل درك ، واخذت الفرق الفرنسية ترتد امام نار العدو الحاصدة دون انتظام . ومما زاد من اسباب الفوضى وعوامل الهزيمة امتلاء الطرق بمئات الالوف من النساء والاطفال الهاريين من وجه الفزاة لا يلوون على شيء .

وجعلت السرعة الخارقة للتقدم الالمانى مركز الحلفاء غاية في الحرج . فقد حصرت القوات البريطانية والفرنسية والبلجيكية التي ارسلت في الاصل للدفاع عن البلجيك . حصرت في مثلث ، وتوارى كل امل لها

في التمكن من التقدم . .

ورأى لورد جورث . . . القائد العام للقوات البريطانية ان البحر هو سبيله الوحيد لاتقاذ قواته من المازق الحرج الذي وجدت فيه . وفي منتصف ليلة ٢٧ - ٢٨ ايار سلم الجيش البلجيكي . وكان الجلاء الشهير للقوات البريطانية قد بدأ في السابع والعشرين من ميناء دنكرك . وقد تمكن ٣٣٤ الفا من المقاتلين البريطانيين وجنود الحلفاء من الجلاء تاركين وراءهم عتادهم باكملة .

وخلف في ١٩ ايار الجنرال فيجيان الجنرال جاملان في منصب القائد الاعلى لقوات الحلفاء .

فقضى نحو اسبوعين في تعزيز مواقع الدفاع الفرنسية على حدود فرنسا الشمالية والشمالية الشرقية . وكانت قوات الالمان المصفحة قد حولت وجهها صوب الجنوب . وتمكنت من اختراق خطوط الدفاع الفرنسية في كل مكان ، ومزقت الجيش الفرنسي شر ممزق . فقررت الحكومة الفرنسية في ٨ حزيران الانتقال من باريس اولا الى تور ، ثم الى بوردو .

عندئذ طرح موسوليني موقف المتفرج وراء ظهره ، واعلن في العاشر من حزيران الحرب على بريطانيا وفرنسا كي لا يفوته الظفر بنصيب من الاسلاب التي غدت الان في ناظره سهلة المنال دانية القطوف . .

وسقطت العاصمة الفرنسية في ايدي الالمان بعد ايام خمسة ، فاستصرخت الحكومة الفرنسية الرئيس روزفلت وبريطانيا بان يمدا اليها يد المعونة بمساعدات جديدة في هذه اللحظة الرهيبة . ولكن صرخاتها ذهبت في الهواء . .

على الاثر سقطت وزارة (رينو) في السادس عشر من حزيران ، وخلفه في رئاسة الحكومة المارشال بيتان المعجوز بطل فردان . وطلب من الالمان وقف القتال تمهيدا لعقد هدنة بين الدولتين . واتخذت الحكومة الفرنسية مدينة (فيشي) مقرا لها .

وكان الالمان قد احتلوا حتى تلك اللحظة نصف اراضي فرنسا . فأجابوا بيتان الى طلبه . وفي الثاني والعشرين من حزيران امضى المبعوثون الفرنسيون شروط الهدنة في كمبيين في نفس عربة السكة الحديدية وفي نفس البقعة اللتين كان الالمان قد وقعوا في ذلة وامتهان صك الهدنة مع الحلفاء في تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . وبمقتضى شروط الهدنة اصبح من حق

او يهلكوا ... ولم يشنه عن عزمه الراسخ توالي الهزائم وتتابع الحوادث، فظل ينفع في نفوس مواطنيه روحا من روحه الجبار، ويضيء لهم قبا خافتا وسط دياجير المحن والكروب التي اتاحت عليهم .

وخاطبهم قائلا:

« سنثبت مرة أخرى ... اننا قادرون على الذود عن حياض جزيرتنا، وشق طريقنا خلال اعاصير النضال وانواء المعارك .

وسنظل نكافح تهديد الطغيان ، ولو اضطررنا الى القتال سنين عديدة .. والى القتال بمفردنا اذا اقتضى الامر ذلك .. اننا لن نتقاعس ، ولن ننكص على اعقابنا ... سنواصل النضال حتى النهاية . سنقاتل في فرنسا . سنقاتل على متن البحار والمحيطات ، سنقاتل في ثقة متزايدة وقوة مطردة النمو في الجو ... وسندافع عند مراسي السفن ، وسنقاتل في الحقول وفي الشوارع وسنقاتل فوق التلال . ولكننا لن نفعل شيئا واحدا : لن نلقي بسلاحنا » .

كانت بريطانيا وقتئذ في اشد الحاجة الى قيادة ذلك الزعيم العملاق، بعد ان اخذت اساطيل هتلر الجوية الهائلة تمطر الموت على بريطانيا ، وتشر الخراب فيها ، طوال صيف وخريف عام ١٩٤٠ .

وكانت المانيا قد عقدت نيبتها على تدميرها تدميرا منظما في الجو . وبدأت الحملات الجوية الالمانية العنيفة في ٨ آب ، فبدأت بذلك ما يسميه البريطانيون : « معركة بريطانيا » .

وشرع الالمان يشنون غارات جوية بالغة العنف على قوافل البواخر التجارية الانكليزية ، وعلى المدن الساحلية في الجنوب الشرقي من انكلترا . ثم اعقبوا ذلك بغارات مركزة وجه اكثرها الى المطارات ومصانع الطائرات ثم بدأت في ٧ ايلول المرحلة الثالثة والاخيرة في هذه المبارزات الجوية الهائلة . فقد قاموا بشن غارات نهائية عنيفة على لندن ، وخاصة على منطقة مينائها . واستبسل الطيارون البريطانيون اعظم استبسال في الدفاع عن وطنهم خلال معركة بريطانيا التي استمرت حتى اواخر تشرين الاول . ودمروا حسب الارقام الرسمية ١٧٣٣ طائرة المانية ، وحاولوا بذلك دون ان تحول المانيا هجماتها الجوية الى غزو فعلي للجزر البريطانية .

ومع هذا فقد واصل الالمان غاراتهم الجوية ليللا على نطاق واسع . فاشتدت الحملات الليلية اولا على لندن ، ثم تحولت الى مدن النفور .

فصبت الطائرات الالمانية صواعقها على سوتهمتن وبلمث ولغربول وبرستل وغيرها ، ثم نقل الالمان ميدان عملياتهم الى المدن الصناعية . فدكوا في ١٤ تشرين الثاني مدينة كوفنتري ، وانزلوا خرابا ذريعا بمدن برمنغهام ومنشستر وشيفلد والمدن الواقعة على نهر التين والكلايد .

وبلغ عدد الضحايا في هذه الغارات من المدنيين حوالي ٢٣٠٠٠ من القتلى وعددا اكبر كثيرا من هذا الرقم من الجرحى وذلك خلال الاشهر الخمسة من آب الى كانون الاول سنة ١٩٤٠ . ولكن الشعب البريطاني ظل قوي العزيمة ثابت الجنان . فما لانت قناته امام الكوارث ، ولا وهن تصميمه من هول الشدائد . وكان اخفاق هذه المحاولة الالمانية في قهر بريطانيا عن طريق الغارات الجوية ، وارغامها بهذه الوسيلة على التسليم - كان اخفاقها من بين العوامل الرئيسية الكبرى في انزال الهزيمة بالمانيا في آخر المطاف .

واصلت بريطانيا الحرب ، تؤيدها مستعمراتها تأييدا قويا وتسخر عليها سخاء كبيرا بالرجال والعتاد . ولم يقصر عمل قوات الجو البريطانية على رد غارات العدو ، بل غرته في الوقت نفسه في عقر داره ، وان كان ذلك قد تم على نطاق ضيق . فقد ارسلا طائراتهم لتدمير مصانع البترول الصناعي في المانيا الغربية والمنشآت الصناعية في الرهر والمواني واحواض السفن الالمانية . وفي ليلة ٢٥ آب اغارت الطائرات البريطانية على برلين نفسها .

ولم يقصر ميدان الصراع بين المانيا وبريطانيا على الجو ، بل اشتد سعي القتال في البحار ايضا . فقد هاجم الالمان في غير هوادة منذ بدء الحرب السفن البريطانية المحملة بالاعذية والمواد الخام اللازمة لحياة الاهلين ولجهودهم الحربي . واستخدم الالمان في اواخر سنة ١٩٩ اول سلاح سري استخدموه في ذلك النضال : وهو الالغام الممغنطة التي كانت طائراتهم تلقيها في مداخل المواني البريطانية . وقد منيت السفن التجارية البريطانية بخسائر فادحة في بدء استخدام ذلك السلاح الفتاك ...

ولكن لم يمض زمن طويل حتى تمكن العلماء البريطانيون من اختراع وسائل مضادة خففت الى مدى كبير من حدة وطأته وقللت من شدة فتكه .

وامكن للاسطول البريطاني ان يتعقب بارجة الجيب الالمانية القوية : « غراف سبي » وان يجبرها على الالتجاء لثغر متفيدو ، حيث اغرقها بحارها عند انصرام الاجل الذي حدد لبقائها فيه .

كذلك تمكنت القوات البريطانية من ان تسبق الالمان الى احتلال جزيرة

(ايسلند) وجزر (فارو) . ولكن الانهيار الحربي الذي اصاب الحلفاء في الميدان الغربي قتل الى حين من الاهمية الاستراتيجية لذلك سبق .

القتال امتد الى افريقيا وبلاد البلقان

كان من غايات موسوليني ، عند اعلانه الحرب على بريطانيا الوصول الى القطر المصري للاستيلاء على ثرواته واستغلال موارده الطبيعية الفنية . وشجعه ضعف بريطانيا . . عن ارسال حلة كبيرة لاحتلاله ، وعبرت هذه الحملة في ايلول سنة ١٩٤٠ الحدود المصرية ، وتقدمت حتى (سيدي براني) . غير ان الجنود البريطانيين هاجموا الايطاليين في اوائل كانون الاول ، واجلوه من مصر . واستولوا في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٤١ على طبرق القاعدة البحرية الإيطالية الرئيسية في برقة . وما وافى شهر آذار سنة ١٩٤١ حتى كان الايطاليون قد طردوا من ولاية برقة ، وبلغ البريطانيون بلدة العقيلة ، ووقع في يدهم خلال هذه العمليات الحربية اكثر من مائة الف اسير ايطالي ، دون ان يفقدوا سوى مئات قليلة من القتلى . فبعثت هذه الانتصارات الكبيرة التي احرزها الجنرال ويفل القائد الاعلى للقوات البريطانية بالشرق الادنى . . . بعثت هذه الانتصارات بعض الثقة في نفوس البريطانيين :

كما اصاب البريطانيون بعض المكاسب الحربية الاخرى . فاحتلت جنودهم في شهر تموز سنة ١٩٤١ سوريا ولبنان اللتين كانتا خاضعتين لحكومة فيشي الفرنسية ، وبذلك قوي مركز بريطانيا في الشرق الاوسط . . . وكان الايطاليون ، بعد اعلانهم الحرب ، قد تغفلوا في تموز سنة ١٩٤٠ في اراضي كينيا ، ودخلوا السودان واكتسحوا الصومال البريطاني وهددوا تهديدا خطيرا مركز البريطانيين في عدن والبحر الابيض .

انتصارات انكليزية على ايطاليا

ولكن القوات البريطانية تحت قيادة سير الن كنجهام قامت في كانون الثاني سنة ١٩٤١ بهجمات مضادة قوية اسفرت عن نتائج باهرة ، فقد تمكنت اثناء قتال لم يستغرق سوى اربعة اشهر من القضاء على الامبراطورية الإيطالية في شرق افريقيا . فاقصوا الايطاليين عن (اوتريا) . وسقطت اديس ابابا في ايديهم في ٦ نيسان . وفي الخامس

من ايار . اي بعد خمسة اعوام من مناداة موسوليني . بملك ايطاليا امبراطورا على الحبشة - دخل الامبراطور هيللا سيلاسي عاصمة ملكه . وبعد اسبوعين سلم دوق اوستا نائب ملك ايطاليا نفسه مع عدد كبير من الضباط والجنود الى البريطانيين وقبل نهاية تشرين الثاني سنة ١٩٤١ استسلمت اخر قلوب القوات الإيطالية في ذلك الميدان دون قيد او شرط .

وكان موسوليني قد اعلن الحرب على اليونان في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٤٠ . وهاجمها بقواته . غير ان القوات الإيطالية منيت بهزائم مشينة ذات بال . فطردهم اليونانيون شر طرد من وطنهم . وحين اشرف عام ١٩٤٠ على نهايته كان اليونانيون قد اوغلوا ثلاثين ميلا في ارض البانيا .

انتهر الالمان هذه الفرصة وشنوا في غضون شتاء ١٩٤٠ - ١٩٤١ حرب اعصاب حامية على دول البلقان . فحشدوا قوات كبيرة في هنغاريا ورومانيا . ودخلوا صوفيا في اول آذار سنة ١٩٤١ ، واكرهوا الحكومة البلغارية على الانضمام الى صفهم ، وفي اواخر ذلك الشهر نفسها قامت مظاهرات صاخبة في بلغراد لمطالبة الحكومة باعلان الحرب على دولتي المحور .

فاستقالت الحكومة اليوغسلافية وقرّ وصي العرش اليوغسلافي من البلاد . فاعلنت المانيا الحرب على يوغسلافيا في ٦ نيسان ، وجرد هتلر جحافلها عليها ، فاحتلوها بأسرها في أحد عشر يوما . واغارت طائراته على بلغراد فجعلتها خرابا يبابا . . .

حرب الصاعقة

وفي ٦ نيسان ايضا غزت الجنود الألمانية بلاد اليونان ، وخفقت بنود النصر فوق زحفها . فقد ارغمت اليونانيين على الانسحاب من تراقية الفريية وشقت طريقها في خلال اسبوع واحد الى سالونيك . وتقدمت اتكلترا لمساعدة حليفتها الجديدة بالرجال والدخيرة . ولكن العون الذي ارسلته لها لم يكف لانقاذ الموقف . فساعت الكتائب الألمانية امامها سوفا القوات اليونانية والبريطانية والاسترالية والنيوزيلندية ، واجبرتها على الانسحاب من موقع بعد موقع . .

وعندئذ اضطر الجيش اليوناني الى التسليم في الحادي والعشرين من نيسان . ورفرت في السابع والعشرين الراية الألمانية ذات الصليب المعقوف

قوى الكروبوليس ..

ومن ثم تدفقت القوات الإيطالية المهزومة على اليونان ، ولبي البلغار دعوة الألمان إلى احتلال مقدونية وتراقية . وكان الأسطول البريطاني قد أجلى إلى كريت قرابة أربعين ألفاً من جنود بريطانيا والمستعمرات المستقلة ، تاركين وراءهم الجانب الأكبر من عتادهم ..

وواصل الألمان تعقبهم ، فشنوا في ٢٠ أيار هجوماً عنيفاً عليهم بقوات انزلوها بكريت من الجو . وطردها البريطانيون من تلك الجزيرة . وبذلك انتهى الطور الأول من أطوار الصراع في سبيل السيطرة على موارد بلاد البلقان ومواقعه الاستراتيجية . ولم يدم القتال في ذلك الطور سوى أسبوعين حاق خلالهما بقوات بريطانيا واليونان ويوغسلافيا خسائر فادحة في الرجال والمعدات . وبدأ للاعبين كان ألمانيا وإيطاليا قد سيطرتا سيطرة تامة على جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط . وأن كانت تركيا حليفة بريطانيا قد احتفظت بحيادها ..

ثم ذهب الألمان مرة أخرى لنجدة حليفهم في شمال أفريقيا . وكان البريطانيون قد اضطروا إلى تحويل عدد كبير من جنودهم ومقادير عظيمة من عتادهم إلى اليونان . فضعف مركزهم كثيراً في ميدان شمال أفريقيا . فارسلت ألمانيا قائداً مجرباً من أفذاذ قوادها ، عرف بسعة الحيلة ودقة الخطط ، هو الجنرال رومل - أرسلته ألمانيا على رأس فرقتين من صفوة محاربيها الأشداء . فشن (رومل) هجوماً كبيراً تكلل بنجاح باهر لفت إليه الأنظار .

وكانت الصحراء القريبة ميداناً مترامياً الأطراف يساعد على حركات الهجوم والادبار في سرعة كبيرة . فتمكن رومل في حزيران سنة ١٩٤١ أن يجرف أمامه قوات بريطانيا ومستعمراتها حتى بلغ مرسي مطروح ولاح كان مصر عما قليل ستقع في قبضته

هتلر يشهر الحرب على روسيا

كان هتلر يكره روسيا الشيوعية كرها عظيماً وبخشي شرها في مقبلات الأيام .. وكان تحالفه معها في آب سنة ١٩٣٩ تحالف مصلحة إذ لم يكن يجراً على ضرب انكلترا وفرنسا أو شن هجوماً عليهما قبل أن يضمن حدوده الشرقية ..

وحين شغلت ألمانيا في ربيع وأوائل صيف سنة ١٩٤٠ في غرب أوروبا كما رأينا ، انتزع الروس ولاية بيسارابيا وشمال مقاطعة بوكوفينا من رومانيا ، وقد تم هذا بموافقة ألمانيا طبعاً وأن فعلت هذا في كثير من الحذر والشك ..

كما تلا ذلك دمج روسيا لدويلات البلطيق الثلاث : استونيا ولتفيا ولتوانيا في الاتحاد السوفياتي . وكذلك جرت على الحدود بعض الأحداث التي أثارت ريب الألمان في حسن نوايا الحكومة السوفياتية ، وهيأت الجو لنشوب القتال بين البلدين ، في اللحظة المواتية ..

ففي فجر يوم الأحد ٢٢ حزيران سنة ١٩٤١ قذف هتلر بفرقه المصفحة وملايين مقاتليه عبر الحدود الروسية . وقال في منشوره الذي أعلن فيه الحرب على تلك البلاد : « لقد قررت اليوم أن أضع مصير الشعب الألماني وحكومة الريخ ومصير أوروبا في أيدي جنودنا » .

ووقف العالم كفله مشدوها لهذه المفامرة الجسورة والمقامرة الهائلة ، وأدرك على الفور أنه سيكون لهذا الصراع أبعد النتائج وأخطرها ، لا على تاريخ أوروبا فحسب بل على تاريخ الجنس البشري بأسره .

وقد انضم إلى جانب ألمانيا في هذه الحرب إيطاليا وهنغاريا ورومانيا وفنلندا . وفي الكفة الأخرى وقعت بريطانيا إلى جانب حليفها الجديدة ، دون أن تتأثر بمداها المتأصل القديم لروسيا القيصرية ثم لروسيا الشيوعية . فصرح تروثشل بأن كل من يسير في ركاب هتلر هو خصم لنا ، وأن كل من ينازله هو حليف .

ووقف الرئيس روزفلت موقفاً ودياً نحو روسيا . فقد كان يؤيد بريطانيا قلباً وقالباً ويرى دفاعها عن بلادها وإمبراطوريتها دفاعاً عن قضية الحرية والنظم الديمقراطية ، ولو أنه رأى أن الأوان لم يحن بعد لنزول بلاده إلى حومة الوغى إلى جانبها ..

وكان هتلر يثق بأن قواته ستظفر بنصر أكيد بل وكان من المتوقع أن تظفر أيضاً بنصر سهل .

ويتطلع إلى الاستحواذ في حرب خاطفة على قمح أوكرانيا وبترول القوقاز والموارد الصناعية الضخمة في وادي نهرى الدونت والفولغا ، ومن ثم يشق الجند الألمان طريقهم إلى الشرق المليء بالخيرات الوفيرة والموارد الطبيعية الهائلة .

كما خيل له انه يستطيع ان يبذر بذور التفارقة في صفوف الدول الديمقراطية بوقوفه موقف المحارب المختار في حرب صليبية ضد الشيوعية: غير ان هذه الاحلام العريضة والاهداف البعيدة تحطمت جميعها على صخرة المقاومة الروسية وتضافر قوات الديمقراطية ازاء الخطر المشترك .

طرق الهجوم

ولقد حدث الهجوم الالمانى على خطوط قتال كبيرة ثلاثة : الهجوم الاول خلال جنوب بولندا في اوكرانيا، والثاني خلال روسيا البيضاء الى سمولنسك وموسكو ، والثالث من خلال دول البلطيق الى ليننغراد .. واصاب الالمان نجاحا عظيما في بدء القتال ، وتغلغلوا بسرعة خاطفة حتى بدا في وقت من الاوقات وكأن هتلر يوشك ان يحقق هدفه الاكبر .. وهو اقامة خط دفاعي يمتد على وجه التقريب من نهر الفولجا الى ارشانجل في اقصى الشمال . فقد اكتسح الالمان في الميدان الشمالي دول البلطيق في وقت وجيز . ووصلت قواتهم الزاحفة صوب بحيرة (لادوجا) الى مشارف لنینغراد في تشرين الاول ، وضربوا حصارهم على عاصمة روسيا القيصريّة طوال ستة عشر شهرا تقريبا .. وفي القطاع الوسط للجبهة الروسية ، استولت الجيوش الالمانية بقيادة المارشال فون بك على سمولنسك في ١٦ تموز . ثم توقفت قليلا كي تمتد عدتها لهجومها الهائل على موسكو الذي بداته في اوائل شهر تشرين الاول .

وكان تقدم الالمان سريعا في اول الامر ، حتى انهم وصلوا في اوائل تشرين الثاني الى مسافة مائة كيلومتر من موسكو . وهجم الالمان هجمة صادقة على الروس في السادس عشر ولكن الروس استماتوا في الدفاع عن حاضرتهم الكبرى ، وامكنهم وقف فون بوك طوال شهور الشتاء على بعد خمسين كيلومترا من ضواحي موسكو .

وكذلك توجت اكايل النصر هجمات الجيوش الالمانية بقيادة المارشال فون رندشتد في القطاع الجنوبي . فقد اكتسحت تلك الجيوش - مع معاونّة تلقتهما من الجيش الروماني - اكتسحت اوكرانيا ، وشقت طريقها خلال بسارابيا على طول ساحل البحر الاسود الى اودسا . فسقطت (كييف) في ايدي الالمان في ١٩ ايلول ، و (اودسا) في ١٦ تشرين الاول و (خاركوف) في ٢٤ من ذلك الشهر ..

وفي خلال ايام خمسة اخترقوا شبه جزيرة القرم ، واستحوذوا على

جميع انحائها ، ما عدا ثغر (سيباستبول) الذي كان الروس قد احكموا تحصيناته حتى جعلوه منيعا قويا .. ثم تقدمت جيوش (رندشتد) شرقا حتى وصلت الى مدينة (رستوف) ، واستحوذت عليها في ٢٢ تشرين الثاني . ولكن الروس استرجعوها بعد اسبوع . واتخذت الجيوش الالمانية في الجنوب مواقعها الشتوية في اوائل كانون الاول على خط نهر الدونetz ..

وكانت انتصارات الالمان في هجماتهم الاولى على اكبر جانب من الروعة والفخامة ... ومنى الروس خلال دفاعهم بخسائر مروعة . وفقدوا الحقول الغنية بالحنطة في اوكرانيا والاماكن الصناعية الهامة في كلا اوكرانيا وحوض الدنيبر .

وكذلك استحوذ الالمان على مناجم فحم حوض الدونetz وجميع ارجاء شبه جزيرة القرم ما عدا سيباستبول .

ومع جميع هذه الانتصارات الباهرة التي احرزها الالمان ، فان العالم ادرك للمرة الاولى خلال الحرب العالمية الثانية الطاحنة بانهم لم يحققوا آمالهم التي منوا النفس بكسبها خلال حربهم الخاطفة ، وان الجيوش المدرعة الالمانية ليست بالقوات التي لا تقهر . فقد حل الشتاء الروسي القارس البرد ، والالمان يدقون بمطارقهم الضخمة ابواب موسكو ولننغراد اللتين استعصى عليهما فتحهما . فوقفوا متعبين حيارى امام الفريم الجبار الذي لا تنفذ موارده في الرجال ، رغم ما حاق به من النكبات والهزائم الماحقة ...

وجدّد الجيش الالمانى - الذي غدا الان تحت قيادة فون بك - هجومه في اواخر ربيع سنة ١٩٤٢ ، وظفر بمدينة كرش . وفي الوقت نفسه بدأت القوات الروسية بقيادة المارشال تيموشنكو هجومها فهددت مدينة خاركوف . غير ان « فون بك » قام بهجمة مضادة عبر نهر الدونetz ردتها على اعقابها ..

وبينما كان الالمان عام ١٩٤١ يرسلون هجماتهم الهائلة في القطاعات الرئيسية الروسية الثلاثة ، فانهم اكتفوا عام ١٩٤٢ بتركيز قواتهم وهجماتهم في القطاع الجنوبي ، حيث بدأوا هجومهم الكبير في ٢٨ حزيران فاستولوا على (سيباستبول) ، وبذلك دخلت في قبضتهم شبه جزيرة القرم جميعها .. ثم زحفت القوات الالمانية شرقا بين الدونetz واعالي نهر الدون، متوجهة شطر حقول بترول القوقاز ومدينة ستالينغراد ذات الاهمية

الصناعية الكبرى . وقد اصاب الالمان نجاحا في بادئ الامر ، فقد افلحوا في ارجاع الروس القهقري الى الشاطئ الغربي لنهر الدون ، وبلغوا سفوح جبال القوقاز في آب ..

وفي نهاية تشرين الاول وصلوا الى الطريق الحربي بمقاطعة جورجيا الذي يؤدي الى تيفليس ، ولكن زحفهم اوقف في تشرين الثاني . ثم اجبرتهم الضرورات الحربية في الميادين الاخرى على الانسحاب من القوقاز . ذلك ان الجيوش الالمانية عبرت نهر الدون في اواخر شهر آب سنة ١٩٤٢ وتقدمت الى مدينة ستالنفرد ، حيث نشبت معركة دموية طاحنة قلما شهد تاريخ الحروب لها مثيلا في الضراوة واستبسال المقاتلين الذين خاضوا غمارها .

فقد قاوم الروس بحمية منقطعة النظير هجمات الالمان ، ودافعوا عن مدينتهم شارعا شارعا وبيتا بيتا . ومع ان الالمان استولوا في النهاية على معظم انحاء المدينة ، الا ان ذلك كلفهم خسارة نحو مليون مقاتل من الملايين الاربعة التي حشروها في الجبهة الروسية . وكان لهذه النكبة ابعاد الاثر في ابطاء تقدمهم في الايام القادمة .

وفي ١٩ تشرين الثاني قام الجنرال زوكوف الروسي بهجمة مباغتة مكنته من الاحداق بالقوات الالمانية . واخفقت محاولات الالمان في اسعاف قواتهم . فاضطرت الى التسليم في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٤٣ . وكان لهذه الكارثة تأثير عميق والم ممض في نفوس الالمان .

فقد كانوا - كما سيجيء - قد اصيبوا بهزيمة فاصلة في ميدان شمال افريقيا ، حيث جرت في تشرين الاول سنة ١٩٤٢ معركة العلمين الدائنة الصيت التي كانت نقطة تحول في مصائر الحرب في ذلك الميدان الحيوي . وكاد تسليم القوات الالمانية في قطاع ستالنفرد يتفق تماما مع دخول الجيش الثامن البريطاني تونس .

دخول الولايات المتحدة واليابان الحرب

واخيرا تحركت

كانت الولايات المتحدة منحازة بعواطفها الى جانب الحلفاء ... وقد قدمت لهم مساعدات جمة اقتصادية وحربية ، بينما احتفظت اسميا بحيادها .. وكانت تسير باطراد منذ اعلان الحرب الى الاشتراك الفعلي في القتال .. في صف بريطانيا وفرنسا ، رغم معارضة اقلية قوية من زعمائها واهلها في زج بلادهم في شؤون اوروبا وجبالها ودسائسها ..

فعند نشوب الحرب العالمية الثانية في ايلول سنة ١٩٣٩ . اقرّ الرئيس روزفلت قانون الحياد الاميركي الذي حظر فيه تصدير الاسلحة على اختلاف انواعها الى جميع الدول المتحاربة دون استثناء . وكان هذا التشريع اضرّ ببريطانيا وفرنسا منه بالمانيا .

وكان روزفلت يعطف بكل جوانحه على قضية الحلفاء . فحضر (الكونغرس) على تعديل احكام هذا القانون بحيث يباح للرعايا الاميركيين بيع العتاد الحربي لمن يشاؤون .. فاقرّ الكونغرس الاميركي في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٣٩ قانونا سمح فيه للدول المتحاربة ان تبتاع نقدا من الاميركيين ما تريد من الاسلحة . شرط الا تنقل على بواخر اميركية . وكان هذا اقصى ما استطاع الراي العام الاميركي ان يهضمه في ذلك الحين لمساعدة بريطانيا وفرنسا .

فلما انهارت فرنسا في صيف سنة ١٩٤٠ ، ووقفت بريطانيا ومستعمراتها تحارب بمفردها الالمان الاشداء ، تعاظم اهتمام الولايات

المتحدة بمركز بريطانيا البالغ الحرج ، واشتد خوفها عليها من خطر الإبادة فاعلن روزفلت في خطاب القاه بجامعة فرجينيا في ١٠ حزيران « باننا سنمد اعداء العدوان بجميع الموارد المادية التي تملكها امتنا » .

كما اعلن بمقتضى قانون هافانا الذي اعتمده في ٢٩ تموز سنة ١٩٤٠ بأن مبدأ منرو يمتد الى حماية الولايات المتحدة للمستعمرات التي تملكها الدول الاوروبية باميركا . وذلك كي يحول دون انتقال مستعمرات فرنسا وهولندا (بعد وقوع هاتين الدولتين في حوزة المانيا) في اميركا الجنوبية الى قبضة النازيين . وفي آب انشأت الولايات المتحدة وكندا مجلسا مشتركا للدفاع .

وفي ٢ ايلول تم الاتفاق بين الولايات المتحدة وبريطانيا على ان تقرض الاولى الثانية خمسين مدمرة اميركية مقابل تأجير بريطانيا الى الولايات المتحدة عددا من القواعد البحرية والجوية في جزر الهند الغربية وجزيرة نيوفونلند لمدة تسع وتسعين سنة .

واعتمد روزفلت في ١١ آذار سنة ١٩٤١ « قانون الاعارة والتأجير » الشهير الذي جعل من الولايات المتحدة « المصنع الاكبر للديمقراطية » ، والذي وهبت بمقتضاه تلك البلاد لحليفاتها مواد حربية وغذائية وشحنات اخرى خلال سني الحرب قدرت قيمتها بما بين اربعين مليار دولار وخمسين مليار دولار . وقد تنازلت الولايات المتحدة بعد انتهاء العمل بهذا القانون في آب سنة ١٩٤٥ - تنازلت عن جميع هذه المبالغ الطائلة لحليفاتها . كما قدم روزفلت العون على الفور لبريطانيا والصين ، ثم مدّ نطاق هذا القانون الى روسيا حينما دخلت الحرب في جانب الحلفاء ، بعد اعتماد القانون بشهر ثلاثة .

وكذلك وضعت حكومة الولايات المتحدة يدها على جميع سفن المحور التي كانت قد اضطرت الى البقاء في موانئها خوفا من الوقوع في اسر الاسطول البريطاني اثناء عودتها الى بلادها ، ثم استحوذت ايضا في نيسان سنة ١٩٤١ على جزيرة (جرينلند) ، ووضعتها تحت حمايتها المؤقتة ، ووهبت بريطانيا في ايار خمسين سفينة لنقل البترول ، واستولت على السفن الفرنسية اللاحقة بثغور الولايات المتحدة ، وفي حزيران جمدت ثروات رعايا دولتي المحور ، واغلقت جميع قنصلياتها بالولايات المتحدة . واحتل الاسطول الاميركي جزيرة (ايسلند) بالاشتراك مع البريطانيين .

وتقابل الرئيس روزفلت وونستن تشرشل في ١٤ آب في خليج

ارجنتيا بجزيرة نيوفونلند ، حيث وضعوا « ميثاق الاطلنطي » الزائع الصيت الذي حوى « بعض المبادئ المشتركة التي بنت عليها الدولتان آمالهما لاقامة عالم افضل » في المستقبل .

وتتلخص هذه المبادئ في القضاء على التوسع الاستعماري وعدم الموافقة على اجراء تغييرات في حدود الدول لا تتفق ورغائب الشعوب صاحبة الشأن ، ونادى الميثاق بحق كل امة في اختيار نوع الحكومة التي ترضى بها ، وبمنح الحكم الذاتي للشعوب المحرومة منه ، وتخويل جميع الدول لا فرق بين المنصورة والمقهورة منها ، تخويلها الحصول على المواد الخام ، وتوفير التضافر الاقتصادي بين جميع الامم . واكد الميثاق نية الدولتين في السعي والجهاد في سبيل تحرير العالم من الحروب ، ومن الخوف ومن العوز وكفالة حرية البحار لجميع الدول ، والامتناع عن استخدام القوة كأداة لتسوية الخلافات الدولية .

وهذا الميثاق صورة مكررة من مبادئ الرئيس (ولسن) الاربعة عشرة الشهيرة . فكان الزعيمين باعادتهما تسجيلها في وثيقة رسمية في هذه الظروف قد اعترفا بحكمة تلك المبادئ التي نادى بها (وودرو ولسن) قبل ذلك بربع قرن . وجاء ذلك شاهدا آخر على اخفاق العالم في السير بمقتضاها خلال الفترة التي توسطت الحربين العالميتين .

وكان السبب المباشر لدخول الولايات المتحدة الحرب هو تطوّر الاحداث في الشرق الاقصى . وازدياد التوتر بينها وبين اليابان .

وكانت المعارك قد امتدت في الصين بين الجيوش اليابانية وجيوش شيان كاي شك . وكانت بريطانيا والولايات المتحدة تمددان قوات الصين ببعض المعونة الحربية عن طريق بورما والملايو ، فرغبت اليابان في احتلال هاتين المستعمرتين البريطانييتين ، حتى تقطع تلك الطريق ، وتستغل مواردهما الطبيعية الكبيرة . ورنّت ايضا بناظرها الى انتهاز فرصة انشغال الدول الاستعمارية العظمى في الحرب ، لتحقيق آمالها في اقامة امبراطورية الشرق الكبرى التي حلم اليابانيون بتشبيدها .

ووجد زعماء اليابان العسكريون في المانيا النازية وايطاليا الفاشية حليفين طبيعيين . فاعلن وزير الخارجية اليابانية ان سياسة بلاده ستقوم على « معاهدة الدول الثلاث » ، اليابان ومانيا وايطاليا . وطلبت اليابان من حكومة فيشي الضعيفة السماح لها ببناء مطارات في الهند الصينية . فرضت للطلب . فردت الولايات المتحدة على هذا الاجراء بتقديمها قرصا للصين ، وفرضها حصارا جزئيا على اليابان .

وبدا التوتر يشتد بين الدولتين في تموز سنة ١٩٤١ حين أعلنت اليابان في الخامس والعشرين منه انها اخذت على عاتقها حماية مستعمرة الهند الصينية الفرنسية . فرد روزفلت في اليوم التالي على ذلك الاعلان باتخاذ اجراءين خطيري الشأن كبير الدلالة : بان ضم القوات المسلحة لجمهورية الفلبين الى جيش الولايات المتحدة ، وعين الجنرال دجلاس مالك آرثر قائدا اعلى لقوات الولايات المتحدة في الشرق الاقصى ، واصدر امرا بتجميد الاموال والممتلكات اليابانية في الولايات المتحدة . وفعلت بريطانيا وهولندا مثله . فقطع بذلك عن اليابان جميع مواردها من المطاط والحديد الخردة وزيت البترول . فوطد حينئذ اقطاب العسكريين اليابانيين العزم على اعلان الحرب على تلك الدول بعد ثلاثة او اربعة اشهر . وارسلت الحكومة اليابانية وفدا الى الولايات المتحدة ، لازالة اسباب الاحتكاك بين الدولتين ، او سعيا لكسب الوقت لاستكمال تأهبها الحربي .

الهجوم

وبينما كانت المفاوضات تدور في واشنطن بين الفريقين ... سمع الاميركيون والعالم دون سابق انذار ان قاذفات القنابل اليابانية المنقولة على حاملات الطائرات اخذت في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والخمسين من صباح يوم الاحد ٧ كانون الاول ... تقذف الطرايد وتمطر القنابل على الاسطول الاميركي في المحيط الهادي الذي كان يرسو في قاعدته البحرية الكبيرة في (بيرل هاربر) بجزر هاواي . وبذلك قضت اليابان بضربة واحدة على التفوق البحري الاميركي في ذلك المحيط . وفي ظهر ذلك اليوم هاجمت الطائرات اليابانية الخارجة في جزيرة فورموزا مطارات الجيش الاميركي بالقرب من مانيل ، فانزلت بها خسائر مروعة . واخذ القواد المحليون الاميركيون ورجال الحكومة في واشنطن على غرة تامة ، وكادت الامة الاميركية لا تصدق انباء ذلك الهجوم الفادر . وسرعان ما انقلب عدم تصديقهم الى غضب هائل وتصميم قاطع على الانتقام من ذلك الهجوم الدنيء غير المستفز . فقطعت المفاوضات على الفور ، وعلن الكونغرس في اليوم التالي قيام حالة حرب مع اليابان . وبعد ايام ثلاثة اعلنت المانيا وايطاليا الحرب على الولايات المتحدة . وكان موقف الحلفاء الحربي حينما نزلت اميركا جومة الوغى - يبعث على شيء كثير من اليأس . فقد كانت جيوش هتلر المظفرة تسيطر على اوروبا الغربية ودول البلقان ، ومتوغلة في قلب روسيا التي بدت لمعظم المراقبين كائنها تشرق على

القاء سلاحها امام قوة عدوها القاهرة . وكانت اسبانيا تخضع لسلطان دكتاتور عسكري يدين الى مدى كبير بوجوده في منصة الحكم للمساعدات الحربية القيمة التي كانت دولتا المحور قد قدمتاها له ، ويتأهب في اية لحظة للانحياز الى جانبهما . وقد اوردت اسراب الفواصات الالمانية التي انتشرت في المحيط الاطلنطي سفن الحلفاء موارد التهلكة ، واغلق البحر المتوسط في وجه سفن الحلفاء ، فاضطرت الى استخدام طريق رأس الرجاء الصالح القديم في اسفارها الى مصر والهند ، وغدا شمال افريقيا من تونس الى حدود مصر الغربية خاضعا لسلطان المحور . وهدد (رومل) تهديدا خطيرا مركز البريطانيين كله في الشرق الادنى واخذ يطمع في الوصول الى قناة السويس ، ومنها يقفز الى فلسطين وسوريا . وبذلك يجبر - اكبر الظن - تركيا على الانحياز الى جانب المحور . كما هددت المانيا القوقاز وما بعد القوقاز بالاجتياح .

وكذلك اخذت النكبات الحربية في الشرق الاقصى تتعاقب على الحلفاء الواحدة في اثر الاخرى في سرعة مخيفة خلال الاشهر الثمانية التالية لدخول اليابان الحرب . فانه في اللحظة التي كانت الطائرات اليابانية تضرب الاسطول الاميركي الراسي في ميناء بيرل ضربة اقعدته عن العمل ، كانت قواتها البرية تنزل في (سيام) وشمال شرقي الملايو . ولم تطل مقاومة سيام اكثر من اربع وعشرين ساعة . ففتح سقوطها الطريق امام الجيش الياباني الى الملايو . وفي ١٠ كانون الاول اغرق اليابانيون في هجوم جوي صادق البارجتين البريطانيتين ويلس والبرتس اوف وايلس . فشلت السلاح البحري البريطاني في الشرق الاقصى ، وسهلت هذه النكبة على اليابانيين تحقيق جميع اهدافهم الرئيسية في آسيا الجنوبية الشرقية . فسقطت هونغ كونغ في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٤١ ، ورابول - القاعدة التي كانت تحمي استراليا - في كانون الثاني سنة ١٩٤٢ ، وسقطت سنغافورة التي كان البريطانيون قد انفقوا على تشييد حصونها نيفا وثلاثين مليون جنيه ، واعتمدوا عليها كل الاعتماد في الدفاع عن تلك الجهات . سقطت في ١٥ شباط بعد ضربها بالقنابل يومين . وسقطت ، الواحدة تلو الاخرى ، سومطرة وجاوا وبالي وتيمور وغيرها من جزر الهند الشرقية الاهلة بالسكان الوادعين النشيطين ، وذات الموارد الثمينة من آبار البترول والمزارع الكبيرة للمطاط . وبتسليم جاوا في ٩ آذار انهار نهائيا حاجز الملايو ، واصبح الطريق البحري الى استراليا مفتوحا في وجه اليابانيين . وحول جانب من القوات اليابانية وجهته بعد سقوط (الملايو) الى بورما ، حيث تقدم باطراد

رغم المقاومة الصادقة التي لقيها من مقاتلي الحلفاء الذين كانوا يشملون بعض الكتائب الصينية ، فبلغت القوات اليابانية في وقت وجيز خليج مرتبان ، واكرهت الجنود البريطانيين على الارتداد . وسقطت (رانجون) عاصمة بورما واهم ثغورها في السابغ من آذار ، ومندلبي - المدخل الجنوبي لطريق بورما - في اوائل ايار . وبلغت الجيوش اليابانية بعد ذلك بأسبوع اكياب على خليج بنغال . ودافع الاميركيون عن (باتان) و (كوريجيدور) دفاعا باسلا مجيدا ، يعاونهم الجنود الفلبينيون . حتى اضطر اخيرا الجنرال كننج الى التسليم مع جنوده البالغ عددهم ١٢٠٥٩٠ اميركا ، واكثر من ٦٠ الف فلبيني . . . والجنرال وايديت الى التسليم مع جيشه البالغ ١١ الفا من الاميركيين ، ونيفا وخمسين الفا من الفلبين .

وبذلك تقوّض في أقل من ستة اشهر الجانب الاكبر من الامبراطوريات الاستعمارية الخاضعة لبريطانيا وهولندا والولايات المتحدة في الشرق الاقصى . ولم يهو قطر في التاريخ الحديث مقام الجيس الابيض وهيبته كما هوى الى الدرك السحيق الذي انحدر اليه في ذلك الحين . كما انه لم تسم قط مكانة الشعوب الاسيوية وتعظم صولتها ، كما سمت مكانتها وعظمت صولتها في شهر حزيران سنة ١٩٤٢ . . .

واخيرا توقف الاندفاع

والى هنا وصلت قوة الدفع الياباني الى منتهاها نتيجة للمطار الموسمية الفزيرة التي يشتد هطولها في ذلك الفصل ، ولاضطراب اليابانيين الى تعزيز مراكزهم وتوطيد سيطرتهم على الفتوحات الكبيرة التي اتموها خلال هذه الاشهر الخمسة . وبذلك نجت الهند من الغزو الياباني . وتوقف الزحف الياباني في جزر المحيط الهادي ، بعد ان استولوا على (غينيا الجديدة) وجزائر سليمان في آذار سنة ١٩٤٢ ، ونزلوا في ٨ نيسان بجزر الاميرالية .

ما لبث الاميركيون بعد هذا ان اتخذوا خطة الهجوم . فقاموا بغارات جوية على مراكز اليابانيين المتعددة ، ووجهوا في ١٨ نيسان غارة جوية الى طوكيو احدثت اضرارا لا تذكر ، ولكنها القت بعض الدمر في نفوس اليابانيين .

واصيب اليابانيون في مطلع ايار بهزيمة بحرية كبيرة في معركة بحر المرجان ، فيما كانوا يحاولون الاستيلاء على ميناء مورسبي ، وهي قاعدة ذات موقع استراتيجي هام في غينيا الجديدة . وكان الجنرال ماك آرثر قد

اتخذها النقطة التي سيبدأ منها « طريق العودة » . وكانت هذه الموقعة الاولى التي احرز فيها الاسطول الاميركي نصرا حاسما في الحرب العالمية الثانية ، كما كانت ايضا المعركة البحرية الاولى في تاريخ العالم التي قامت فيها الطائرات المحمولة على حاملات الطائرات بتدمير بوارج الخصم ، دون ان تشهد اية سفينة من سفن الاسطولين المشتبكين في المعركة سفن العدو ، ثم اتبع الاميركيون هذا الفوز بنصر بحري آخر في اوائل حزيران ، اغرقوا فيه اربع حاملات طائرات كبيرة يابانية ، خلال هجوم اليابانيين على جزيرة (مدواي) . وكانت هذه المعركة من المعارك البحرية الفاصلة ، فقد حالت دون تنفيذ اليابانيين خططهم الرامية الى الاستيلاء على جزر كاليدونيا الجديدة وفيجي وصاموا . .

وتوقف القتال شهرين قام الفريقان في غضونهما بتضميد جراحهما ، والاستعداد للجولة التالية . وقد دامت هذه الجولة ستة اشهر من الاشتباكات الدموية البالغة العنف التي جرت على مقربة من (بونا جونا) في غينيا الجديدة لامتلاك جزر جوادال .

ويتعذر علينا ان نصف هنا بالتفصيل هذه المارزة الطويلة الامد البالغة الشراسة ، والتي تعج بالوان البسالة وصنوف الشقاء . . . يكفي ان نشير الى معركة جزيرة (سافرو) التي باغتت في الساعات الاولى من صباح ٩ آب مجموعة من الطرادات اليابانية قسما من الاسطولين الاميركي والاورستالي ، وكادت تدمره عن آخره . . . فقد اغرقت اربعة من الطرادات الاميركية والطرادات الاورستالية الخمسة ، دون ان تصاب القوة البحرية اليابانية الا بخسائر طفيفة فكانت معركة جزيرة (سافرو) اسوأ هزيمة لحقت بالاسطول الاميركي في تاريخ البحرية الاميركية ، وكان لها نتائج بعيدة الاثر . . . كذلك نشبت معارك حامية بين حاملات الطائرات في جزر سليمان الشرقية في ٢٤ آب وعند جزر سانتا كروز (٢٦ - ٢٧ تشرين الاول) ، كما كانت تنشب معارك جوية كل يوم تقريبا في غضون تلك الاشهر الستة .

التحام الاسطولين

واخيرا التحم الاسطولان الاميركي والياباني في معركة جوادال المروعة (١٢ - ١٥ تشرين الثاني) . . . التي خسر فيها الاميركيون طرادين وسبع مدمرات ، وفقد اليابانيون بارجتين وطرادا ومدمرتين وعشر نقلات ، فازداد الاميركيون ثقة في النتيجة النهائية للنضال . وما جاء التاسع من شباط

سنة ١٩٤٣ حتى كان اليابانيون قد اخلوا جزر جوادال ... ومع ان اليابانيين بزوا في بادئ دخولهم الحرب انفسهم في سرعة زحفهم وقوة بطشهم ... ومع ان دول المحور كانت تحتل حتى صيف سنة ١٩٤٢ مساحات شاسعة من اراضي اعدائها ، فان هذا النضال العالي الضروس بدا للمراقب غير المتحيز وكأنه ناشب بين قوتين تكادان تكونان متعادلتين ، ففي الكفة الواحدة نرى المانيا وايطاليا واليابان وعددا من الدول الصغيرة التي سارت في فلکها ، وفي الكفة المقابلة نرى بريطانيا ومستعمراتها المستقلة ذوات الموارد الطبيعية الهائلة ، وروسيا والولايات المتحدة والصين ومعظم دول اميركا الجنوبية .

تفوق الحلفاء

وكان للحلفاء بالتأكيد تفوق ظاهر في عدد المقاتلين الذين يستطيعون انزالهم الى ساحات القتال .. والعمال الذين ينتجون العتاد الحربي ، وقد خفض الى حد ما من قيمة هذا التفوق استيلاء المانيا واليابان على مساحات شاسعة جدا من اراضي اعدائهما الآهلة بالسكان ، الفنية بالموارد الطبيعية . وبذلك امكن للامان واليابانيين ان يسخروا ملايين العمال من الامم الخاضعة لهم للعمل بمصانعهم الحربية ، وان يستغلوا قمح اوكرانيا ورومانيا ، وبترول رومانيا وجزر الهند الشرقية ، ومناجم القصدير ، ومزارع المطاط ، والكيين في بلدان الشرق الاقصى .

وكان الحلفاء في الكفة الاخرى يسيطرون على الجزء الاكبر من موارد البترول والحديد في نصف الكرة الغربي ... كذلك كانوا يتفوقون على اعدائهم في امرين خطيرين : الاول ، ففي تضافرهم وتمكنهم من توحيد صفوفهم ، فلم يكن في داخل بلادهم طواير خاصة تخدم الخصوم ، ولا مثيرو فتن وقلقل ، ولا قوات مقاومة ، كالذين غصت بهم الاقطار التي احتلتها دول المحور مثل فرنسا وبولونيا واليونان ويوغسلافيا ، ولا متآمرون كهؤلاء الذين حاولوا اغتيال هتلر وقلب حكومته في اول صيف سنة ١٩٤٤ ، مما يقلل من جهود تلك الدول ويستنزف قواتها .

وكان الامر الثاني الذي تفوق به الحلفاء توفيقهم الفريد في مجال الزعامة ، فقد وجدت بريطانيا خلال اشد ساعات محنتها اعظم زعيم حربي تولى تسيير دفتها منذ عهد لورد تشاتم : وذلك في شخص ونستن تشرشل ، وكذلك حالف التوفيق الاميركيون في ان قصاد صفوفهم قرنكلين روزفلت الذي اوتي قسطا وافرا من قوة العزيمة وصلابة الارادة والحكمة السياسية

والنجدة الحربية . وكان كلا الزعيمين محبوبا في بلاده وفي بلاد حلفائه ظافرا بثقة شعوبها .

اما دول المحور فلم تتمكن من ان تحقق فيما بينها اتحادا حقيقيا في الاهداف السياسية ، او توحيدا للخطط الحربية ، او اشتراكا في انتاج الاسلحة او تبادلا للاسرار العلمية . وكانت ايطاليا بالوعة استنزفت جانبها كبيرا من قوة حليفتها المانيا . وقاتلت اليابان في ميادينها الخاصة لتحقيق مصالحها الخاصة ، دون ان تحفل بالمصالح الالمانية .

مثال ذلك ، كان الهجوم الياباني على ميناء (بيرل هربر) مخالفا لرغبات هتلر والقيادة العليا الالمانية اللذين كانا يفضلان ان تتسرك اليابان اميركا جانبا ، ولو الى حين ، وان تنفض على روسيا من الشرق ، ولم تكن حتى خطط الجيش الياباني متناسقة مع خطط الاسطول الياباني . ولم يكن لدول المحور هيئة اركان عليا موحدة توفق بين اعمال جيوشها المتعددة في ساحات القتال بقارات اوربا وافريقيا وآسيا .



الحلفاء يبدأون هجومهم

الحرب في شمال افريقيا

بينما كان ونستن تشرشل يتحدث مع الرئيس روزفلت في البيت الابيض خلال زيارة قام بها لواشنطن في حزيران سنة ١٩٤٢ ، نقلوا اليه نبأ استيلاء الالمان على طبرق بليبيا . ولقد اعترف ونستن تشرشل لخاصته يومئذ بأنه يعد نفسه « اعمس انكليزي زار اميركا منذ ان سلم الجنرال برجونني قواته لعدوه » ذلك ان الجيش البريطاني فقد في طبرق معظم دباباته وكميات هائلة من العتاد والمؤونة ، واصبح الطريق الى القاهرة وقناة السويس مفتوحا امام الالمان الظافرين ..

وكان ان تحصن الجنرال الكسندر القائد البريطاني العام لجيوش الشرق الادنى ومساعدته الجنرال منتجومي ، في العلمين ، وهو موقع استراتيجي منيع يساعد المدافعين على الصمود في وجه العدو ، ريثما تصل الامدادات المطلوبة .. وقد بعثت اميركا على وجه السرعة اربعمئة دبابة كبيرة الى الجيش البريطاني بمصر بحيث تمكن القائد الانكليزيان من وقف رومل في زحفه الخاطف صوب النيل .

وكان قادة انكلترا والولايات المتحدة قد وصلوا اثناء زيارة تشرشل هذه الى اتفاق بشأن شن هجوم كبير على قوات دولتي المحور في شمال افريقيا تمهيدا لفتح الجبهة الغربية التي كانت روسيا ، تلج عليها بفتحها في اوربا ، تخفيفا لضغط الجيوش الالمانية الهائل عليها في الجبهة الشرقية ...

واتفق على ان تزحف غربا القوات البريطانية في مصر في نفس الوقت الذي يفزو فيه جيش اميركي - بريطاني بقيادة الجنرال منتجومي في ليل ٢٣ تشرين الاول سنة ١٩٤٢ ، ليخترق خطوط الدفاع الرئيسية للقوات الالمانية بقيادة (رومل) بعد معركة حامية في العلمين . واخذ الجيش الثامن يجرف امامه الالمان باطراد ودون توقف . فطاردهم ١٣٥٠ ميلا في اثنين وثمانين يوما . واستعاد طبرق في ١٢ تشرين الثاني ، وسقطت في يده العقيلة في ١٤ كانون الاول وطرابلس في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٣ . مما اضطر رومل الى الاحتماء بخط مارت الحربي وراء حدود تونس ، وهو منطقة كان الفرنسيون قد حصنوها تحصينا منيعا ، كي يردوا هجمات الايطاليين عليهم فيما لو فكروا بذلك ...

كما نزلت القوات الاميركية والبريطانية التي جاءت من الاطلنطي لاحتلال افريقيا الشمالية الفرنسية - نزلت على مقربة من (الدار البيضاء) ووهران والجزائر في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٩٤٢ ، وتمكنت من الاستيلاء على هذه البلاد دون ان تلقى اية مقاومة تقريبا من الفرنسيين ، وان كان هؤلاء لم يظهروا سوى رغبة زهيدة في التعاون مع الغزاة . وكان رد الالمان على نزول الحلفاء بشمال افريقيا ان بعثوا بقواتهم الى تونس واحتلوا في ١١ تشرين الثاني جميع الاراضي الخاضعة لحكومة فيشي ، فيما عدا طولون التي كان يرسو بمينائها الاسطول الفرنسي ، ولكن الالمان دخاوا هذا الثغر بعد ذلك باسبوعين للاستيلاء على الاسطول خوفا من فراره وانضمامه الى الحلفاء - غير ان الفرنسيين اثروا اغراقه بأيديهم .

واخذ رومل الآن يواجه قوات العدو الزاحفة من جبهتين : الجيش الثامن البريطاني من الشرق ، والجيش الاول البريطاني يعاونه فرقة اميركية وعدد من الكتائب الفرنسية من الغرب . وقد حاولت القوات الالمانية مرتين : الاولى في شباط والثانية في اوائل آذار سنة ١٩٤٣ - حاولت شن هجمات عنيفة عليها تحدث التواء في خط هجوم الحلفاء في جنوب تونس . ولكنها اخفقت في كلتا المرات ..

ومن ثم تابعت هزائم الالمان ، واضطروا الى الارتداد بلدة بلدة .. وموقعا موقعا .. امام جيوش اعدائهم المظفرة . ففي ليلة ٢٠ آذار هجم الجيش الثامن هجمة صادقة على خط مارت واخترقه . وما جاء اليوم السابع من نيسان حتى تم الاتصال بين جيوش الحلفاء الزاحفة شرقا وغربا بعضها ببعض . وفي ٥ ايار قام الحلفاء بهجمة شديدة انتهت القتال في ميدان شمال افريقيا . فدخلت الكتائب الاميركية « بيزرته » ، ودخل الجيش

الاول البريطاني تونس في ٧ ايار . ولم يمض اسبوع بعد ذلك حتى استسلمت جميع قوات المحور في ذلك الميدان لاعدائها . وقد بلغ عدد الاسرى منها نحو ربع مليون جندي كانوا يؤلفون بعضا من خيرة الفرق الالمانية والاطالية .

وكان (رومل) قد غادر افريقيا قبل ذلك مع كبار معاونيه الى المانيا ، حيث وكل اليه هتلر اعداد العدة لمواجهة نزول جيوش الحلفاء المرتقب بفرنسا . ولكنه لقي مصرعه في صيف سنة ١٩٤٤ . وتضاربت الروايات في كيفية مقتله . فمن قائل ان هتلر اجبره على اكرتاع السم حين كشف ضلعه في المؤامرة التي دبرت لاغتياله في تموز سنة ١٩٤٤ واقصاء النازيين عن كراسي الحكم . اما الرواية الرسمية فأعلنت انه قتل في حادث اصطدام جرى لسيارته خلال غارة جوية للحلفاء .

استسلام ايطاليا

وكان من أهم نتائج النصر الكبير الذي ظفر به الحلفاء انهيار روح الايطاليين المعنوية ، وترددتهم في القتال ، ونشاط المتأمرين على موسوليني للقضاء على نظام حكمه ، ومضى الحلفاء في تطهير البحر الابيض المتوسط من قوات العدو البحرية حتى يتمكنوا من استخدامه في نقل جنودهم ومهماتهم الحربية . فهجموا في اوائل حزيران سنة ١٩٤٣ على جزيرتي بنتلاريا ، ولبيدوسا الحصينتين واستولوا عليهما . ثم نزلوا بصقلية وما انتهى شهر آب حتى كانت تلك الجزيرة بأكملها قد وقعت في أيديهم . وكان موسوليني قد استقال من منصبه في ٢٥ تموز . ثم القي القبض عليه وسجن في معتقل خاص . وخلفه في رئاسة الحكومة المارشال بادوليو ، فشرع على الفور الاتصال بالحلفاء لوقف القتال . وعقد الهدنة . وقد امضيت هذه الهدنة في ٣ ايلول . وكان من أهم شروطها استسلام الايطاليين بدون قيد أو شرط ، وتوقف قواتهم البرية عن القتال وتسليمهم اسطولهم البحري والجوي الى الحلفاء ، وضمانهم استخدام الحلفاء لجميع الموانئ والمطارات الايطالية .

فلما عرف الالمان بخبر هذه الهدنة احتلوا روما في ١٠ ايلول وسيطروا على جميع مرافق البلاد ، ولا سيما في الشمال . ففر المارشال بادوليو ورجال حكومته الى مراكز الحلفاء ، واعلنوا الحرب على المانيا وعدت ايطاليا دولة محاربة في صفوف الحلفاء . ونزل البريطانيون في كالبريا بجنوب ايطاليا في ٣ ايلول ، ونزل الاميركيون في سالرنو جنوب نابولي في ٩ ايلول . فركز الالمان فوراً قواتهم في قطاع سالرنو . وزحفت

وحدات من الجيش الثامن البريطاني واستولت على مدن تارنتو وبرنديزي وباري ، واتصل البريطانيون بالاميركيين ، وقاموا معاً بهجمات صادقة طردت الالمان من سالرنو . وسقطت نابلي في اول تشرين الاول في ايدي الاميركيين ، فتراجع الالمان للاحتماء بخط دفاعي اقاموه عند نهر الفلتورنو . ثم تمكن الاميركيون في منتصف تشرين الاول من عبور النهر ودفعوا الالمان امامهم الى ما وراء نهر الجارليانو .

وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٤ عبرت قوات الحلفاء نهر الجارليانو، وانزلوا بعد ذلك بيومين بعض كتائبهم في انزوي كي يقطعوا على مؤخرة الالمان خط الرجعة . ولكن المارشال كسلرنج القائد الاعلى للجيش الالمانية بايطاليا استطاع ان يوقف تقدم الحلفاء قرابة اربعة اشهر في الاقليم الجبلي القريب من كاسينو . فلم تتمكن جيوش الحلفاء من اقصاص غريمها من مواقعه المنيعه الا في ايار ، حين اكرهت على التقهقر العاجل صوب الشمال . وسقطت روما في ايدي الجيش الخامس الاميركي في ٤ حزيران اي قبل يومين من نزول الحلفاء في نورمندي بشمال فرنسا .

وعلى الاثر اخذت المدن الايطالية تسقط في قبضة الحلفاء فسقطت لجهورن في تموز ، وفلورنسا في ١١ آب ، وبيزا في اول ايلول ، وريميني في الثاني والعشرين منه ، ورافنا في اوائل كانون الاول .

واوقف سوء الاحوال الجوية وزمهرير الشتاء زحف الحلفاء البطيء - لكنه الزحف المطرد - خلال شهور الشتاء . ولكنهم بدأوا في العاشر من نيسان سنة ١٩٤٥ المرحلة الاخيرة من الحرب في ايطاليا ، فهاجموا الالمان من كل جانبي شبه الجزيرة ، فسقطت بولونا ثم جنوه . وعلى الاثر انهارت دفعة واحدة قوى الالمان ، واخذوا يستسلمون فسي اعداد كبيرة ، فارسل كسلرنج مندوبين عنه كي يفاوضوا الحلفاء في شروطهم ، وتم التوقيع في ٢٩ نيسان . وبمقتضاها استسلم الالمان ، والقوا بأسلحتهم دون قيد أو شرط ، وتوقفوا عن القتال في الثاني من ايار .

وكان الالمان قبل هذا قد عرفوا مكان موسوليني ، فبعثوا جوا بسرية من الجنود الفدائيين انقذته من سجنه . والف موسوليني حكومة ايطالية مناصرة لهم . وعند انحسار قوتهم ، اضطر الى التقهقر معهم .

واخيرا تمكنت احدى كتائب المقاومة الايطالية من القاء القبض عليه في ٢٨ نيسان سنة ١٩٤٥ مع نفر من انصاره الفاشيين في بلدة (دنجو) على بحيرة كومو ، حيث اجريت له محاكمة صورية ، وحكم قضاته عليه بالاعدام . فاعدم هو وبعض رفاقه رميا بالرصاص . وعلقت جثثهم في بعض ميادين تومو وميلان المقر القديم لرئاسة الحزب الفاشي .

الحرب في روسيا

وكان الاميركيون والبريطانيون قد ارسلوا كميات ضخمة من العتاد الحربي الى الروس عن طريق ايران وبحر قزوين بعد ان احتلت قوات بريطانية وروسية مواقع استراتيجية في ايران في آب سنة ١٩٤١ .

وما أن اشرف عام ١٩٤٢ على الانتهاء حتى كان الزحف الالماني الهائل على الاراضي الروسية قد بدأ في الانحسار ، وتحول المد بعد هزيمة الالمان الدموية في (ستالينغراد) الى ارتداد عاجل . فاكروا على الجلاء عن القوقاز . ثم عن حوض الدونetz ، واسترجع الروس مدينة خاركوف . . كما تحول الروس في القطاع الشمالي الى الهجوم .

وما جاء منتصف كانون الثاني سنة ١٩٤٣ حتى كانوا قد تمكنوا من رفع الحصار عن لينغراد .

وفي نهاية شباط قام المارشال تيموشنكو بهجوم ظافر على الالمان في جنوب بحيرة (المن ، وحرر موسكو من تهديداتهم لها ، وهو التهديد الذي ظل مصلتا عليها منذ اواخر سنة ١٩٤١ .

وكانت هجمات الروس في جبهاتهم متفككة في توقيتها مع هجمات الحلفاء في شمال افريقيا ثم في ايطاليا وقد توقف القتال اثناء الشتاء في جميع القطاعات . ثم استؤنف الصراع الهائل في تموز سنة ١٩٤٣ بهجمة المانية قام بها على نتوء (كورسك) . فشن الروس هجمات مضادة عنيفة على طول الجبهة الممتدة في (اورال) الى البحر الاسود ، وأخذوا يتقدمون تقدما مطردا . فاستردوا (سمولنسك) في اواخر ايلول ، (وكييف) في ٦ تشرين الثاني . وجرفوا الالمان امامهم الى خط الدنيبر جنوبا ، وما انصرمت سنة ١٩٤٣ حتى كان الجيش الروسي قد حرر فعلا ثلثي الاراضي التي كان الالمان قد احتلوها من ارض الوطن . .

وحول الروس هجومهم الرئيسي في كانون الثاني سنة ١٩٤٤ الى الجبهة الشمالية ، حيث اخترقوا خطوط الالمان حول لينغراد ، واكروههم على الارتداد من مواقع ظلت في قبضتهم منذ سنة ١٩٤١ . فاضطرت القوات الالمانية الى الانسحاب حتى نهر النارفا وولايات البلطيق .

وفي الوقت نفسه واصل الروس تقدمهم المطرد في قطاعات اخرى من ميدان الحرب . فسقطت رفنو ولوك في اوائل شباط سنة ١٩٤٤ ، وتراجع

الالمان من اوكرانيا ، ومنوا بهزيمة كبرى بالقرب من (غورسون) حيث تمكن الروس من تطويق عشر فرق المانية وابادتها قتلا واسرا . واستمر النصر حليف الروس خلال شهر آذار ، قبل ان ينهمر المطر وتذوب الثلوج التي تغطي الارض ، فيجبر المتحاربون على وقف القتال حتى حلول الصيف . فعبروا انهار بوج و (دنيستر) و (بروث) وانتزعوا اودسا في ١٠ نيسان .

ثم غزا الروس شبه جزيرة القرم ، واستعادوها باكملها في اسبوع ، فيما عدا (سيباستبول) التي امتنعت عليهم حتى اوائل شهر ايار . وبذلك اقترب الروس من الاراضي الالمانية والممالك البلقانية التي كانت تدور في فلك هتلر . ففي الشمال وقف الروس على حدود استونيا ، وفي الوسط وصلوا الى مقربة من حدود بولونيا ، وفي الجنوب تجاوزوا حدود رومانيا .

الحرب الهجومية في غرب اوروبا

ورأى البريطانيون والاميركيون ان يمهّدوا لفتح الجبهة الغربية باوروبا بارسال غارات جوية هائلة لضرب الجسور والسكك الحديدية والموانئ والقنوات والمصانع في المانيا وفرنسا ضربا متواسلا لا هوادة فيه ولا رحمة لعرقلة طرق النقل ، والقضاء على الانتاج الالماني والقاء الفرع في قلب غريمهم .

واخذ الحلفاء في بادئ الامر يقومون بغارات جوية فتاكة على اهداف معينة في المانيا والاقطار التي احتلتها ، وازدادت باطراد تلك الغارات كثرة في العدد واتساعا في النطاق ، وشدة في التدمير منذ ربيع سنة ١٩٤٢ . فامطرت الطائرات البريطانية بالقنابل مصنع آلات الديزل في (اوجز برج) في نيسان . وفي ليل ٣٠ ايار بدأت القارة الاولى من سلسلة الغارات الكثيرة التي كانت الواحدة منها تتألف من الف قاذفة قنابل او اكثر حينما اغار البريطانيون على طولون ثم تعاقبت غاراتهم على المدن الصناعية (اسن) و (برمن) و (اسنابريك) الالمانية ثم جاء دور الاميركيين ، فبدأوا في كانون الثاني سنة ١٩٤٣ سلسلة من الغارات النهارية الكبيرة التي كانت كل غارة منها تتألف من عدد هائل من قاذفات القنابل الضخمة . واستخدمت في تلك الغارات قنابل اعظم فتكا وطرقا جديدة ادق احكاما في اصابة المرمى . وزود الحلفاء انتصاراتهم في البحر الابيض وايطاليا بقواعد جوية اقرب الى الاهداف الواقعة في وسط المانيا ومواقع استخراج البترول في رومانيا .

واستمرت هذه الفارات الجوية الكبيرة طوال سنة ١٩٤٣ وازدادت عنفا وتدميرا في العام التالي . ولقد استمر تفوق الحلفاء في الجو دون منازع الى ان وضعت الحرب اوزارها . وتبدو ضخامة الحرب الجوية التي شنوها في غرب اوربا من الارقام التالية : فقد ارسلت القوتان الجويتان البريطانية والأميركية خلال الحرب ١٤٤٤٢٠٢٨٠ من قاذفات القنابل و ٢٦٨٦٨٠٠ طائرة مقاتلة .

والقت هذه القاذفات ٢٦٩٧٤٧٣ طنا من القنابل والمتفجرات على الاراضي الألمانية والاقطار التي احتلتها . وقد القى اكثر من نصف هذه الكمية على ألمانيا ، ونحو السبع على مراكز الألمان بفرنسا ونحو السبع ايضا على إيطاليا . وبلغ مجموع الرجال من طيارين ومهندسين وغيرهم ممن استخدموا في طيراتها ١٦٣٣٥٠٠٠ رجل ، وفقد الحلفاء خلال غاراتهم اكثر من اربعين الف طائرة و ١٥٨٤٠٠٠ طيار . وخسر الألمان خلال الحرب ٥٧٠٠٠ طائرة ، وقتل نحو ٣٠٠٤٠٠٠ رجل .

وقتل واصيب في ألمانيا من جراء هذه الفارات نحو مليون شخص من المدنيين . ودمر فيها ٣٦٠٠٤٠٠٠ بيت ومبنى تدميرا كليا ، كما خربت كل مدينة كبيرة ألمانية تخريبا كاد يكون تاما . .

وقد ابدى الألمان حقا رباطة جأش وبسالة وتجلدا وقوة احتمال نادرة المثال . واحتفظوا الى آخر الشوط المرير بروح معنوية رفيعة . واستمروا يواصلون اعمالهم الحربية وواجباتهم المنوطة بهم في مختلف ميادين الصناعة ، رغم الخراب الشامل الذي احاط بهم من كل جانب وواصلوا القيام باعمالهم الى ما قبل نهاية الحرب . .

فقد انتجت ألمانيا سنة ١٩٤٢ ١٥٤ الف طائرة . . وسنة ١٩٤٣ ٢٥٤ الف طائرة ، وسنة ١٩٤٤ ٤٠٤ الف طائرة و ٣٥٧ غواصة ، رغم الفارات الجوية الهائلة التي امطرتهم تدميرا وموتا ورعبا طيلة هذه السنين . ومع ان طائرات الحلفاء القت نحو ٢٠ الف طن من القنابل على مصانع المطاط الصناعي الألمانية ، فقد ازداد انتاج هذا المطاط اطرادا حتى صيف سنة ١٩٤٤ . ومثل هذا استمرت الزيادة اطرادا في صنع الصلب والمصفحات والمتفجرات . ولكن غارات الحلفاء الجوية اثرت تأثيرا حاسما في انقراض كمية البترول الصناعي الذي انتجته ألمانيا ، وفي عرقلة طرق النقل . . .

وفي المرحلة الاخيرة من هذه المبارزات الجوية الضخمة التي جرت في سماء غرب اوربا استخدم الألمان مقذوفات ضخمة هي عبارة عن قنابل طائرة نفثة ذات مدى بعيد رمز اليها اصطلاحا بحرف « ف » عرفت بحرف ف ٢ . وكان الألمان يطلقون هذه المقذوفات الصاروخية من قواعد شيدوها على طول شواطئ فرنسا وبلجيكا وهولندا على القنال الانكليزي وبحر الشمال . ولكن خبر هذا السلاح الرهيب وصل الى سمع اقلام المخابرات البريطانية . فركز السلاح الجوي البريطاني جهدا كبيرا في مهاجمة وتدمير مصانع تلك المقذوفات وقواعدها ، ورغم الاحتياطات الكثيرة التي اتخذت ، فقد اخذ الألمان يقذفون لندن بهذه القنابل الطائرة في ١٣ تموز سنة ١٩٤٤ ، اي بعد نزول قوات الحلفاء على ساحل نورمندي بسبعة ايام . ثم بدأت الهجمات الاولى بالقنابل الصاروخية في ٨ ايلول . ولقد ألحقت هذه المقذوفات خسائر كبيرة في ارواح الانكليز واملاكهم ، حتى قضى الحلفاء على خطرهما في شهر تشرين الاول حين اكملوا احتلال مملكتي الاراضي المنخفضة .

الايام الاخيرة للحرب

لقد اخذت هذه الحرب المدمرة المروعة تقترب في خطى خبيثة الى الارض الألمانية . واخذت بريطانيا واميركا تعملان في همة ونشاط هائلين استعدادا لفتح الجبهة الغربية لتحرير الدول والشعوب التي سطا عليها الألمان في حروبهم الخاطفة في ربيع سنة ١٩٤٠ ، ولتنقل ميدان القتال الى ارض العدو . . وعين الجنرال ايزنهاور في كانون الاول سنة ١٩٤٣ قائدا اعلى لقوات الغزو ، وعين الجنرال منتجوميري قائدا للجيش البريطانية التي تحت امرة ايزنهاور .

وبدا غزو الحلفاء في صباح ٦ حزيران سنة ١٩٤٤ حين اخذوا ينزلون جنودهم على الساحل الشمالي الفرنسي بين شربورج والهافر وكانت قد اتخذت جميع الاستعدادات الممكنة لتسهيل عملية نزول الجنود ونقل المهمات الحربية الى البر . فصنع في بريطانيا مرفأ صناعيان هائلان ، ونقلتا قطعاً عبر القنال الانكليزي وجمعت اجزاؤها على رقعة من الشاطئ الفرنسي .

وكان الحلفاء يسيطرون على البحر والجو . وقد مكنتهم تفوقهم الجوي من تدمير مواصلات العدو وموارده ، ومكنتهم تفوقهم البحري من ارسال

العتاد والمؤونة والامدادات الى قواتهم الفائزة دون عناء كبير .
وبدا الحلفاء عملية الغزو بارسالهم جوا قوات كبيرة من الجند المدربين،
امكنهم ان ينتزعوا رقعة من الساحل الفرنسي اتخذوها قاعدة بحرية بعد ان
وطدوا اقدامهم بها . ثم وجهوا اهتمامهم الى انتزاع (شربورج) و (كان)
من القوات الالمانية . فاستولى الاميركيون في ٢٦ حزيران على (شربورج) ،
وانتزع البريطانيون (كان) في ٩ تموز بعد قتال مريع . وبذلك امتلك
الحلفاء مرفأين كبيرين على ساحل نورمندي مكناهم من انزال جنودهم
وعتادهم في سهولة ويسر . . .

ومن ثم اخذ سقوط المدن الفرنسية يتوالى في تعاقب سريع .
فاستولى جيش اميركي على (سان لو) ، وسقطت (نانت) في ١٠ آب .
وبعد اسبوع حررت (سارتر) و (اورليان) . واحرز الجنرال منتجومري
انتصارا حاسما على مقربة من (فاليز) ، وعبرت وحدات بريطانية نهر
السين في ٢٥ آب ، وطاردت الالمان الى السوم . وحرر اعضاء حركة المقاومة
الفرنسية السرية باريس . . . في ٢٣ آب ، ودخل الجنرال ديفول قائد
القوات الفرنسية التي حاربت في جانب الحلفاء . . . بعد يومين باريس دخول
الظافر المنصور .

وفي نفس الوقت تقريبا الذي اخترق فيه الحلفاء خطوط الالمان الى
نهر السين ، انزلوا جنودهم على ساحل الر فييرا الفرنسي بين طولون ونيس .
فأبدي الالمان هناك مقاومة ضعيفة نسبيا . وبعد ان وطد الحلفاء مراكزهم
على شاطئ فرنسا الجنوبي ، شرعوا يطاردون الالمان . فسقطت (طولون)
و (مرسيليا) في اواخر آب و (ليون) في ٢ ايلول . وما انتصف ذلك
الشهر حتى كانت معظم اراضي فرنسا فيما عدا موانئ المحيط الاطلسي
ومقاطعتي الازراس واللورين - قد حررت .

الى الامام

اخذ الحلفاء بعد ذلك يشددون ضغطهم على الجيش الالمانى الذي
يحتل بلجيكا وهولندا . ذلك ان القوات البريطانية والكندية كانت قد
استحوذت على اميان ، وعبرت السوم ، واستولت على آراس ، واجتازت
حدود بلجيكا ، وحررت بروكسيل في ٣ ايلول و (انتورب) في اليوم التالي
وانضمت في ٥ ايلول الجنود الاميركية بعد تحريرها (شارلوا) و (نامور)
الى الجيش البريطاني . وفي منتصف ايلول وصلت قوات الحلفاء الى نهر

الاماس والرين الادنى . ووقع جنوب هولندا في قبضة البريطانيين . ووصلت
القوات الفرنسية الى مالهوزن واستحوذ الاميركيون على (ستراسبورج) . .
وبذلك وصل الحلفاء الى حدود المانيا الغربية ، حيث عقد الالمان تصميمهم
على الوقوف في وجه العدو وقفتهم الاخيرة . فاسقط الحلفاء من طائرات
كبيرة جنودهم في جنوب شرقي هولندا كي يظفروا بمعبر للنهرين ، ولكي
يطوقوا خط (سيجمريد) من الشمال . ولكنهم اخفقوا في محاولتهم وخف
تقدمهم في منتصف تشرين الاول . ذلك ان خطوط امداداتهم طالت كثيرا
وابتعدت مسافات كبيرة عن المراكز الرئيسية لتموينهم ، فتوقفوا قليلا كي
يركزوا قواتهم لعبور نهر الرين والتقدم في الاراضي الالمانية .

واخذ الالمان الان في كلتا الجبهتين الشرقية والغربية يدودون عن
ارض الوطن ، ذلك ان الروس عبروا برزخ كارليان ، واخترقوا خط مانرهم ،
وساقوا في الشمال الالمان امامهم بين بحيرتي لادوجا واوينا . فاضطر
الفنلنديون الى القاء سلاحهم قبيل ختام آب سنة ١٩٤٤ وبمقتضى احكام
الهدنة التي وقعوها مع الروس ، تعهدوا بان ينسحب جنودهم الى الحدود
التي رسمتها معاهدة سنة ١٩٤٠ بين الدولتين ، وان يسلموا (بتسامو) الى
روسيا ، وان يدفعوا لها تعويضات حربية قدرها ثلاثمائة مليون دولار . .

وفي نفس الوقت الذي جرت فيه هذه الاحداث بدأ هجوم روسي في
جبهة روسيا البيضاء في اواخر شهر حزيران . فسقطت في ايديهم
بلدة فيتبسك في ٢٦ حزيران سنة ١٩٤٤ حيث احدثوا بخمس فرق المانية
وابادوا معظمها واضطرت بقيتها الى التسليم وفي الوقت نفسه قام الروس
بهجوم قوي في بولونا ، فاستولوا على مينسك عاصمة روسيا البيضاء .
وتقدموا على جبهة طولها مائتي ميل . وما لبثت جحافلهم ان تدفقت على
دويلات البلطيق وبولونيا وسقطت مدن بولونيا الحصينة في ايديهم ، الواحدة
بعد الاخرى . ووصلوا الى نهر الفستولا . فصاروا بذلك على مدى عشرة
اميال من وارسو . فقام اهل هذه العاصمة في وجه المحتلين . ولكن
الحامية الالمانية قمعت الثورة بشدة ، وهدمت دون شفقة ما كان قد
تبقي من مباني العاصمة . .

وكان الروس قد اخذوا يسرعون في زحفهم عبر اراضي
الدويلات البلطية الواقعة شمال بولونيا . فسقطت في ايديهم في تعاقب
سريع ايسكوف ونارفار وادفنسك ، وسقطت (كونس) عاصمة لثوانيا في
اول آب ، غير ان الالمان جمعوا شملهم على حدود بروسيا الشرقية ،
واستماؤوا في القتال . فتمكنوا من اعاقا الزحف الروسي بعض الوقت .

وقام الروس بهجوم جديد في البلقان في آب . فظفروا بمدينة (ياسى) برومانيا . واكرهوا الالمان على الارتداد عبر نهر الدنيستر، فاعلنت رومانيا على الفور قبولها عقد هدنة مع روسيا . ثم اعلنت الحرب على المانيا، ودخل الجند الروس بوخارست وواصلوا زحفهم على الدانوب . وتعاونت الكتائب البلغارية مع قوات المقاومة اليوغسلافية بقيادة المارشال تيتو في تعقب الجنود الالمان المتراجعين من البلقان ومضايقتهم وانزال الخسائر بهم، ما وجدوا الى ذلك سبيلا . . واجتازت القوات الروسية في اوائل تشرين الاول حدود بلغاريا من جهة رومانيا ، وزحفت سريعا نحو العاصمة (بودابست) غير ان الجيوش الالمانية والهنغارية تصدت لها . وجرى قتال حامي الوطيس بين الفريقين رغم انضمام القائد العام الهنغاري وجانب من قواته الى صفوف الروس ، ولكن هنغاريا اضطرت اخيرا الى الاستسلام ، ووقعت هدنة مع الروس في ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٥ .

وفي تشرين الاول سنة ١٩٤٤ . انزل البريطانيون بعض قواتهم في بيطراس باليونان وكان مركز الالمان في تلك البلاد غاية في الحرج . فاخلوها على جناح السرعة ، بينما كانت القوات البريطانية وقوات المقاومة اليونانية المطاردة تطاردتهم . وما تصرم العام حتى كانت اليونان برمتها قد حررت .

وكذلك اضطرت الجيوش الالمانية من الشرق ، ومن الجنوب ، ومن الغرب ، على الارتداد في عجلة الى داخل حدود الدولة الالمانية ذاتها . وبهذا دخلت الحرب في طورها الاخير . وبدأ نصر الحلفاء واضحا ظاهرا . . . وعلى الرغم من ان الالمان قاموا في الجهة الغربية بهجمة صادقة في الاردن في منتصف كانون الاول سنة ١٩٤٤ ، وافلحوا في صد الزحف الاميركي نحو (كولون) وكان غرضهم من ذلك الهجوم الاستيلاء على مدينة (لبيج) حيث جمع الحلفاء مقادير هائلة من المؤن والعتاد . . . وعلى الرغم من نجاحهم الجزئي في هذا الهجوم العنيف ، فان الحلفاء تمكنوا في اوائل العام الجديد من صد هذه المغامرة الاخيرة . بعد ان عاق هجوم الالمان هذا زحف الحلفاء على اقليم السار اسابيع ستة . .

وفي ٨ شباط سنة ١٩٤٥ شرعت القوات البريطانية والكندية هجومها في جنوب شرق (بجمجن) . . ثم تلاه على الاثر هجوم الحلفاء العام على طول الجهة الغربية . فاستولوا على (تولون) . . . وعبر الجيش الاميركي الرين، وسقطت (كبلنتر) في منتصف آذار ، وطهر الشاطئ الغربي لنهر الرين

شمال نهر الموزل من الجنود الالمان . . وفي الجنوب سقطت مدن السار الواحدة بعد الاخرى في ايدي القوات الاميركية والفرنسية . وما وافى اليوم الخامس والعشرون من آذار حتى كان الحلفاء قد قضوا على كل مقاومة المانية منظمة غرب الرين . وفي الشمال عبرت الجيوش التي تحت امره المارشال منتجومري الرين الأدنى في اربع نقاط ، وتقدمت مائة وستين كيلومترا شمالا وشرقا في احد عشر يوما . وبذلك افلحت في تطويق الرور الغني بمصانعها الكبيرة ومناجم فحمه وحديدته الوفيرة الانتاج . وانتهت مقاومة الالمان فيه في ١٨ نيسان .

وزحف الحلفاء الان في قلب المانيا ، حيث كانت غاراتهم الجوية الهائلة قد نشرت الدمار في مدنها ، والقت الرعب البالغ في نفوس الاهلين . واخذت جيوش الحلفاء تضيق الخناق على الالمان دون هوادة . وما لبثت كل مقاومة المانية فعالة ان انهارت ، واخذت المدن الالمانية او بعبارة اصح ، اخذت انقاض المدن الالمانية تستسلم للحلفاء واحدة بعد الاخرى .

امافي الجهة الشرقية فقد جدد الروس هجومهم من نواح عدة . فبعد ان استولوا على (وارسو) في كانون الثاني سنة ١٩٤٥ ، اكتسحت قواتهم الاراضي البولونية ، ودخلوا (بودابست) ، وتقدموا في اعالي نهر الطونة الى النمسا في نهاية آذار . وبلغت قواتهم فينا في منتصف نيسان ، وشرعوا يشنون هجومهم العظيم على برلين في ١٦ نيسان . واستبسل الالمان في الدفاع عن عاصمتهم . وبعد خمسة ايام كان الروس يقاتلون في ضواحيها . وكان الحلفاء الغربيون قد وصلوا ايضا الى نهر الالبه . فتقابلت جيوش الحلفاء الزاحفة من الشرق ومن الغرب فسي (طورجاو)

ولقد سقطت برلين في الثاني من ايار بعد معارك شرسة جرت في الشوارع وفي المنازل . وبسقوط عاصمة البلاد انهارت مقاومة الالمان انهيارا كاد يكون تاما في جميع الميادين .

ذلك انه في اليوم نفسه الذي سلمت فيه برلين ، لقت الجيوش الالمانية في ايطاليا سلاحها . واستسلمت بعد ذلك بيومين الجيوش المقاتلة في شمال غربي المانيا وفي هولندا وفي الدانمارك . وبذلك انتهى بين الانقاض والخرائب المروعة الريح الثالث الذي فاخر هتلر بانه سوف يعمر الف عام من الدهر . وهلك هتلر بين اطلاله وركامه .

فقد انتحر مع نفر قليل من اخلص اموانه في اليوم الاول من ايار في المخبأ العميق الذي شيده تحت دار المستشارية ، مؤثرا الموت على الاسر والهوان ..

وفي السابع من ايار وقع الجنرال يودل رئيس هيئة اركان الحرب الالمانية وثيقة التسليم من غير قيد او شرط في رئاسة اركان حرب الجنرال ايزنهاور بريمس .

الحرب مع اليابان

والا وبعد ان كسب الحلفاء النصر على دولتي المحور الاورويتين ، ركزت الولايات المتحدة وبريطانيا جميع مواردهما في قتال اليابان التي وقفت بمفردها بعد سقوط حليفاتها صرعى ، وكان اليابانيون قد بلغوا أقصى مدى لفتوحاتهم في ختام عام ١٩٤٢ . فلما كان العام التالي بدأ الحلفاء هجومهم .. فشرع البريطانيون يرهقون القوات اليابانية ارهاقا متصلا في ميدان بورما بهجماتهم المباغتة على خطوط مواصلاتها بنوع خاص ، وعلى ايدي جنود دربوا تدريبيا خاصا على قتال الغابات الاستوائية ..

وقام اليابانيون في آذار سنة ١٩٤٤ بهجوم كبير في (اسام) محاولين اختراق وادي براهما بوترا ، لنقل الحرب الى الهند . ففشلوا بعد قتال طاحن دام اشهرا ثلاثة وفرت قلوبهم لا تلوي على شيء عبر نهر (شندون) . وتلا ذلك قتال متصل حامي الوطيس دام ستة اشهر واستمر حتى حلول موسم الامطار الفزيرة .

وفي اوائل سنة ١٩٤٥ عبرت القوات البريطانية نهر (شندون) ، وتمكنت من فتح طريق ليدو الموصل عبر بورما من الهند الى الصين . واستولت من الجنوب على (مندلاي) في آذار ، و (رانجون) في ايار . وبذلك هزم اليابانيون هزيمة فاصلة في بورما ، واخذ الحلفاء يعدون العدة لانزال قواتهم في الملايو ، ولكن اليابانيين القوا سلاحهم قبل وضع خططهم موضع التنفيذ .

وكذلك ضعفت سيطرة اليابانيين على المحيط الهادي . واخذت قوات الحلفاء تحتل من جديد خلال النصف الثاني من سنة ١٩٤٤ مجموعات الجزر الصغرى في ذلك المحيط . ففي اوائل ايلول قام الجنرال ماك ارثر بهجوم في غينيا الجديدة انتهى باحتلال قواته جزر جلبرت ، وجزر مارشال ، وجزر

الاميرالية ، في بواكير عام ١٩٤٤ .

وتم للحلفاء في اخر الامر التفوق برا وجوا وبحرا ، وغدوا في مركز يمكنهم من تهديد مواصلات اليابانيين وخطوط تموينهم . ونزلت القوات الاميركية في كانون الاول سنة ١٩٤٤ في جزيرة (ليت) بجزر الفلبين ، وظفرت بمرسى قوي ، ووفقت في سحق الاسطول الياباني على مقربة من جزيرة (لوزون) في معركة الفلبين البحرية الثانية في ٢٣ تشرين الاول . واستمر القتال دائرا شهرين حتى حلت باليابانيين الهزيمة النهائية في جزيرة ليت . واستولى الاميركيون في اوائل كانون الثاني سنة ١٩٤٥ على لوزون ، كبرى جزر الفلبين . ودخلوا مانيلا عاصمة تلك الجزر في شباط .

ومن ثم بدأ قتال طاحن دام خمسة اشهر اخرى ، تمكن في نهايته الجنرال ماك ارثر من ان يعلن في ٥ تموز تحرير جزر الفلبين تحريرا تاما من العدو . واخذ الاميركيون يدنون شيئا فشيئا من الجزر اليابانية الرئيسية . فاستولوا في آذار سنة ١٩٤٥ على جزيرة (اوجيما) واكملوا في منتصف حزيران فتح جزيرة (اوкинаوا) الواقعة بين جزيرة (فورموزا) واليابان . فاضطرت القوات اليابانية الى الارتداد في جزر غينيا الجديدة ، وبريطانيا الجديدة ، وبورنيو رغم مقاومتها المستميتة ... كما الحقت قاذفات القنابل الاميركية خسائر مروعة بالاهلين والاملاك في غاراتها المتعددة على اليابان ، فدمرت نصف مدينة (يوكاهاما) ومينيت طوكيو (وازاكا) وغيرهما بخسائر فادحة ..

وكان مركز اليابانيين حرجا الى أقصى درجات الحرج ، حينما احرز الحلفاء في اوائل ايار انتصاراتهم العظيمة على المانيا ، واكرهوها على التسليم وعلى الرغم من ان اليابان استطاعت حتى في هذا الطور الاخير من اطوار النضال ان تلحق خسائر كبيرة بالحلفاء ، الا ان النصر كان قد اقلت نهائيا من يدها .

وعلى اثر انعقاد مؤتمر بوتسدام ، قدمت اميركا وبريطانيا والصين انذارا نهائيا الى اليابان (٢٦ تموز سنة ١٩٤٥) تخيرها فيه بين الاستسلام دون قيد او شرط ، او ان ينزل بها الحلفاء «الخراب التام المعجل» .

ومع ان الحكومة اليابانية كانت لمحت عن طريق روسيا عن رغبتها في وضع نهاية للحرب ، الا انها تجاهلت انذار بوتسدام ، بيد انه حدث في ٦ آب سنة ١٩٤٥ ان اقلت طائرة اميركية على هيروشيما القنبلة الذرية الاولى التي استخدمت في الحرب . فاحدثت تدميرا وتقتيلا لم يشهد التاريخ

لهما مثيلا من قبل . فقد دمر تدميرا تاما اربعة اميال مربعة من مباني تلك المدينة ، وبعد ايام ثلاثة القيت القنبلة الذرية الثانية على (ناجازاكي) فانزلت بها نفس الخسائر المروعة في الارواح والاملاك . فقد قدر عدد القتلى من اليابانيين في هيروشيما وحدها بشمانين الف قتيل ومائة وعشرين الف جريح ، وصار مائتا الف نسمة بلا ماوى .

وكانت روسيا قد اعلنت في اليوم السابق (٨ آب) الحرب على اليابان ، وارسلت جنودها على الفور لفزو مقاطعة منشوريا .

وكانت روسيا قد اعلنت في اليوم السابق (٨ آب) الحرب على زعماء اليابانيين الى عقم الاستمرار في النضال . فطلبوا في ١٠ آب عقد هدنة وفقا للشروط التي وضعها الحلفاء في بوتسدام . وفي الخامس عشر اعلن الامبراطور هيروهيتو قبول هذه الشروط . وفي الثاني من ايلول وقع المندوبون اليابانيون وثيقة التسليم على ظهر البارجة (مسوري) الاميركية التي كانت قد التقت مراسيها في خليج طوكيو .

وبذلك وضعت اوزارها اعظم حرب مروعة عرفها التاريخ بعد اندلاعها بستة اعوام كاملة . . حرب اتخذت من الكرة الارضية بأسرها تقريبا ميدانا شاسع الاطراف لنيرانها الاكلة ومناجل الموت الحاصدة ، وخلفت في اعقابها الجوع والشقاء والفوضى .

القسم الثاني

المعارك الحاسمة

في الحرب العالمية الثانية

انتهى ما كتبه المؤرخ الانكليزي عن الحرب العالمية الثانية موجزا حوادثها ، ملقيا اسباب الحرب على الدول الديموقراطية ، التي بلغت كل ثروات الدنيا واستغلت كل شعوب العالم ، فلم تعدوا الحالة هذه بحاجة الى حروب ومغامرات ، وانما كانت بحاجة الى سنوات من الهدوء لتتضم ما بلعته واستلبته من اسلاب الحرب العالمية الاولى . . .

وقد عرض المستر فيشر الى هذه الناحية في عبارة قصيرة ، كما اعترف بمقام المعاهدات التي عقدت ابتداء من فرساي الى غيرها وكيف انها كانت معاهدات نعم فيها الظافر بالاسلاب دون غيره فارضا على الدول المغلوبة شروطا قاسية لم يكن بإمكانها احترامها ووفاءها خصوصا المانيا . .

هذا الظلم الشنيع الذي اصاب المانيا المغلوبة بعد الحرب الاولى هو الذي خلق الجو الذي ظهر فيه هتلر يدعو الى تمزيق معاهدة فرساي واستعادة المانيا لحقوقها واستقلالها لاراضيها كاملة غير منقوصة . .

وكذلك نبدا في الصفحات التي تلي وصف المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية ، بعد ان احطنا بالحرب احاطة مختصرة تامة تشفي غليل القارئ المثقف . . ثم زدناه بوصف الساعات والحوادث التي قلبت الموقف وبدلت الدنيا ، وغيّرت وجه الارض والحرب من حال الى حال . .

الهجوم على بولونيا الفن العسكري في معركة الحديد والنار

ابتداء الحرب

بدأت الحرب العالمية الثانية في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح اليوم الأول من شهر ايلول ١٩٣٩ .. وهو اليوم الذي عينه (هتلر) في الأمر الذي أصدره الى قيادة الجيش الألماني ، لتنفيذ الخطة البيضاء الخاصة ببولونيا في هذا اليوم ، وهذه الساعة .. قبل اليوم السابق (٣١ آب) ..

ولقد سبق الحرب عيون هتلر ورجال استخبارات المانيا الذين توزعوا ارض بولونيا قبل المعركة ، ودرسوا اوضاعها ، وكتبوا تقاريرهم عنها .. كما سبق الحرب الاقليات الألمانية ، التي كانت تمثل طابورا خامسا يعمل لصالح الالمان .. والذين اخذوا بالاستعداد لليوم المرتقب ..

حتى أن بعض الجنود البولونيين الذين كانوا يتراجعون في معركة من المعارك ، كانوا يقابلون عند وصولهم الى بعض المدن البولونية القائمة على الحدود او القرية منها ، بالرصاص والنار تطلق عليهم من المنازل ، والاوكر ، والسطوح ..

وبدأت الحرب دون ما اعلان رسمي ولا اذار استبق الهجوم ..

كان غزوا مدبرا ، أحكمت اجزاؤه ، وثبتت خطته ، ووزعت فرقه ، لتطبق على بولونيا في الموعد المحدد والساعة المقررة ..

وكانت هذه الحرب من غرائب الحروب وعجائبها ، فقد وقف منها سكان برلين موقف الدهول والانكار ..

كانوا يظنون حتى الساعة الاخيرة ان (هتلر) سوف يجد مخرجاً للقضية البولونية يغنيه عن الحرب مجنبا المانيا مشاكلها ومتاعبها ، ولما وقعت الواقعة لم يصدقوا أنفسهم .. وتذكر القدامى منهم كيف اقبلوا على الحرب العالمية الاولى مهلين ضاحكين مختالين مزهوين ، وكيف استقبلوا هذه الحرب الثانية بالصمت والانكار والاسف الشديد ..

لم يكن هناك في المانيا من يريد الحرب ، الا من كان يدور في فلك (هتلر) من النازيين والانصار ..

ولم يكن هناك في العالم من يرغب في الحرب .. ومع هذا فقد وقعت الواقعة ، وتكلم المدفع ، وانفجرت القنابل ، وصوت الرصاص ..

بدأت الحرب العالمية دون اعلان حرب .. لم تعلن المانيا الهتلرية الحرب على بولونيا .. ولكن طائراتها بدأت الحرب بضرب كل مركز عسكري ، وكل مطار وكل طائرة كانت تجثم في هذه المطارات ..

كما تحركت الفرق المدرعة-تشق طريقها عبر الحدود البولونية الى الداخل، وخلفها السيارات المدرعة تحمل المشاة الى المراكز التي حددت لها وكان عليها مهاجمتها واقتحامها والاستيلاء عليها ..

ولقد انتهى امر سلاح الطيران البولوني بعد يومين من ابتداء الفزو الهتلري ، فقد تمكن سلاح الطيران الألماني من تمزيقه وهو على الارض ، بحيث لم يتمكن البولونيون من حشد جيوشهم كاملة للمعركة ، وبحيث لم يستطيعوا منازلة القوات الفازية ، وهم في عدد ضخم ونظام موفور ..

كذلك بدأت الحرب الصاعقة ، حرب الحديد والنار ، وحرب الطائرات والمدافع ، وحرب القنابل والحرائق ، فاذا بالجيش البولوني او بهذه الفرق التي تؤلف الجيش البولوني تتراجع امام الزحف ، مرتدة الى خلف الانهرس لعلها تستطيع العثور على مكان يمكنها من جمع شملها ، وحزم امرها ، واتخاذ مراكز للدفاع بعد ان عز عليها الهجوم ، واصبح شيئا عسيرا بعيد المنال ..

الساعات الاولى

في الساعات الاولى من صباح اليوم الاول من شهر سنة ١٩٣٩، حلقت في الجو مئات الطائرات ، من المطارات العسكرية الالمانية القائمة على الحدود البولونية واندفعت نحو الارض البولونية ، تنشر الدمار ، وتوزع القنابل من صغيرة وكبيرة على المراكز العسكرية البولونية وعلى الجسور والمطارات ، وتجمعات الجيوش والحصون وتزرع الرعب والخوف في قلوب الامنين من سكان المدن الواقعة على الحدود ، وخلف الحدود ..

وكذلك بدأت الحرب العالمية الثانية المخيفة الهائلة التي كانت ستزرع الرعب في العالم مدى سنوات ست . والتي كانت ستعم اكثر امم الارض قوة وسلاحا ، وحضارة ، والتي كانت ستتمكن هتلر من السيطرة على القارة الاوروبية مدى ثلاث سنوات كاملات ، سيطرة تامة ، لا مثيل لها في تاريخ العالم ، والتي كانت ستنتهي الى ما تنتهي اليه من تفشي البؤس ، وموت الملايين من المحاربين ، وتدهور الاقتصاد العالمي ، وارتفاع الاسعار ، وازدياد الخلاف بين شعوب الارض ، وانقسام العالم بعد انتهائها الى معسكرين شرقي وغربي ، فازداد التوتر ، وعمّ الخوف ، وعزّ السلام في الارض ..

وفي اليوم الثالث من شهر ايلول جلس الملايين من مختلف الشعوب والجنسيات الى الراديو ، ينتظرون ما يكون عليه موقف انكلترا وفرنسا من الفزرو الالمانى لبولونيا ..

وسمع هؤلاء وقلوبهم على ايديهم ، في ساعة من اليوم نفسه، خطاب المستر شمبرلن رئيس الوزارة الانكليزية في مجلس العموم البريطاني يعلن فيه للعالم قرار الحكومة البريطانية باعلان الحرب على المانيا ، وفاقا للعهد الذي قطعت على نفسها بمساعدة بولونيا ، حين تواجه غزوا او حربا من دولة اخرى ..

وفي اليوم نفسه ، وبعد ساعات من التردد ، اعلنت فرنسا الحرب على المانيا ايضا ، وتحدث الضغط الانكليزي عليها .

وايدت دول الامبراطورية الانكليزية قرار لندن ، واعلنت الحرب على المانيا الا حكومة ايرلندا التي وقفت على الحياد .. ورفضت الدخول في حرب لا شأن لها فيها ولا علاقة ..

وكذلك بدأت الحرب التي ارادها هتلر محدودة ضيقة .. تتسع ..

وبدأت بدور التحالف العظيم ضد هتلر بالظهور صغيرة في اول الامر ، ثم شملت العالم كله بعد ذلك .

ولو نظرنا الى الموقف العسكري نظرة عابرة لوجدنا ان الفروق لم تكن عظيمة بين الخصوم من حيث القوة العددية .. ولكننا اذا تعمقنا وبحثنا الموقف من جميع اطرافه وجدنا ان المانيا كانت في حالة عسكرية لم يكن ينعم بمثلها خصومها ..

كان الجيش الالمانى في ايام السلم اقل من مليون جندي ، واما في الحرب فكان بالامكان رفعه الى عشرة ملايين جندي ، واما الجيوش الانكليزية والفرنسية والبولونية فكانت اكثر عددا في زمن السلم ، وكان من الممكن زيادة هذا العدد اضعافا مضاعفة في الحرب ، ولكن القوة العددية لم تكن العامل الحاسم في حرب اصبح مدارها على الاسلحة الميكانيكية التي بدلت الحرب رأسا على عقب ، وجعلت الكثرة العددية امرا هينا لا قيمة له .. اذا كانت تنقصها المعدات الميكانيكية ووسائل الدفاع الجديدة ..

السلح الالمانى

ولما بدأت الحرب كان لدى المانيا عدة فرق مصفحة وخلف هذه الفرق مصانع عسكرية كثيرة مستعدة لتفذية هذه الفرق، وتعويضها عما تخسره في المعارك من سلاح ومعدات حربية ورجال ..

واما الحلفاء فلم يكونوا ينعمون بشيء من هذا ، كان سلاحهم عتيقا لم يتبدل كثيرا عن السلاح الذي استعملوه في الحرب العالمية الاولى ، والذي اصبح لا يصلح للحرب الجديدة والمعدات الحربية الحديثة ..

وكان لدى المانيا ما يزيد عن عشرة الاف طائرة ، وكان بإمكانها ان تزودها بما لا يقل عن الف ومائتي طائرة في الشهر ، بينما لم يكن عند الحلفاء ما يزيد عن ثمانية الاف طائرة لم تكن جميعها من الطراز الاول ، ولم تكن مصانعا لتزودها باكثر من سبعمائة طائرة في الشهر الواحد ..

وكان الامر الاهم طبعاً تطور الحرب لدرجة انها اصبحت فنا من الفنون ، وعلماً حسابياً دقيقاً تجب مراعاة النسبة فيه ليكون النجاح مضموناً والفوز مقرواً .

وكان الالمان في السنوات التي سبقت الحرب ، قد ادخلوا من التعديل على خططهم العسكرية ، بقدر ما نام الحلفاء على خطتهم المتينة ، وكانت الحرب الاهلية الاسبانية التي وقعت قبل ذلك مدرسة تدربت فيها هيئة اركان حرب الجيش الالماني على استعمال الاسلحة الجديدة ، وخرجوا منها بنتائج مهمة كان لها اثرها في مصائر الحرب العالمية الثانية ، بحيث قلبت الاوضاع العسكرية رأسا على عقب ، وادخلت فيها عوامل جديدة لم تكن بالحسبان ..

وكان من اهم هذه العوامل توحيد هيئة اركان الحرب الالماني سلاحها الحربي كله بعضه مع بعض ، بأن مزجوا السلاح الجوي بالسلاح البري ، المؤلف من المشاة والمدفعية والفرق المصفحة بحيث أصبحت هذه الكتل الحربية كتلة واحدة يهيمن عليها ، ويسيطر على مقدراتها ، ويسيرها رجل واحد ، بينما كان الحلفاء لا يزالون يعتبرون السلاح الجوي سلاحا ثانويا منفردا يصلح للدفاع ، بخلاف الالمان الذين أجروه للهجوم والدفاع معا ..

واذا كان الالمان قد سيطروا بجيوشهم وطائراتهم على الارض الاوروبية وجوها ، فقد سيطر الحلفاء باسطولهم على البحر ، ولكن سيطرة الاسطول على البحر لم يكن لها من الاهمية في اوائل هذه الحرب مثل ما كان لها في اواخرها ، خصوصا وان الفواصات الالمانية كانت تستطيع انزال الاضرار البالغة بسفن الشحن ، وتهديد التجارة البحرية ، والحد من وصول الاعتدة والاغذية الى الخصوم بمقدار اذهل الحلفاء في السنوات الاولى من الحرب ، وأنزل بهم من الخسائر فوق ما يتصوره العقل ..

ولكن الفواصات الالمانية في الوقت نفسه ، وبرغم ما قامت به من الجهود الجبارة لوقف الامدادات التي كانت تصل الى الحلفاء من امريكا ، ومن مختلف انحاء العالم لم توفق كل التوفيق ، ولم تتمكن من فرض الحصار المطلوب حول الجزر البريطانية ، فظلت بريطانيا تحصل على بعض حاجاتها ، وان لم يكن على اكثرها ، بواسطة نشاط اسطولها البحري رغم ما لحقه من خسائر ..

ومن المفروض في حرب عامة اذا كان أحد الخصوم ينعم بافضلية حسنة في الاسلحة والاعتدة والرجال ان يوفق في الممارك الاولى ، ولكنه لا يستطيع الاحتفاظ بانتصاراته هذه الا اذا كان هناك من يمدد دائما بما يخسره من الاسلحة والاعتدة والرجال ، وهذه حالة لم يكن ينعم بها هتلر لمدة طويلة،

واما الحلفاء فكانوا ينعمون بها ، وكان بمقدورهم ان يحصلوا على ما يريدونه من اميركا وغير اميركا ما امتدت الحرب وطال امدها . وهذا هو السبب الاول في نجاحهم اخيرا ، وتفوقهم على خصومهم في الممارك الساحقة التي استبقت انتهاء الحرب ..

ولست انكر ان الالمان كانوا يدركون مواطن الضعف فيهم من هذه الناحية ، وكان جلّ اعتمادهم في النصر على ان لا يمكنوا الحلفاء من اطالة الحرب الى الوقت الذي يصبحون فيه خطرا يهدد حركة الحرب الالمانية ، فكان ان أجرى هتلر حرب الصاعقة ، واجراها في سبيل وفق فيه كل التوفيق اول الامر ، فلما لم يظفر بانكلترا ، ثم حارب روسيا .. كان ذلك اول امارات الفشل المنتظر ، وكان من الصعب عليه ، الا اذا وفق لاختضاع روسيا ، ان يحتفظ بانتصاراته الاولى الى النهاية .

بولونيا في الميدان

ولما بدأت الحرب ، لم يكن باستطاعة انكلترا وفرنسا ان تمدا او تساعدا بولونيا في كثير او قليل ، كان كل ما يمكنهما عمله اعلان الحرب على المانيا ، وحشد الجيوش في الساحة الغربية ، ثم انتظار الفرصة المناسبة وارتقاب نتيجة المعركة الدائرة بين الالمان والبولونيين .

ولم تكن نتيجة هذه المعركة بعيدة ، ولا كان ارتقابها طويلا ، فقد ادارت المانيا فيها المعركة على هواها ، واجراها اركان القيادة العليا وفاقا لخططهم المقررة ، كان الزحف سريعا ، وكان الهجوم ساحقا ، وكان التدمير تاما ، وكان الفشل سريعا ..

وكانت المعركة من القوة والهول بحيث ادهشت نتائجها العالم اذ لم يكن اعظم المتشائمين يظن انها لن تطول الى اكثر من ايام معدودات ، وان دولة تعد ثلاثة وثلاثين مليونا من الانفس تسقط الى الارض في اسبوعين ..

وكان اكثر ما ادهش العالم تمكن الالمان رغم المقاومة العنيفة من الوصول الى حصون العاصمة وارسو بعد اسبوع من هجومهم ، وبعد اسبوع ثمان كان كل شيء قد انتهى .. وكان الجيش الالماني ، لما هاجمت روسيا بولونيا بدورها ، يحارب فلولا من البولونيين لا جيشا منظما ، ولا قوات عسكرية تستطيع الصمود او الدفاع .

ويجب ان نذكر في الوقت نفسه انه رغم القوة الهائلة التي هاجمت بولونيا .. فقد استطاعت هذه الدولة ان تقف في وجه الالمان ، مثل الوقت الذي وقفت فيه فرنسا امامهم في الربيع القادم .

القوة الالمانية

حشد الالمان لسحق بولونيا ٧٣ فرقة ، منها اربع عشرة فرقة مدرعة ، واربعة الاف طائرة ، والاف الدبابات والسيارات المدرعة .. واما البولونيون فقد وضعوا قدام الالمان ٣٥ فرقة من المشاة و١٤ كتيبة من الفرسان ، والاف طائرة ، وفرقة مدرعة واحدة ..

هذه هي الارقام التي اعلنوا عنها في اميركا وانكلترا وبلاد الحلفاء الاخرى ، ولكن الواقع ان البولونيين قد حشدوا اضعاف هذه القوة ، وكان الشعب كله معهم يناصرهم ويؤيدهم ، ويحارب معهم ، وقد جرت المعركة في بلادهم ، وكانوا يؤمنون كل الايمان بانهم يستطيعون الصمود اشهرًا ريثما يتمكن الحلفاء من انقاذهم ، او ارسال المدد لنصرتهم ومعاونتهم ، او القيام بهجوم في الجبهة الغربية يجبر الالمان على تخفيف الضغط عن الجيش البولوني بنقل عدد كبير من جنوده من الشرق الى الغرب .

ولكن الالمان لم يكونوا يؤمنون بهذه النظرية ، ولا كانوا يعتقدون ان الحرب سوف تطول اكثر من ايام معددوات ، ذلك انهم كانوا يعرفون قوتهم ، ويعلمون عن قوة خصومهم الشيء الكثير ، وكانوا الى هذا قد اتخذوا كل احتياطاتهم ، لحرب قصيرة ، ظنًا منهم انهم متى قضوا على فرنسا ، وسيطروا على اوروبا اصبح امر انكلترا هينًا ، وقد ينتهي الامر الى اتفاق بينهما فيقتسمان العالم وينتهي كل خلاف .

ولكن الناحية الوحيدة التي اغفلتها السياسة الالمانية هي اخلاص موسكو لها كل الاخلاص ، فقد كانت موسكو تنظر الى هذه المغامرة والى هذه الحرب المنيعة نظرة خاصة ، كانت تريدها حربًا تضعف فيها دول اوروبا بما فيها المانيا طبعًا ، حتى اذا ازف الوقت ، وسقط الجميع الى الارض من كثرة الاعياء ، والجراحات ، فرضت سلطانها ، واملت ارادتها ، وكان لها ما تريده على اهلون سبيل وابسره ..

ولذلك يصح ان نقول ان الاتفاق الالمانى الروسى لم يكن اتفاقًا صادقًا بكل ما في الكلمة من معنى ، فقد كانت لالمانيا اغراضها في روسيا -

وهذا امر لا شك فيه - وكان للروس اغراضهم ومصالحهم في البلقان ووسط اوروبا ، وهذا ايضا لا شك فيه ، وكان كل منهما يعمل لكسب الوقت ، وكانت روسيا ضعيفة الرغبة في اجابة المطالب الالمانية فيما يتعلق بالحبوب والبتروول والاخشاب وغيرها ، لانه لم يكن من مصلحتها كما قدمنا ان تظفر المانيا كل الظفر ، او ان تنتصر كل الانتصار ، كانت تريد انتصارها وسطًا ، وظفرها متواضعًا ، بحيث لا تصل الى اغراضها الا وهي تعبئة قد فقدت اكثر سلاحها وخيرة جنودها ، وهذا الموقف يفسر لنا ما كان يقوله القواد الالمان دائمًا وابداً ، في دفاعهم عن موقفهم ازاء موسكو ، من انهم لو لم يهاجموا روسيا لهاجمتهم روسيا ..

العبقرية العسكرية

يجمع من ارخوا للحرب الحاضرة على ان الخطط الالمانية لغزو بولونيا قد نظمت ببراعة وبعد نظر وعبقرية ، فقد خصصت القيادة الالمانية العليا ثلاثة جيوش للزحف على وارسو العاصمة ، واحد من بروسيا الشرقية واخر من (بولونيا) ، وثالث من جنوب المانيا بقيادة الجنرال فون رونشدت ...

ولما بدأ الزحف لم يكن بمقدور القوات البولونية ان تقف في وجه هذا الهجوم الساحق القوي الحاسم الذي استعملت فيه دفعة واحدة ، وفي وقت واحد ، جميع الاسلحة من طائرات ومدافع ودبابات ، وسيارات مسلحة ، ومشاة ، واشتركت فيه كل هذه القوى على منوال واسع جدًا ، وتحت قيادة واحدة ..

امام هذه القوة العسكرية الميكانيكية التي لم يشاهد مثلها التاريخ انهارت كل وسائل الدفاع البولونية واخترقت القوات الالمانية كل وسائل الدفاع القائمة على الحدود ، واخذت تطحن الجيش البولوني طحنا .. ويقول النقاد الحرييون للمعارك الاولى : « انه لما بدأ الالمان هجومهم ومزقوا خطوط الدفاع البولونية الاولى على طول الحدود البولونية الالمانية بدأ الالمان يطحنون البولونيين كما يطحن المرء البيضة بعد استوائها التام في الماء الحار ... »

« وبعد ان تسلل الالمان من الحدود ، وتركوها خلفهم ومشوا في الارض البولونية لم يجدوا امامهم قوة محترمة تستطيع مناهضتهم او مقاومتهم او صدحهم .. »

وليس ينكر النقاد العسكريون على البولونيين ما اظهروه من المقاومة والمهارة في المدافعة عن حدودهم ، ولكن هذه المقاومة لم تكن مجدية ولا مفيدة ، لان الهجوم الألماني كان من القوة والهول ، بحيث كان يصعب على البولونيين الوقوف تجاهه او صده ، وكان الالمان قد استعملوا كما قدمنا جميع اسلحتهم في هجومهم . فبعد ان شنت الطائرات غاراتها الهدامة المدمرة على مختلف وسائل الدفاع ودكتها دكا ، وبعد ان قامت المدافع المختلفة بواجبها ، تقدمت الدبابات وتبعتها السيارات المصفحة تنقل الجنود المشاة الى الارض المحتلة بينما كان المظليون ينزلون خلف جيش العدو ، للاستيلاء على الجسور وانشاء المراكز الدفاعية تأمينا لمواصلات الجيش الألماني وسرعة تقدمه ...

ولعل من اعجب ما ادهش النقاد ، ان البولونيين لم يستعدوا لاقامة خطوط تعصمهم من عدوهم خلف الخطوط الاولى التي اقاموها على الحدود ، كما فعل الالمان مثلا في الحرب العالمية الاولى يوم فشلوا في الوصول الى باريس ، وارتدوا بعد معركة المارن الى خطوط جديدة اقاموها في الارض الفرنسية ، بحيث لم يتمكن الحلفاء من اقتلاعهم منها الا في اخر الحرب . ولا يزال سر هذا النقص مجهولا حتى الان ، وكان من اسبابه ان اضطر البولونيون بعد ان اخترق الالمان الحدود ، ان يتراجعوا الى المدن المختلفة ، حيث حاصروهم الالمان فيها وقضوا عليهم جيشا جيشا . وفرقة فرقة . وقد يكون السبب ان البولونيين لم يكونوا ينعمون بعدد كاف من الاسلحة المختلفة يمكنهم من انشاء خطوط جديدة للدفاع او الهجوم .

وساعدت الطبيعة الالمان كما يظهر ، فبدلا من ان تمطر السماء الارض بوابل يجعل الطرق مليئة بالوحول كان المطر من القلة بحيث ظلت الطرق على حالها ، فتمكنت القوات الميكانيكية من الانتقال عليها بسرعة مخيفة .

ومن الحق ان نقول ان الالمان لم يستعملوا في هذه المعركة قواتهم الجبارة فحسب ، وانما استعملوا ايضا حسن الادارة ، والفن العسكري الذين اوصلوه الى أعلى درجاته ، فلم يكن المشاة في هذه الحرب اسياذ الموقف كما كانوا في الحروب الماضية ، وانما كان اليوم ، يوم القنات الميكانيكية التي برهنت عن اثرها وتأثيرها ، والتي ادارت الحرب على هواها ، والتي فتحت امام المشاة كل مرافق البلاد ، بعد ان قضت هي بنفسها وبمساعدة الطائرات على تجمعات العدو وخنادقه ، وأرغمته على التراجع الى الوراء تاركا كثيرا من ذخائره وسلاحه .

اول الاعمال

وكان من اول اعمال الالمان ولما بدأت المعركة في صباح اليوم الاول من شهر ايلول سنة ١٩٩ ، ان اغار السلاح الجوي الألماني على كافة المراكز العسكرية البولونية ، ورمها بوابل من قنابله ومفرقاته ، وحصر الالمان جل اهتمامهم في المطارات البولونية ، فهاجموها بعنف ، وقضوا في الجولة الاولى على كثير من طائرات العدو وهي لا تزال جاثمة على الارض ، فلما انتهوا من هذا كان الالمان قد سيطروا على الجو سيطرة تامة ، وان كانوا في الواقع يسيطرون على الجو قبل المعركة ، ولكن هذه الهجمات مكنتهم من القضاء على كثير من طائرات العدو وحظائر الطائرات والمطارات بحيث لم تبق هناك من حاجة الى التفكير بالسلاح الجوي البولوني الذي أصبح اسما لغير مسمى .

وبعد ان تم لهم هذا ، عمدوا الى نقل جنودهم بسرعة هائلة دون ما خوف من الطائرات البولونية التي أصبحت ضعيفة الاثر عديمة الفائدة . كما انصرفت الطائرات الألمانية بعدها الى مهاجمة الجيوش البولونية لتمنع البولونيين من التجمع ونقل جنودهم من مكان الى آخر بسرعة ، قد تؤثر في تقدم الجيش الألماني الزاحف . ويذكر احد الصحفيين الاميركان ممن رافقوا الحملة الألمانية ، ان سيطرة الالمان على الجو كانت قوية حاسمة ، لدرجة انهم لما احتلوا مدينة (لودز) مثلا ، تركوا انوارها مضاءة في الليل مع ان البولونيين كانوا لا يزالون على مقربة منها ، بينما كانت المدن الألمانية نفسها في ظلام دامس ، لان خطر السلاح الجوي البولوني أصبح من الضعف بحيث لا يخشى شره ، ولا يرى أثره .

النظام الرائع

ويؤكد النقاد انه بعد ان سيطر الالمان على الجو ، بدأت مجموعات هائلة من الدبابات والسيارات المصفحة ، والمدافع الضخمة تتقدم بسرعة في الطرق البولونية ، وكان عليها ان تقضي على كل مقاومة بولونية تجدها في طريقها ، وقد حاول البولونيون في بعض الحالات ، انشاء الخنادق ، في مراكز دفاعية جديدة ، ولكن هذه المراكز ما كانت لتقوى على الوقوف تجاه المدافع الألمانية ، التي كانت تدكها دكا وتسحقها سحقا .

وقد ظهر للمراقبين العسكريين ان البولونيين قد حاربوا الالمان بخطط خليقة بجيوش القرن الثامن عشر ، ولكن هذا لا يعني انهم لم يحاربوا فقد حاربوا فعلا ، وقاوموا بوطنية رائعة ، ولكن هذه التضحيات كانت عديمة الجدوى امام الفن الالماني ..

واذا نظرنا الى هذه الحرب من جهة عسكرية بحتة نستطيع ان نقول بصراحة ، ان الجيش الالماني الزاحف كان في الدرجة الاولى من الكمال والنظام ، كان يتحرك كالساعة ، دونما سرعة زائدة ، وبطريقة معتدلة ... مئات الالوف من الجنود وآلاف الدبابات والسيارات المصفحة ، كانت تتقدم في طرق بولونيا كأنما هي تسير الى حفلة استعراض عظيمة ، وكان الجيش يتحرك بدقة متناهية فقد كانت الطرقات البولونية مليئة بالعتدة الحربية والسيارات المسرعة ، والدبابات الزاحفة ، وكلها تسير بنظام عجيب ودقة رائعة ، فلا صدام ولا اصطدام ، كأنما الجميع يسرون في شارع كبير من شوارع برلين ..

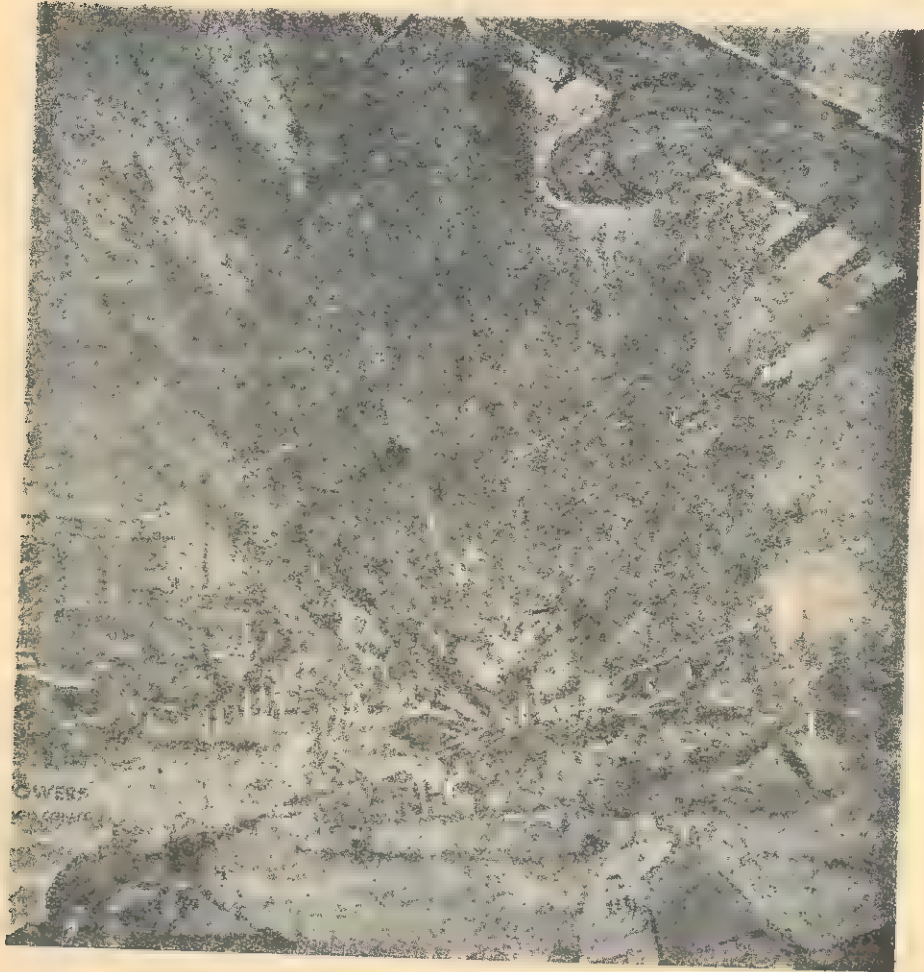
وكانت الاغذية والامدادات تصل من المانيا عبر الحدود البولونية بمثل الدقة التي كان يزحف فيها الجيش ، واذا ما دمرت طائرات القتال الالمانية جسرا اصلحه الالمان حالا بينما كانت القوات البولونية تتراجع بصورة غير منتظمة .. على طرق قد دمرها عدوها ، وجسور قد هدمها سلاحه الجوي .. وليس عندها الوقت الكافي لاصلاحها ..

وفي الثامن من شهر ايلول ، كان فون روتشتدت قد اصبح على ابواب العاصمة البولونية ، وبدأت مدافعة في قذف خطوط الدفاع القائمة حولها ، وبعد ايام كان الجيشان الالمان اللذان زحفا من الشمال قد اتصلا ، وطوقا مائة وسبعين الف جندي بولوني في (كوتنو) التي تبعد مائة ميل عن العاصمة وارسو وقضوا عليهم ..

وبعد ان قطع الالمان نهر (نارو) أصبحت العاصمة مطوقة من جميع اطرافها ، وقد انقطع عنها المدد والماء والكهرباء ، ومع انها قاومت الى اخر الشهر ثم سلمت اخيرا بعد دفاع كبير ، الا ان معركة بولونيا نفسها كانت قد انتهت في منتصف الشهر لما تمكن الالمان من تدمير الجيش البولوني ولم يبق امامهم الا استيلاء على المدن التي لم يبق من يدافع عنها ..

والواقع ان بولونيا كانت قد انهارت كدولة عسكرية تستطيع المقاومة والدفاع لما اشرف شهر ايلول على منتصفه ، فقد كان المان قد تمكنوا

من تدمير السلاح الجوي البولوني كله ، وظفروا بتمزيق الجيش البولوني ، الا اقله ، وانقلبت الحرب من المعارك المنظمة الى حرب عصابات مهما طالت ... فلن تطول اكثر من ايام قليلة .. ومع ذلك ، وفي هذه الايام الجاهمة تحركت روسيا في السابع عشر من الشهر ، وارسلت جنودها عبر الحدود البولونية للحصول على نصيبها من الغنيمة التي تم الاتفاق عليها بينها وبين المانيا في ميثاق عدم الاعتداء الذي عقد بين الدولتين ..



معارك الجو

الهدوء يسود أوروبا بعد معركة بولونيا

حرب غريبة !

لعل من أغرب مظاهر الحرب العالمية الثانية موقف الحلفاء - انكلترا وفرنسا - بعد ان اقتحم الجيش الألماني بولونيا ، وبدأ يعصفها بسلاحه الجوي ، وفرقه المدرعة ، حتى مزق جيشها وشتته في ايام معدودات .. ففي هذه الاثناء، وبينما كان البولونيون يدافعون دفاع المستميت عن ارضهم واستقلالهم لم تحرك فرنسا ولا انكلترا اصبعاً لنجدتهم .. لم تحلق طائرة انكليزية ولا فرنسية فوق المراكز الألمانية لتقذفها بالقنابل ..

ولا قام الجيش الفرنسي بهجوم مركز على الخطوط الألمانية .. لقد تحركت بعض طائرات الحلفاء وحلقت في اجواء المانيا لالتقاء بعض المناشير ، وتحركت بعض الكتائب الفرنسية الصغيرة فأغارت على حدود المانيا بحذر شديد في جهات السار ، واحتلت بعض القرى الصغيرة القليلة، ثم جثمت في مكانها لا تتقدم ولا تحاول ان تثيرها حرباً ، تجبر القيادة الألمانية على نقل بعض قواتها من الجبهة البولونية الى الجبهة الغربية، للوقوف في وجه القوات الفرنسية المقيمة ..

واما الالمان فلم يلقوا بالا لهذه الحركات العسكرية الصغيرة ، بل انهم في بعض الحالات تركوا الفرنسيين يتقدمون قليلا في السار ، دون ان

يحاولوا ردهم أو الوقوف في وجههم موقف المقاتل .. حتى اذا انتهت معركة بولونيا ، وتم تقسيم هذه الدولة بين المانيا وروسيا السوفيتية ، واطمان الالمان الى حدودهم الشرقية ، بدأوا بنقل جنودهم الى حدود فرنسا ، وما عثموا ودون ما كثير من العناء ان ردوا الفرنسيين عن الاراضي التي احتلوها ، ثم جثموا بدورهم في مكانهم ، لا يتقدمون نحو فرنسا ، ولا يحاولون معها حرباً ولا خصاماً ..

هذه الحالة الشاذة التي دامت شهوراً كانت من أغرب مظاهر الحرب العالمية الثانية ، حتى لقد حار النقاد العسكريون في تأويلها وشرحها .. تفسيرها من الناحية الألمانية كان سهلاً واضحاً صريحاً .. فلم يكن من رأي قيادة الجيش الألماني ان تحارب في جبهتين .. ولا كان من الحكمة العسكرية اتخاذ هذه الخطوة ..

ولهذا وقفت موقف المتفرج امام الحدود الفرنسية ، ريثما تنتهي من بولونيا ..

فلما انتهت بانتصارها التام ، كان عليها ، ان تجمع الدخائر الحربية التي حصلت عليها في بولونيا وكان عليها ان تدرس الخطط التي أجرتها في هذه الحرب ، لتعرف مدى ما أسدته الى الحركات العسكرية من فوائد وانتصارات ..

وهو ما عمدت فعلاً الى درسه وبحثه .. فقد اخذ قوادها العسكريون يدرسون مدى نجاح القوات المدرعة وفرق الدبابات في معركة بولونيا ، وأي نوع من هذه الفرق كان أجدى وانفع في التقدم، واسرع في الوصول الى الاهداف المطلوبة ..

ثم ان المانيا بعد انتصارها في بولونيا كانت تتوقع تسوية مرضية شريفة مع انكلترا وفرنسا ..

لقد انتهت بولونيا .. ولم تستطع الدولتان مساعدتها حتي ولا بطائرة عسكرية واحدة ..

فلماذا الحرب بعد ذلك ؟ .. ولاية غاية يريد الحلفاء ان يركبوا رؤوسهم ويمضوا في هذه الحرب، بعد انتصار الجيش الألماني وبعد ان اصبح امام جبهة واحدة ، هي الجبهة الغربية ، التي يستطيع منها تسديد ضرباته العسكرية المقبلة الى جيوش الدولتين ..

وفي هذه الاثناء وبينما كان الالمان ينتظرون فرصة سانحة لاعادة الاتصالات مع انكلترا وفرنسا لوقف الحرب ، وتسوية المشاكل التي نجمت عن انهيار بولونيا ، كان قواد حرب الجيش الالماني يعيدون تنظيم جيشهم ، ويصلحون ما تعطل من سلاحهم ، ويصنعون انواعا من الدبابات جديدة ، اثبتت حرب بولونيا انها اصلح للحرب والقتال من بعض الدبابات الصغيرة والفرق المدرعة التي استعملوها وخاضوا الحرب بها ..

موقف فرنسا

اما موقف فرنسا فهو من أغرب المواقف في هذه الحرب اثناء المعركة البولونية ..

لقد اعتمدت على حصون ماجينو ، واستقرت خلفها .. فلما منها انها امنع من ان تقتحم ، وان باستطاعتها رد اي هجوم الماني من وراء هذه الحصون القوية الصلبة ..

ولكن الالمان كانوا قد اقاموا حصون سيففريد تجاه هذه الحصون الفرنسية ، لتعصمهم بدورهم من هجمات الجيش الفرنسي .. والذي يبدو ان حصون سيففريد لم تكن بمثل مناعة الحصون الفرنسية ..

فقد كتب الجنرال الالماني فون مالتين الذي عين لقيادة احدى الفرق الالمانية في الجبهة الغربية والذي زار هذه الحصون ليتفقد مناعتها يقول :

« اغتنمت هذه الفرصة وزرت هذه الحصون مستكشفا فاحصا ، فوجدتها اضعف مما كنت اتصور ان تكون .. »

« لقد كانت عبارة عن دعاية اكثر منها حصونا قوية يستطيع جيش الاعتماد عليها والوقوف خلفها .. »

« وعندئذ ادركت هول المفامرة البولونية التي قمنا بها .. وكيف انها كانت عبارة عن لعبة من القمار ، لو حزم الفرنسيون امرهم وهاجموا هذه الحصون بكل قوتهم لتمكنوا منها وافسدوا علينا حربنا في بولونيا .. » حتى الجنود الذين كانوا يحمون هذه الحصون ، كانوا جنودا من الدرجة الثانية ينقصهم الكثير من المran والتدريب .
واما الكاتب برنارد فرغسون ، فقد وصف هذا الجو وصفا دقيقا

احاط فيه بالروح التي كانت تسيطر على الناس والجنود معا .. فقال :
« لقد كان لسان حال الجميع جنودا ومدنيين ، دعونا نعيش ويعيش الآخرون ... »

« هذا ما كان عليه نظر الناس الذين كانوا في السار هذا العهد من الحرب .. »

« وسبب ذلك ان العشرين سنة التي تقطعت بعد الحرب العالمية الاولى قد عودت الناس على الحياة الهادئة وحب السلام ، وكره الحرب والقتال والموت .. »

« حتى ان بعضهم كانوا يقولون وينادون بعدم مهاجمة الالمان وتركهم وشأنهم ، ما داموا لا يريدون بنا شرا ولا ضرا .. »

« وحتى انه لما تقدمت قوة المانية صغيرة واحتلت احدى القرى الفرنسية ، عدّ الفرنسيون هذا العمل بعيدا عن الذوق ، وطريقا خشنا لا يجب ان يسلكه احد منهم .. او يحاول تقليد الالمان فيه .. »

واذا كانت الجبهة الحربية هادئة كما وصفنا ، فقد كان ما خلفها مليئا بالحركة والنشاط ..

كانت المصانع في فرنسا ومانيا تستورد حاجاتها من المواد الاولية بواسطة الدول المحايدة كالبليجيك ولوكسمبورغ ..

وقد استغل (هتلر) هذه الفترة من الهدوء لبذر الشقاق والخلاف بين فرنسا وانكلترا .. فالقى في السادس من شهر تشرين الاول خطابا في (دانتزيغ) دعا فيه الى الصلح والسلام ، بعد ان انتهت معركة بولونيا ، وتم الاتفاق بين روسيا ومانيا ، على ان لا يعتدي احد منهما على الآخر ، وان يترك له الحلفاء اوروبا لا يتدخلون في شؤونها وسياستها ، بعد ان فشلت سياستهم فيها ، وفشلوا في اقامة اتحاد ضده من دولها .. وطبعاً رفض الحلفاء نداءه ، وقرروا المضي في الحرب .. ولو على النحو البارد الذي وصفنا ، ريثما ينتهون من استعدادتهم ، التي تمكنهم من القيام بهجوم ضده ..

امام عناد الحلفاء ، قرر هتلر المضي في سياسته الحربية وتنفيذ خطط الهجوم في الساحة الغربية ، حتى يقضي على كل امل لانكلترا في ان تكون لها قدم في اوروبا .. ثقة منه انه ان ظفر بذلك ، ظفر ببريطانيا ،

واجبرها على قبول شرطه .. واذا تم له ذلك ظفر بأوروبا وسيطر على مصائرهم ومقدراتهم ..

واذا كان الحلفاء قد ائتمروا الصمت فيما يتعلق بالحركات الحربية والعسكرية ، فانهم لم يقفوا موقف المتفرج في الميادين الأخرى ..
اثاروا الدنيا خصوصا اميركا على ديكتاتورية هتلر وسياسته العسكرية التي تهدد السلام العالمي ..

حاولوا المستحيل لحمل موسوليني على الوقوف على الحياد ..
ارسلت انكلترا الى فرنسا قوة مؤلفة من مائة وستين ألف جندي ، لمساعدة الجيش الفرنسي .. دون ان يقوم هذا العدد الكبير من الجنود بأية حركة عسكرية .. مفضلين الوقوف موقف الدفاع ..

كما فرضوا الحصار البحري على ألمانيا ، ومنعوا وصول المعدات والأغذية إليها بحرا .. وان كانوا على ثقة من ان روسيا وإيطاليا وإسبانيا والبلاد السكندنافية والبلقان سوف تمتد هتلر بما يحتاجه من هذه المواد ، ولكنهم كانوا يعتقدون ان ما يصل إليه لن يكفي ، وأنه سوف يحس بالحبل يشتد حول عنقه ..

ولكن هتلر أمام هذا الموقف من الحلفاء لم يقف موقف المتفرج ، وقرر تمزيق هذا الطوق الذي يحاولون ضربه حوله ..
وبدا على الأثر أركان حربه في أعداد خططهم لغزو فرنسا والبلاد المجاورة لألمانيا ...

بولونيا تستنجد

استصرخت بولونيا في أثناء المعركة .. فرنسا وانكلترا لمساعدتها ..
فلبى الفرنسيون نداءها ، واخذوا يهاجمون المراكز الامامية الألمانية في السار .. على قدر وبشيء كثير من الحذر والاحتراص كما قدمنا ..

ولم يقابل الألمان الهجوم بمثلة .. اخذوا يتراجعون رويدا رويدا حتى وصلوا الى حصون سيففريد فاعتصموا فيها ، وتركوا الفرنسيين يحتلون عددا من القرى الألمانية الواقعة على الحدود ، بعد ان تكبدوا بعض الخسائر بسبب الالغام الكثيرة التي بثها الألمان في الأرض وهم يتراجعون ..
وفي التاسع من شهر ايلول أبرقت رئاسة أركان حرب الجيش البولوني تقول :

« ان الألمان يهاجمون بولونيا بقوة عظيمة وان القوات المهاجمة تقدر بخمسين فرقة ، بينها خمس عشرة فرقة مدرعة .. ولهذا فان الحاجة تدعو الى التخفيف من بولونيا بالقيام بهجوم قوي في الساحة الغربية على الخطوط الألمانية .. »

وفي العاشر من شهر ايلول ارسل القائد العام للجيش البولوني (ريدز سيمفلي) برقية الى فرنسا يطلب فيها الاسراع بنجدته ، فأجابه الجنرال غاملين القائد العام للجيش الفرنسي يقول في رسالة يبدو عليها التردد والضعف :

« يبدو اننا سوف نخوض حرب مواقع أمام عدو منظم محصن ، ولكنني لست املك حتى هذه الساعة المدفعية اللازمة للقيام بعمل على نطاق واسع ومع ذلك فقد بدأت بمهاجمة المواقع الألمانية ولست استطيع في الوقت الحاضر عمل شيء أكثر مما فعلت حتى الان » .

ولم تجرأ الحكومة الفرنسية في هذا الوقت على استعمال طيرانها ضد الألمان حتى ولا على نطاق ضيق .. فبعد الهجوم الجوي الذي قام به الألمان على المطارات البولونية ، أخذت القيادة الفرنسية تخشى رد السلاح الجوي الألماني المنظم على مطاراتها ، قبل ان تتمكن من تحصينها وحمايتها بالمدافع المضادة للطائرات التي كانت قليلة العدد عند الفرنسيين ، كما كانت تخشى غارات الألمان على المدن والمراكز العسكرية مما يكون له اسوأ التأثير في المعنويات الفرنسية ..

وفي الثاني عشر من شهر ايلول احتج رئيس اللجنة البولونية في فرنسا على جمود الطيران الحليف ، وعدم قيامه بحركة ضد الألمان ، وفي اليوم نفسه اجتمع المستر شميرلن الى الميسو دلاديه رئيس وزراء فرنسا فسي (ايفل) ونصحه بالحذر وعدم المفامرة .. ذلك ان الطيران الانكليزي في هذه الفترة لم يكن يقوم بضرب المدن الألمانية ، مكتفيا بالقاء المنشورات المعادية للنازية عليها ..

وفي الليلة نفسها أصدر غاملان أوامره الى الجيش الفرنسي الذي كان يهاجم الحدود الألمانية بالتوقف ، بحجة ان هذا الهجوم لن يقدم ولا يؤخر في مصائر بولونيا ..

وكذلك توقف القتال في السار ، ترك الحلفاء بولونيا لمصيرها المرعب ..
وفي الرابع عشر من شهر تشرين الاول ، أصدر غاملين أمره الى

الجيش الفرنسي الذي كان قد احتل بعض الأراضي الألمانية الألمانية بالتراجع الى حصون ماجينو .. وفي السادس عشر ، عاد الالمان فاستعادوا الارض التي تراجعوا عنها ، وهذات الجبهة بعد ذلك .. وعم الهدوء ارضها وسماءها ..

وطالت هذه الحالة عدة اشهر ، حتى ان الجيش الانكليزي لم يفقد في هذه الاشهر كلها غير ستة من جنوده البالغ عددهم مائة وستين الف جندي .. بحيث ذهب الناس الى الظن بانهم ليسوا في حالة حرب ابدا ، وحتى اخذت الصحف تقول :

« ان المدنيين في المدن اخذوا يحصدون الجنود على هذا النعيم ، حيث يصرفون نهارهم عابثين لاعبين ، وان الاخبار التي تأتي من الجبهة تقول ان احدا من الجنود لم يطلق رصاصة واحدة من بندقيته خلال الاشهر التي تقطعت .. وان بعض وحدات الجيش تصرف وقتها في تجهيز الالبسة للسكان المدنيين المهددين بخطر الغارات الجوية .. »

دعوة للسلم

كان الجنرال غاملين القائد العام للجيش الفرنسي قد عين قائدا عاما للقوات الحليفة في فرنسا ، ولم يكن هذا القائد بالتاكيد كفوءا للوظيفة التي عين لها ، ولا كان من بعد النظر بحيث يتفهم تطور الحرب الحديثة ، فقد اعلن فيما اعلن عند هجوم الالمان على بولونيا ، ان بولونيا سوف تقف في وجه الجيش الالماني شهورا ، ريثما يكون الحلفاء اتموا استعدادهم وبدأوا هجومهم ، ثم كذبتة الايام فلم يقو البولونيون على الوقوف اسبوعين لا شهرا واحدا ..

وكان يعتقد الى هذا ان حصون ماجينو لا تقهر ، وانه لن يتمكن الالمان من خرقها ، وانه سيتركهم يهاجمونها حتى يهلكوا ويتمزقوا ، ثم دار الالمان لما بدأوا هجومهم حول هذه الحصون ، فلم تقف فرنسا كلها فسي وجههم اكثر من اسبوعين ..

وكان هتلر في الوقت نفسه وبعد ان انتهت معركة بولونيا قد دعا خصومه الى الصلح والتفاهم ، ولكن الدولتين اصرتا على القتال حتى النفس الاخير ، وعندئذ بدأ الالمان يدرسون اخصر الطرق لكسب الحرب قبل فوات الاوان ..

كانوا يعلمون ان امتداد الحرب سوف يتعبهم ويفنيهم ، وان اعداءهم هم الفانمون من طول الحرب وامتدادها ، ولهذا فقد كان من مصلحتهم انهاءها باقصر ما يكون من الوقت ..

واذا كانت الحالة في الجبهة الغربية هادئة ساكنة ، فقد كانت الحالة خلفها صاخبة مريعة .. ذلك ان الاستعدادات العسكرية للجولة المقبلة كانت تقوم على قدم وساق في المانيا فيما كان الحلفاء ينعمون بالراحة ، ويظنون انها سوف تطول ..

وكان شتاء سنة ١٩٩ - ١٩٤٠ ، قاسيا مرعبا في الجبهة .. وقد ساعد هذا على هدوء الحالة .. وجمود كل شيء ..

وكان الفرنسيون يقفون خلف حصون ماجينو ، فيما كان الالمان يراقبونهم من خلف حصون سيففريد .. حتى لظن بعض المراقبين العسكريين ، ان الحرب الثانية ستسير على خطوات الحرب الماضية ، وانها ستظل جامدة حتى يعكرها احد الخصمين بترك مراكزه لمنازلة عدوه ..

واما الدرس الذي كان يجب ان يتعلمه كل انسان من معركة بولونيا فقد زال مع الايام من الاذهان ، وحلت محله الطمأنينة ، وعدم توقع اي مفاجأة جديدة سريعة ..

حتى المعارك الجوية لم يظهر لها اثر ، ولا بان لها خبر .. وكان الانكليزيون الذين صرفوا الشهور العديدة في تحصين مطاراتهم ، واخلاء المدن الاهلة بالسكان من النساء والاطفال قد وجدوا لدهشتهم ان السماء رائعة هادئة ، لا تعكرها طائرة عدوة ، ولا قنبلة قاتلة ..

لقد اكتفى الالمان والفرنسيون على الجبهة الغربية بارسال طائراتهم للتصوير والاستكشاف ، وقنع الانكليز بارسال طائراتهم الى المانيا لالقاء النشرات المعادية للنازية ..

واما المدن الكبيرة في انكلترا وفرنسا ومانيا ، فانها لم تتعرض لهجوم جوي ساحق ، كما حدث لوارسوا في بولونيا ..

وقد بدأ للمعلقين العسكريين ان الحرب الجوية لن تبدأ الا بعد ان يتم الالمان استعدادتهم ، هذا من جانب الالمان ، واما من جانب الحلفاء فقد كانوا ينتظرون حركة من الالمان ليبدأوا حركاتهم وهجومهم .. وفي كل هذه الاستكشافات الجوية طيلة الاشهر الستة التي تلت

معركة بولونيا، لم يفقد أحد الطرفين غير عدد قليل من الطائرات لا يذكر ولا يغني ..

المعركة في البحر

وأما في البحر فكان الأمر على خلاف ذلك .. لقد أخذ كل من الجانبين عند بدء الحرب يحاول تحطيم قوة خصمه البحرية، واغراق سفنه التجارية إيان وجدها، بعد أن ضربت انكلترا الحصار على المرافئ الألمانية .. فلم تسمح لسفينة تجارية بالوصول إليها .. وهو ما حصل في الحرب العالمية تماما .. وقد اغرقت ألمانيا الباخرة التجارية الانكليزية (أثينا) في اليوم الأول للحرب، وكان هذا أول انداز للعالم كله بأن ألمانيا بدورها ستفرض الحصار على المرافئ الانكليزية، وأن كل باخرة تحاول نقل البضائع إليها، سوف تتعرض للفرق ..

وبدأت الغواصات الألمانية تجوب البحار .. وكانت (الكوريجس) وهي من حاملات الطائرات أول ضحايا الاسطول الانكليزي، فقد غرقت في السابع عشر من ايلول، وفي الرابع عشر من شهر تشرين الأول، تمكنت غواصة ألمانية بعمل بطولي نادر من الدخول إلى حوض السفن في (سكابفلو) المحصن تحصينا قويا، واغراق المدرعة (رويال أوك) وهي من قطع الاسطول الانكليزي الكبيرة ...

وما انتهت سنة ١٩٣٩ حتى بلغت خسائر الحلفاء في السفن من بحرية وتجارية، ثلاثة أرباع المليون من الاطنان ! ..

وكانت البحرية الانكليزية تعلق اهتماما عظيما على طرادات الجيب الألمانية .. التي تذكر العالم بقصة الطراد الألماني (امدن) في الحرب العالمية الأولى، وكيف أخذ يسطو على السفن التجارية في البحار، ويفرق ما صادفه في طريقه منها ..

وكان طراد الجيب الألماني (ادميرال غراف سبي) أول ما ظهر من هذه القرصان - كما يسميها الحلفاء - في عرض البحر، حيث اغرق بعض السفن التجارية الحليفة، قبل أن تتمكن ثلاث من السفن الانكليزية من مطاردته، وأصابته، واجباره على الالتجاء إلى (مونتيبيديو)، حيث صدر الأمر من برلين إلى قائده باغراقه .. حتى لا يتمكن الحلفاء من اسره والافادة منه ..

ومع أن الحصار البحري الذي فرضه الحلفاء على ألمانيا كان شديدا، فإنه لم يكن ليؤثر عليها التأثير المطلوب، ولا كان باستطاعته أن يحد من قوتها البحرية بعد أن جهزت ألمانيا نفسها إلى أمد محدود بكل ما تحتاجه لهذه الحرب، ولم يكن ينقصها غير البترول الذي استعاضت عنه بالبترول الاصطناعي، والذي أخذت تستورده من كل بلد في أوروبا، كما كان باستطاعتها أن تستورد بعض ما تحتاجه من روسيا السوفياتية، ومن الدول المجاورة لها ..

وليس هناك شك طبعا في أن الحلفاء من حيث المواد الأولية، كانوا أكثر حظا من ألمانيا، فقد كانت البحار كلها مفتوحة أمامهم، وكانت أميركا تمدّهم بالسلاح والاعذية .. وكل ما يحتاجونه لحربهم وبقائهم .. ولعل أهم حادث وقع في هذه الفترة هو تعديل تشمبرلن لوزارته، وضم المستر ونستون تشرشل إليها وتكليفه بوزارة البحرية .. وكان انضمام تشرشل إلى الوزارة، وهو المعروف بمعارضته الشديدة لسياسة هتلر، يعني انقطاع كل أمل بالتفاهم بين الحلفاء وألمانيا .. وحدث في فرنسا تبدل وزاري أيضا .. فقد استقال (دالاديه) في شهر مارس من سنة ١٩٤٠، وحل محله المسيو بول رينو، الذي كان وزيرا للمالية في وزارته ...

موقف روسيا واستعدادها

وليس هناك شك في أن أحدا من الصديقين الجديدين هتلر وستالين، لم يكن يشعر بثقة نحو الآخر .. ولهذا راحت روسيا تعمل بنشاط عظيم في تحصين حدودها الجديدة على الأرض البولونية التي استولت عليها بالاتفاق مع ألمانيا، وتوطيد مركزها في البحر البلطيكي .. وكان أول ما فعلته أن طلبت من دولات هذا البحر، منحها بعض الامتيازات الاقتصادية والبحرية، واجابتها الدولات المذكورة إلى مطالبتها. ففي التاسع والعشرين من شهر ايلول وقعت (استونيا) معاهدة مع روسيا لتبادل المساعدة، وقدمت لها عددا من القواعد البحرية والجوية، وسمحت (ليتفيا) أو (ليتونيا) و (ليتوانيا) في أول تشرين الأول، بأن ترابط الحاميات العسكرية الروسية في نقط معينة داخل حدودها .. فلما انتهت روسيا من هذا، تقدمت إلى فنلندا، ببعض المطالب .. ومن بينها التنازل عن بعض الجزر في خليج فنلندا، وميناء (بتسامو) ..

وهو الميناء الوحيد في المنطقة المتجمدة الشمالية ، الذي لا يتجمد مأؤه خلال شهور الشتاء .. وكذلك التنازل لها عن النصف الشمالي لبرنخ كاروليان ، الواقع بين بحيرة (لادوغا) .. وخليج فنلندا ..

ورفضت فنلندا هذه المطالب ، وقامت روسيا بمهاجمتها .. ووقفت فنلندا الصغيرة ، ترد العدوان الروسي القوي ، ووقف العالم مدهوشا معجبا باليسالة النادرة التي ابداهها الفنلنديون بالدفاع عن ارضهم ، مدى اربعة اشهر ..

واخيرا اضطرت هذه الدولة الصغيرة الى القاء سلاحها ، في اوائل مارس سنة ١٩٤٠ ، وعقدت صلحا مع روسيا احتفظت فيه باستقلالها ، بعد ان اكرهت على التنازل عن بعض الاراضي الواقعة على حدودها الشرقية ، ومن جزيرة (هانفو) الاستراتيجية ... وبعد اشهر قليلة استولت روسيا على دويلات البلطيق الثلاث ، وانتزعت ولاية (بساريا) من رومانيا ، وبذلك اتمت نظامها الدفاعي الذي كانت تعمل له ، خوفا من الخطر الألماني .. الذي كان يجب ان تحسب له حسابا ..

الحرب الصامتة

وكذلك مضت الحرب الصامتة الهادئة على النحو الذي وصفنا .. لتنتهي فجأة على نحو مثير فريد ..

ذلك ان المانيا كانت بحاجة ملحة الى الحديد الخام من السويد ، وكانوا يجلبون هذه المادة اللازمة للصناعة الحربية خلال شهور الشتاء ، وحينما يقفل الجليد ثغور بحر البلطيق ، من ميناء (نارفيك) النرويجي ، وكان من المفروض طبعاً ان تحاول بريطانيا حمل النرويج على وقف نقل الحديد الى المانيا من مياها الاقليمية ، وسد هذا الطريق البحري في وجه السفن الألمانية ..

كان الهدوء يسود الجبهة الغربية واوروبا كما قدمنا طيلة هذه الاشهر التي تقطعت بعد معركة بولونيا ، ولكن الذين كانوا يعرفون العقليّة الألمانية والتنظيم الألماني كانوا يعلمون ان الألمان كانوا يأخذون عدتهم للمعركة المقبلة ، ولكن الألمان ارادوا كما يظهر .. وقبل ان يوجهوا ضربتهم الى فرنسا ان يشغلوا الناس والحلفاء بالاستيلاء على الدانمارك ونرويج اولاً ، ليعلم العالم بان الحلفاء لا يستطيعون شيئاً لمعاونة الدول الصغيرة

ورد العدوان عنها ثانياً ، فلما انتهى هتلر من ذلك كانت الضربة الصاعقة ضد فرنسا وانكلترا والبلجيك وهولندا دفعة واحدة .. ولكن هتلر كان يقصد في الوقت نفسه عندما هاجم هولندا والبلجيك الى حمل الحلفاء على ارسال قواتهم الى الشمال حتى يخلو الجو للقيادة العسكرية الألمانية فتضرب ضربتها في فرنسا باتجاه الاردن بحيث يتمكن الجيش الألماني من تطويق الفرق التي اسرعت لنجد البلجيك من جيوش الحلفاء ..

ومع ان القوات الألمانية الزاحفة اذا قيسست بقوات الحلفاء لم تكن لتزيدها كثيراً جداً .. لان الزيادة في الواقع لم تكن اكثر من ٢ الى واحد ، ولكن الحرب الحاضرة قد اثبتت ان المشاة ليسوا كل الجيش ، وليسوا اساس الحرب ، فان هناك القوات المدرعة ، وهذه القوات هي التي ثبتت دعائم النصر ، ومكنت الفاتحين من السيطرة على المعركة .. في هذه الحرب الجديدة ..

وهي الى هذا كانت تفوق قوات الحلفاء التي تماثلها بما يقارب الخمسة الى الواحد ..

واقبل اليوم الثامن من شهر نيسان سنة ١٩٤٠ ، هادئاً وطباً كعادته ، ولم يكن احد من سكان نروج والدنمارك يظن ان هذا اليوم سيكون فصل الخطاب في مصيرهم لسنوات بعدها ، فلما اقبل الليل نشط الطابور الخامس للعمل ، وكانت البواخر الألمانية المليئة بالاسلحة موجودة في محلات معينة من المرافئ الدانماركية ، فلما ازفت ساعة العمل ، ظهر ان الخطة الألمانية كانت من الاحكام والتنسيق والسرعة بالمكان الارفع ، وما هي الا ساعات حتى استولى هتلر على الدانمارك ، وتمكن من مراقبتها ومدنها قبل ان يفيق الناس من ذهولهم ..

وكان الامر مثل ذلك في نروج ... فقد اقبلت الطائرات الألمانية في الليل تحمل الجند والسلاح الى مطار اوسلو لمساعدة الطابور الخامس من سكانها ، كل موجة تحمل ثلاثة الاف من جنود الصاعقة ، وبين الموجة والثانية ثلاث دقائق فقط ، فلما اشرف النهار كانت المدينة في ايدي الألمان ..

وفي الوقت نفسه كان الألمان قد نزلوا في مرافئ المدن النرويجية الاخرى بمساعدة جماعة من اهلها ، وفي اقل من اسبوع كان الألمان قد استولوا على اكثر نروج .. ومع ان الحلفاء اوسلوا بعض سفنهم وجنودهم

المعارك في السماء والارض كيف سقطت بلجيكا ودهش الحلفاء وكيف انهارت فرنسا بعد ذلك

المعارك الاولى

اذا كان الحلفاء لم يتكلفوا خسارة تذكر في المناوشات التي جرت بينهم وبين الالمان حتى الايام الاولى من شهر مايس سنة ١٩٤٠ . فقد كان عليهم بعد هذا التاريخ ، ان يحشدوا جميع قواتهم للمعركة المقبلة .. وهي معركة لم يكونوا قد استعدوا لها ، ولا كانوا قد اتخذوا لها ما تحتاجه من الالهي والاسلحة ، الا اذا كانت اسلحة سنة ١٩١٤ ، وعقلية الحرب العالمية الاولى ، ستكون سلاحهم ورائدهم ..

ولقد استقبل الجنرال غاملان القائد الاعلى للقوات الفرنسية المعركة بعقلية الحرب العالمية الاولى ، وذهب به الخيال الى الظن بانها ستكون حرب خنادق وحصون لا حرب حركة ، ولكن الهجمات الاولى التي قام بها الالمان على هولندا وبلجيكا وفرنسا دفعة واحدة اظهرت بجلاء ان هذه المعركة ستكون الحاسمة ، وانها ستقرر مصير فرنسا واوروبا في السنوات المقبلة ، ولقد بدا الزحف بهجوم قوي فطيع من السلاح الجوي الالمانى وقامت الطائرات الالمانية بضرب المرافئ والحصون والجسور ، وطرق المواصلات ومراكز التموين والجيوش مدى ثمانية واربعين ساعة ، وبدأ



القتال ضد اليابانيين

لنصرة التروجيين ، وانزلوا بعض قواتهم في مرفأ (نارفيك) .. فان المعركة كانت قد انتهت لانه كان بمقدور هتلر ان يرسل الى لروج من جنوده اضعاف ما يرسله الحلفاء لنجدتها ، كما انه في الوقت الذي كانت تدور فيه هذه المعارك الصغيرة في هذا المرفأ التروجي الثاني بين قوات الالمان وجنود الحلفاء ، كان هتلر في مساء التاسع والعاشر من شهر مارس قد امر قواته باحتلال بلجيكا وهولندا ..

الزحف باجتياز نهر الموز وقنال البر بالقرب من (لياج) المدينة البلجيكية المحصنة ، كما ان الهجوم الألماني على هولندا قد اهاب بالحلفاء الى الظن بان الالمان قد عدلوا خطط شليفن الحربية القديمة التي استعملوها في الحرب العالمية الاولى ، ولكن الالمان في الحقيقة كانوا قد عدلوا هذه الخطط لتوافق طريقتهم الحربية الجديدة ، ويفرضوا على الحلفاء توزيع جيوشهم بطريقة تساعد القيادة الألمانية العليا ..

وهو ما وقع فعلا .. فقد أسرع قوات الحلفاء لمساعدة بلجيكا كما زحفت قواتهم لمساعدة هولندا عبر البلجيك ، وفي الوقت الذي كانت فيه قوات المانية تسحق المقاومة في هاتين الدولتين ، كانت قوات المانية أخرى قد اجتازت الارض الفرنسية نفسها نحو الاردن ونحو سيدان ، ولكن الحلفاء ما عتصموا بعد ساعات .. ان عرفوا ان لا فائدة من انقاذ هولندا ، ذلك انها لم تكن تستطيع المقاومة ريثما تصل اليها النجدة المنتظرة .. لان الخطة الألمانية كانت من الاحكام والبراعة بحيث لم تدع سبيلا للمقاومة . فقد أجرى الالمان حرب الصاعقة على الوجه الاكمل .. وفي الوقت الذي كانت فيه جيوشهم تخترق حدود هولندا ، كانت قوات المظليين تنزل في مطار نوتردام ، وعلى الجسور المهمة ذات المراكز الحربية العظيمة .. بحيث أصبح الجيش الهولندي بين نارين ، نار الألماني الزاحف من الحدود ، ونار المظليين الذين أصبحوا خلفه ، واخذوا يهددون طرق تموينه ومراكز دفاعه .. ويؤكد الهولنديون ان الايام الاربعة التي تقطعت بين الهجوم والتسليم كانت من أشد أيامهم هولا وخوفا .. فلما أصبح اليوم الرابع عشر من الشهر ، لم يبق أمام هذه القوة الا التسليم .. وقد فعلت ..

سقوط بلجيكا

وبينما كان الحلفاء يعتمدون على لياج وحصونها لوقف الزحف الألماني اعتراهم الذعر لما سقط أعظم حصون لياج (بن آمال) في اربع وعشرين ساعة ، واخذ البعض يتحدثون عن سلاح الماني جديد لاخضاع الحصون القوية ، والواقع انه لم يكن هناك من اختراع جديد ، كل ما في الامر ان الالمان درسوا خططهم الحربية بما عرف عنهم من النظام والدقة ، فبنوا نماذج للحصون البلجيكية في المانيا وراحوا يدرّبون جيوشهم على اقتحامها فلما أزفت الساعة ، كان كل فريق من هؤلاء الجنود قد أخذ مكانه للقيام بالعمل المخصص له ..

وكان اول ما قام به الالمان لما بدأوا هجومهم ان انزلوا قوات من المظليين خلف حصون (بن آمال) قبل المساء ، وكلفوهم نصف الحصون من الخلف ، بكميات من الديناميت والقنابل المدمرة ، ولما أحست الحامية بالخطر ، ونشطت للمقاومة ، كانت القوات الألمانية من المشاة قد قطعت نهر الموز وأصبحت قبالة الحصن المذكور ، بينما كانت (الستوكا) تقذف بقية الحصون بقنابلها لاسكانتها ، وهذا دليل صغير على دقة الالمان ودراستهم لكل صغيرة وكبيرة من وسائل الدفاع عند خصومهم ، وهو ما لم يفتن له الحلفاء الذين صرفوا الأشهر التي تقطعت بين معركة بولونيا ومعركة فرنسا في الاستسلام لثلاثة حصون ماجينو ..

خطا في التقدير

يقول (بول رينو) رئيس وزراء فرنسا يصف الممارك : « كان من المنتظر في الاوساط العسكرية ان تطول معركة فرنسا أسابيع او شهورا على الاقل ، ولكن شيئا من هذا لم يحصل ، فقد استغرقت هذه المعركة من الوقت ، مثل ما استغرقت معركة بولونيا ، مع وجود الفارق العظيم بين قوتي الدولتين العسكرية والمالية ، ومع كون فرنسا تنعم بامبراطورية اقل ما يقال فيها انها أضعاف أضعاف بولونيا في عدد السكان والثروة ، والقوة والمنعة ، ومع وجود الاسطول الفرنسي الذي كان رابع اسطول في العالم ..

« ومهما حاول المؤرخون تحليل الاسباب التي أدت لانتهار فرنسا ، فانهم لا يعدون ما ذهبنا اليه سابقا .. وهو ان الفرنسيين او القيادة الفرنسية بصورة خاصة ، لم يدركوا التطور العظيم الذي طرأ على الفن العسكري بعد الحرب العالمية الاولى ، وظنوا ان الحرب الجديدة ستكون حرب حصون وخنادق وناموا على هذه النظريات الخاطئة ، فلمّا أخذتهم الحرب الصاعقة بغتة ، كان كل شيء قد انتهى ، وكان الجيش قد تمزق ، والحصون قد دكت ، والبلاد قد احتلت ..

« وكما ذهب الاميركان في صناعاتهم ولسنوات خلت الى وضع العامل في المحل الموافق لمزاجه واستعداداته وشخصيته ، في مختلف اعمالهم التجارية ، أقرّ الالمان هذه الخطة في الفن العسكري ، فوضعوا كل جندي في مكانه ، فهذا للهجوم وآخر للدفاع ، وثالث للطائرات ورابع لاستعمال الاسلحة الميكانيكية ، وقد أجرى الالمان هذا التقسيم الى غاياته ، حتى

صبروه في المقدمة من اهتمامهم ، وزادوا فوق هذا ان بثوا في جنودهم روح التضحية ، واكبروا عندهم حب الوطن ، وافهموهم انهم انما يدافعون عن استقلالهم ضد العدو الذي يريد استعبادهم وقهرهم ..

« واذا أضفنا الى هذا توحيد القيادة العامة لمختلف الاسلحة في البر والجو والبحر ، وقمنا على الاسباب الاولى التي مكنت للامان من انتصاراتهم الساحقة ، وتقدمهم السريع .. »

وليس هنا مجال التبسط في الدقة المتناهية التي نظم الالمان فيها هجومهم على فرنسا ، ولا في حسن تقسيم قواتهم ، التي بلغت عند بدء الهجوم على هولندا وبلجيكا وفرنسا ستة جيوش ، مؤلفة بأجمعها من ١٩٠ فرقة كان اولها يقصد امستردام ، وسادسها يمضي نحو سيدان .. ولا في الحيلة التي اتبعها الالمان فحملوا الحلفاء على ارسال بعض قواتهم الى بلجيكا لانقاذها ، بينما كانت قوات المانية اخرى تمشي نحو فرنسا ، فان هذا كله مما سبقت الاشارة اليه ، كل ما يهمنا الآن هو وصف هذه الايام الجاهمة التي مرت على فرنسا في غمرة هذه الحرب ، بقلم رئيس وزرائها المسيو بول رينو الذي أفرد لهذا البحث فصولا خاصة في مذكراته ، التي حاول فيها تبرير موقفه ، واتهام خصومه - بيتان ولا فال - مع الاعتراف بأن فرنسا لم تكن في حالة عسكرية حسنة ، ولا كانت تستطيع مجابهة الخطر الألماني بصورة جدية ..

الهجوم

« بدأت المعركة ، او بدأ الهجوم في صباح اليوم العاشر من ايار ١٩٤٠ دون ما سابق انذار ، وبدأت القوات المصفحة الألمانية ، تزحف على حدود ثلاث دول دفعة واحدة .. »

وكانت الخطة الألمانية كما يقول « رينو » حمل فرنسا وانكلترا على ارسال قواتهم بسرعة لانقاذ بلجيكا ، فتقع جميع هذه القوى في الفخ الذي نصب لها ، بينما كانت قوات أخرى المانية تزحف نحو فرنسا ، وتعمل على تطويق القوات المتحالفة فيها ..

ولما علم « رينو » من السفير البلجيكي في الساعة الثانية من صباح اليوم العاشر من شهر ايار بزحف الجيش الألماني ، بدأ الفرنسيون بارسال قواتهم الى بلجيكا مساعدة لها ، وتثبيتا لمعنوياتها ، دون ان يخطر لاحد في

ذلك الوقت ان بلجيكا لا تستطيع الصمود اياما ، وان انقاذها امر سابق لاوانه ..

ولما بدأت المعركة ، وبرزت الخطة الألمانية جلية ظاهرة اخذ الحلفاء يعملون المستحيل ليتمكنوا من الوقوف في مكان ما ، يستطيعون فيه تنظيم صفوفهم ، وتوطيد مراكزهم ومجابهة عدوهم بكل ما عندهم من السلاح والرجال ، ولكن الالمان لم يمكنوها من شيء من هذا ، ولا كان في الخطة الألمانية مثل هذه الفكرة ، فقد كانت القيادة الألمانية ترسل قواتها الميكانيكية ودباباتها العديدة لتقسيم جيش العدو المؤلف من المشاة الى اقسام عديدة ليتمكن المشاة الزاحفون خلف الدبابات وخلف الطائرات من القضاء عليه بسهولة ..

وكان جيشا « هونتزيجر » و « كوراب » .. يرابطان على طول نهر الموت وفرعه شبير .. كما نقل جيش جيرو الى ما وراء انفرس ليرابط هناك كجيش احتياطي بعد ان ارسلت السيارات في اتجاه - بريدا - عملا باتفاق سابق مع السلطات الهولندية - وذلك للالتقاء بالجنود الهولنديين المرتدين من مستنقعات بيل ..

وكان الهولنديون قد سمعوا ان القوات البلجيكية بدأت تجلو عن قناة البرت ، ولهذا لم يقاوموا في المستنقعات بعد ان كنا نأمل ان يستطيعوا المقاومة مدة يومين او ثلاثة ، لا سيما انهم اقاموا عدة استحكامات في هذه المنطقة ، كما أعدوا كمية من المفرقات لنسف المنشآت قبل جلائهم عنها ..

ثم ان الجنود الهولنديين لم ينسحبوا الى (بريدا) ، بل ارتدوا الى شمالي نهر الموز كما انهم لم يتمكنوا من الحيلولة دون استيلاء القوات الألمانية على جبل مايسنك .

وقد قاوم الهولنديون ١٠٠ ساعة فقط ، ثم استسلموا بعد ذلك خوفا على مدنها من ان يدمرها الالمان ..

وقد ترتب على انسحاب القوات الهولندية ان اضحت الفرقة التي ارسلها الجنرال جيرو الفرنسي الى منطقة بريدا ، تواجه وحدها فرقة من قوات البانزر - القوات المصفحة - تؤيدها طائرات الانقضاض الألمانية ووحدات الطلائع التابعة لفرقة أخرى ، وهكذا اضطر جيش جيرو الى الارتداد الى انفرس ..

القوات البلجيكية

وخاب أملنا في القوات البلجيكية أيضا فقد كانت القيادة الفرنسية تعتمد عليها في وقف الزحف الألماني بضعة أيام ، ولكن البلجيكيين لم يصمدوا في خطهم على قناة البرت ، لأن الألمان هاجموا بلجيكا غيلة واستطاعت قواتهم التي أنزلتها الطائرات أن تحتل الجسر المقام تجاه ما يسبريخت . ونجح الألمان في الاستيلاء على الجسر بالرغم من أن مدافع قلعة بن أمال الواقعة شمالي لياج كانت تحميه ، ولكن القلعة لم تصمد في وجه قنابل الطائرات الألمانية كما أن جنود الطائرات نسفوا برجها ومراكزها الحصينة فأصبحت عديمة الأثر بعد أن جردت من - الميون - التي يضرب المدافعون الهدف من خلالها ..

وعبرت فرقتان من قوات البانزر تتبعها فرقة من المشاة الذين تحملهم السيارات في قناة البرت . ويلوح أن الجيش البلجيكي لم يقم بمناورة واحدة لوقف زحف جنود العدو في أثناء ارتداده .. بل واصل الارتداد دون توقف .

المساة الثالثة

وكانت الخطة الموضوعة التي اتفق عليها ، أن تضع القوات البلجيكية نفسها تحت تصرف القيادة الفرنسية في ساحة القتال التي يرتد إليها البلجيكيون ، وأن يواصلوا القتال هناك كما تقتضي الحالة .. ولكن الذي حدث أن الجزء الأكبر من القوات البلجيكية المرابطة في خط لياج - ارلو . عبرت الخطوط الفرنسية دون أن تشارك في القتال .. وكان طبيعيا أن يوجه الجنرال بلانشار انتقادا مرا إلى القوات البلجيكية التي أخفقت في تأييد قواته .

الثغرات الثلاث

كنا نعلم .. أن حوادث التاريخ والمواقع الجغرافية الخاصة ببلادنا وجاراتها تساعد الجيش الألماني على شن الهجوم عبر ممرات ثلاث وهي: السهل البلجيكي بين نافرز والدليل ومقاطعة دنيان ومنطقة سيدان .. وكنا نعرف أن الألمان حشدوا سبع فرق من قوات الصاعقة الميكانيكية حذاء المعبرين الأخيرين ، وبناء على هذا كان علينا أن نتخذ قراراتين: أولهما

إغلاق الممرات الثلاثة ولا سيما الأخير منها بحشد كبير من خيرة القوات تمزرها المدفعية المضادة للطائرات والدبابات ، وثانيهما : حشد فرق قوية من الاحتياطي وراء دنيان وسيدان ..

وصدرت الأوامر إلى جيش كوراب بالدفاع عن الممر الأول ، وكان من الأمور الهامة أن تختار القوات التي عهد إليها بالدفاع عن ممر دنيان من خيرة الجنود ، وأن تصل في الموعد المناسب ، ولكن الذي حدث هو أن هذه الإجراءات لم تنفذ ، إذ أن القيادة لم ترسل عددا كافيا من الجنود ولم تكن الروح المعنوية عند الذين أرسلوا عالية فقد أرسلت هذه القوات من الفرق الاحتياطية ، وكانت المدافع المضادة للطائرات والدبابات التي زودت بها ناقصة الاستعداد فضلا عن أنها قديمة .

ولم تصل القوات في الوقت المناسب لاحتلال مواقع نهر الموز الذي عبره جنود العدو بدون صعوبة في نقط تقع شمالي دانيال وجنوبها ..

ممر سيدان

حشدت ثلاث فرق من قوات الاحتياطي للدفاع عن سيدان ، وكانت الفرقة الأولى التي رابطت عند الجناح الأيسر من جيش الجنرال كوراب ، وكانت الفرقتان الأخريان من جيش الجنرال هونتزيجر .

وقد عرف الجميع وقتئذ أن هذه الفرق الثلاث تتألف من شيوخ قوات الاحتياطي الذين سلحوا تسليحا رديئا ، كما أنهم لم يزودوا بضباط خبيرين بشؤون الحرب وإلى جانب ذلك كانت روحهم المعنوية في حالة محزنة حقا ..

وكانت مهمة هذه الفرق - وهي أسوأ قوات الجيش الفرنسي - الاحتفاظ بسيدان التي تعد بمثابة بوابة فرنسا .. بينما حشد إلى الجنوب ٦٣ فرقة من الجيش العامل .

وكان أن انهارت فرق الاحتياطي الثلاث في سيدان بعد أن فوجيء رجالها بنوع من الحرب لا يعرفونه ، بل لم يتخيلوه في يوم من الأيام ..

ارتداد البلجيكيين

وفي صباح يوم ١٩ مايس أرسل الجنرال هونتزيجر عددا من الفرسان من سيدان إلى مونتيميدي عبر منطقة الإردن البلجيكية على أثر فراقها

من عمليات النسف والتدمير التي عهد بها اليها ..
ولكن البلجيكيين لم ينتظروا فصائل الفرسان التي ارسلناها ، بل حدث
ان ارتدت الفرقتان البلجيكيتان - من رماة الاردن - وفرقتا الفرسان
الاخريان في اتجاه نامور .. وتركنا الباب مفتوحا لجنود العدو ..
وفي ١٣ مايس كان الجنرال غاملان مجتمعاً بالجنرال جورج في لا فيرت
.. عندما افادت الانباء بان قوات العدو بدأت هجومها على سيدان وما
بعد سيدان ..

ويومئذ قال الجنرال غاملان انه يجب علينا ان نقاتل الى النهاية في هذه
المواقع التي اختيرت باتفاق قيادات الحلفاء ..
وفي ١٣ مايس تقلد المستر ونستون تشرشل رئاسة الوزارة الانكليزية
خلفا للمستر تشمبرلن الذي استقال ، وصرح المستر تشرشل في مجلس
النواب الفرنسي قائلاً :

« ليس لدي ما أقدمه سوى الدماء ، والتعب والدموع والعرق .. »
قال مستر تشرشل ذلك بالرغم من الانباء الواردة التي كانت تقول ان
الف دبابة فرنسية قذفت الى المعمة لوقف الزحف الالماني الجارف ثم
استطرد يقول :

- سنقاتل بكل قوانا ، واذا ما تساعل احد .. ما هو الهدف الذي
نبغي تحقيقه ؟
قلت : انه النصر ، النصر بأي ثمن .. والنصر بالرغم من جميع
الاهوال التي سنواجهها .. !

الكارثة

وفي سيدان بدأت الكارثة تنزل بنا ، وقد قيل لنا اننا انشأنا جيشا
دفاعيا .. ولكن اين اسلحة هذا الجيش ، واين حقول الالغام التي كان
يجب ان توقف العدو او على الاقل تبطيء زحفه .. واين المقاتلات التي كان
يجب ان تسقط طائرات الانتقراض الالمانية .. واين المدافع المضادة
للدبابات والطائرات لاسقاط قاذفات القنابل وطائرات الانتقراض الالمانية ..
اين كل هذا ؟ ..

وقد سجل شهود العيان ان روح الفرقتين اللتين كانتا تخوضان المعركة
ساعتئذ كانت منحطة ، وعزا بعضهم هذه الحالة الى تفشي الشيوعية بين
هؤلاء الجنود كما صرحوا قبل بدء الهجوم بان جنود هاتين الفرقتين
لم يتلقوا التدريب الواجب ، وان عددا كبيرا منهم لم يكونوا يحبون ضباطهم ..

ولما وقع الهجوم قيل ان هناك من شاهد الجنود وهم يرتدون خوذاتهم ،
وقد بدت مقدمة الخوذة في المؤخرة ، وسرعان ما قالوا لبعضهم : لقد وصل
الامان لينقذ نفسه من يستطيع ذلك ! ..

لكنه يجب على الباحث ان يقدر جيدا عنصر المفاجأة التي نزلت بهؤلاء
الجنود على اثر مشاهداتهم طائرات الانتقراض الالمانية وفرق البانزر لأول
مرة ..

وقد صرح عدد كبير من جنودنا بانه لما لم تكن لديهم اية مقاتلات ،
فان طائرات الانتقراض الالمانية اخذت تقذفهم بقنابلها بنفس السهولة التي
يطلق بها الصياد الماهر رصاص بندقيته على قطيع من الارانب ..



ريبنتروب وزير خارجية المانيا مع (بول رينو)

خلف النار

والواقع ان العامل الذي ترك اعظم الاثر في هزيمتنا هو « حملة
الهمس » التي كانت ترمي الى اضعاف فرنسا في عزمها على القتال ، اذ
سمعنا من يهمس في بعض الدوائر همسا بلغ الى حد القول : ان هتلر خير
من ستالين ! ..

وفي دوائر اخرى : لماذا نموت من اجل دانتزيغ ؟

الخطط الاولى

يقول الجنرال غودريان قائد الفرق المصفحة التي اقتحمت بولونيا، وسحقت قوات فرنسا، في كتابه الشهير عن الفرق المدرعة: « كانت القيادة العليا للجيش الألماني تريد تنفيذ خطة شيلفن المشهورة .. التي صار اقرارها في الحرب العامة الماضية، ولكن بعد تعديلها، والباسها ثوبا جديدا .. ولكنني والجنرال مانستين، كنا نعارض هذه الفكرة ونحاول اقرار خطة جديدة، على ضوء النجاح الباهر الذي احرزناه في معركة بولونيا ..

فقد ثبت في هذه المعركة بما لا يدع مجالا للشك، ان الفرق المدرعة الخفيفة، تستطيع قلب الاوضاع، ونقل الحرب من جو الى جو .. وانها تظهر بالنصر اخر الامر، وتسيطر على ميدان القتال .. ولما اجتمعت الى مانستين في شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٣٩، واخذنا باطراف الحديث حول الهجوم الجديد الذي كنا نستعد له في الجبهة الغربية شرح لي خطته التي تتركز في هجوم تقوم به الدبابات والفرق المدرعة .. في جنوب بلجيكا ولوكسمبورغ نحو (سيدان) في فرنسا .. واختراق حصون ماجينو في هذه المنطقة .. وشطر الجيش الفرنسي الى شطرين .. ثم سألني رأيي في خطته كقائد اخصائي في حرب الدبابات والفرق المدرعة ..

وبعد دراسة الخرائط .. واستعادة ما اعرفه من الذاكرة، عن هذه الارض التي خضت المعارك فيها، اثناء الحرب العالمية الاولى .. ايدت الجنرال مانستين في رأيه، وقلت له ان خطته سوف تنجح بالتأكيد .. ولكنني اشترطت شرطا واحدا وهو استخدام اكبر عدد ممكن من الدبابات، والفرق المدرعة في هذه المعركة ..

ولكن القيادة الألمانية العليا لم توافق على هذه الخطة .. فقد كانت تريد الاحتفاظ بدباباتها الجديدة، فلا تدفعها في معركة واحدة دفعة واحدة .. ولكن القدر لعب لعبته في هذه الفترة .. فسقط طيار الماني كان يحمل تفاصيل خطة شيلفن معه، بأيدي السلطات البلجيكية .. ولم تتأكد القيادة العليا فيما اذا كان الطيار المذكور قد احرق اوراقه ام لم يفعل، مما اضطرها والحالة هذه، الى الغاء خطة شيلفن، والاعتماد على خطة مانستين وخطتي ..

واخيرا اضعفت الفكرة السائدة بان القتال سيدور في التحصينات المبنية من الاسمنت المسلح .. مزايا جيشنا العسكرية .. ثم يجب ان لا ننسى ان الجيش الفرنسي كان يواجه قائدا عنيدا عرف كيف يدرب شبابه المقاتلين على الفناء وهم يخوضون غمار المعركة .. ويجب ايضا ان لا ننكر ان قلة عدد طائراتنا، تلك القلة التي اعترف بها الجميع واستنكروها .. كانت فضيحة عظيمة .. وبين مساء يوم ١٤ مايس ومساء اليوم التالي اخترق الالمان جبهتنا في سيدان وجيفيه ودينان ..

تعديل في القيادة

وفي اليوم ذاته قضى السيول دلايه والجنرال غاملين فترة الصباح في مقر قيادة الجنرال جورج ..

وفي اثناء هذا الاجتماع دق التليفون .. وكان المتحدث الجنرال بيللو قائد الجيوش المتحالفة في بلجيكا وقد طلب من جورج عزل كوراب من قيادته وتعيين جيرو خلفا له .. ولما وصل الجنرال جيرو ليتسلم زمام قيادة جيش كوراب الذي بدأ يتبخر .. اسره الالمان ..

وعلى اثر ذلك اقترح جورج على الجنرال غاملين عزل هونتزيجر من قيادته بعد ان اقتحمت الجبهة في سيدان، ولكن غاملين لم يوافق قائلا: ان هونتزيجر كفء .. وبعد ايام صدق حكم غاملين، فقد استطاع هونتزيجر ان يحرز نصرا عظيما بانقاذ قواته ..

وفي الشمال - في المنطقة الواقعة وراء الدايل - لم يهاجم الالمان القوات البلجيكية المحتشدة هناك كما انهم لم يشتبكوا بالقوات البريطانية ولكنهم، شنوا هجوما كبيرا على جيش الجنرال بلانشار بين الدايل ونامور ..

وكانت هذه القوات الاخيرة من طراز اخر غير طراز قوات كوراب .. لانها اختيرت من صفوف الجيش النظامي العامل كما كانت روح الجنود المعنوية رائعة ..

وصمدت قوات بلانشار في وجه هجوم العدو، ولكن لما صدرت الاوامر بالارتداد العام سحب بلانشار قواته الى المنطقة الانكليزية فعمت الفوضى الساحة كلها ..

لقد كانت الخطة التي ايدناها تقوم على اندفاع القوات المصفحة الالمانية نحو نهر (الموز) .. بالقرب من (سيدان) ، وقطع هذا النهر ... وكان وجه الخلاف بيننا وبين القيادة .. فيما اذا كان باستطاعة القوات المدرعة قطع النهر بدون مساعدة المشاة .. وكان رأي القيادة ان تصل القوات المدرعة الى الموز ، وتقف عنده ، ريثما تصلها الامدادات من المشاة ، وتبدأ المرحلة الثانية من الهجوم ..

وبعد جدل كثير ، ومناقشات ، ومناورات .. تم الاتفاق على ان تقوم قواتي المدرعة ببدء الهجوم ، وان تتقدم غيرها من القوات الاخرى ... وجعلوا تحت قيادتي الفرقة الاولى والثانية والعاشر المدرعة .. فاخذت على الاثر اعيد تنظيم قواتي وجنودي ، وانا واثق من النصر .. كما ضموا الي فرقة من المشاة ، لمساعدتي في هجومي هذا ..

واما السبب الذي حمل الجنرال غودريان على الايمان بفعالية الفرق المدرعة ، فهو ما شاهده من ظهور الدبابات عند الحلفاء في الجبهة الغربية سنة ١٩١٦ ، وكيف تمكن الحلفاء بواسطتها من اختراق الاستحكامات والخنادق الالمانية ..

وكيف ان الحلفاء في معاهدة (فرساي) حظروا على المانيا استعمال الدبابات او انتاجها ، مما اكده قوتها واثرها في الحرب ، فراح يدرس اثرها وما يمكن ان يفيدته الالمان منها ..

وكان من نتائج الدراسات التي قام بها ، والتعديلات التي صار ادخالها على هذا السلاح الجديد ، الذي سبقت به المانيا غيرها من الحكومات الاخرى ، ان اصبح الجنرال غودريان على مثل اليقين من نجاح خطته وظفره في معركته ..

واما الحلفاء فمع انهم افادوا كثيرا من الدبابات في معركة سنة ١٩١٨ ، التي غلبوا بها المانيا ، فانهم لم يعيروها اهتمامهم بعد الحرب ، ومضوا يمتقنون ان الحرب سوف تظل حرب مراكز واستحكامات وخنادق لا حرب حركة وتقدم سريع ..

ولقد كانت فرنسا تنعم باكبر قوة عسكرية من المشاة في اوروبا ... وبأكبر قوة من الدبابات ايضا ، وكان عدد القوات المدرعة الفرنسية والانكليزية في الجبهة سنة ١٩٤٠ يقارب الاربعة الاف دبابة ، فيما لم يكن لدينا اكثر من ٢٨٠٠ دبابة ، اشترك في الهجوم منها ٢٢٠٠ .. واذن

فقد كان العدو يفوقنا عددا ، وكانت دباباته اقوى من دباباتنا .. وان كان ما لدينا منها اكثر سرعة وحركة ..

ولكن القيادة الفرنسية لم تدرب دباباتها على حرب الحركة ، بل كانت تسير على تقاليد الحروب الماضية ، من الاعتماد على حرب الخنادق والحصون ، والمراكز المستقرة .. والهجوم بين وقت واخر ، واما فرق الدبابات فكان اقلها للحركة ، واكثرها للدفاع ، وهي خطة كانت تخالف ارائي وخططي كل المخالفة ، مما اكده لي اني ناجح في خططي الجديدة ..

فلما اشرف ربيع سنة ١٩٤٠ كنا نحن الالمان على علم تام بخطط الجيش الفرنسي وطريقته في الحرب والقتال ، وكنا نعلم ان حصون ماجينو بين (مونتيميدي) و (سيدان) ليست قوية جدا .. كما كنا نعرف حق المعرفة قوة الحصون الهولندية والبلجيكية .. فقد كانت كلها موجهة نحونا ، فلو اتيناها من خلفها ، لقل نفعها ..

وكانت القوات الفرنسية والانكليزية قد تجمعت في (الفلاندر) .. بين الموز وبحر الشمال .. واما الجيشان البلجيكي والهولندي فكانت عنايتهما منصبة على الدفاع عن حدودهما ..

وكان العدو يعتقد اننا سوف نطبق خطة شليفن في هجومنا الحاضر واتخذ احتياطاته وحشد جيوشه لمجابهة هذه الخطة ، وتقدم بقواته نحو بلجيكا لافساد خطتنا هذه ، دون ان يظن الى اننا قد نحاول تبديلها او تعديلها على الاقل ..

وكنيت في الوقت نفسه شديد الدهشة لموقف الفرنسيين وجمودهم امام خطوطنا اثناء معركة بولونيا ، فقد كنا نخوض هذه المعركة بمعظم قواتنا الضاربة ، وكان من حق الفرنسيين الافادة من انشغالنا في تلك الجبهة ومهاجمتنا واحراجنا ، ولكنهم لم يفعلوا ، فدلني هذا على انهم يواجهون هذه الحرب بشيء من عدم الاهتمام ، وانهم لا يريدون الحرب مطلقا ، مما حملني على الاعتقاد بان هجوما مدرعا باتجاه سيدان واميان وصوب مرافئ بحر المانش ، سوف ينجح لا محالة .. واذا تمكنا من الافادة من نجاحنا هذا .. امكنا شطر الجيوش التي كانت تتقدم نحو بلجيكا ، امتقاداتنا منها ان جيشنا سوف يتجه من بلجيكا لمهاجمة فرنسا كما فعلنا في الحرب الماضية ..

على المدن الهولندية دمرت جانبا كبيرا منها .. وألقت الرعب في نفوس الأهليين ، وسقطت روتردام في الرابع عشر وأكره الهولنديون عقب النكبات التي حلت بهم ان يلقوا بأسلحتهم في اليوم التالي ..

« وفي الوقت نفسه كان الألمان يوجهون ضربات شديدة للجيش البلجيكي .. وكان ملك بلجيكا قد استنجد ببريطانيا وفرنسا ، فدخل جيشاهما بلجيكا طبقا لخطّة موضوعة .. ولكن القيادة الألمانية جردت قوات مصفحة كبيرة تحت قيادة الجنرال فون رندشتدت ، حطمت خط دفاع الحلفاء في الرابع عشر من شهر مايس ، فاخرقته بين نامور وسيدان، وعبرت نهر الموز ، شاقّة طريقها خلال غابات الأردن التي كان يعتقد انه من المتعذر على أي جيش ان يخرقها ، واتجه جزء من قوات المصفحات الألمانية غربا نحو (اميان) وجنوبا نحو « ريمس » .. ودخل الألمان اميان في اليوم التاسع عشر، (ابفيل) في اليوم التالي ..

ثم زحفوا سريعا صوب الموانئ الفرنسية على بحر المانش ، فوصلوا الى ساحله في الحادي والعشرين وهاجموا بولون وكاليه في الثالث والعشرين ..

وبدا وكان كل شيء ينذر الحلفاء بوقوع كارثة مروعة وهزيمة ماحقة .. فقد انحطت روح الجيش الفرنسي بسبب هزائمه ، واخذت الفرق الفرنسية ترتد امام نار العدو الحاصدة دون ما انتظام ، ومما زاد من اسباب الفوضى وعوامل الهزيمة امتلاء الطرق بمئات الألوف من النساء والأطفال الهاربين من وجه الفوز لا يلوون على شيء ..

ولقد جعلت السرعة الخارقة للتقدم الألماني مركز الحلفاء غاية في الحرج فقد حصرت القوات البريطانية والفرنسية والبلجيكية التي أرسلت في الاصل للدفاع عن بلجيكا ، حصرت في مثلث ، وتواري كل امل لها في التمكن من التقدم ...

ورأى اللورد غورت القائد العام للقوات البريطانية ان البحر هو سبيله الوحيد لانقاذ قواته من المأزق الحرج الذي وجدت فيه .. واخذت الحوادث على الاثر تتابع بسرعة ..

ففي منتصف ليل ٢٧ - ٢٨ مايس سلم الجيش البلجيكي ، وكان الجلاء الشهير للقوات البريطانية قد بدأ في السابع والعشرين من ميناء (دنكرك) .. ودام اياما ، وقد تمكن ٣٣٤ الفا من الجنود الانكليز والفرنسيين وغيرهم من الجلاء تاركين وراءهم كل معداتهم الحربية ..

وكان الجنرال ويغنر قد خلف الجنرال غاملان في منصب القائد العام لقوات الحلفاء .. فقضى نحو اسبوعين في تعزيز مواقع الدفاع الفرنسية على حدود فرنسا الشمالية والشمالية الشرقية ، وكانت قوات الألمان المصفحة قد حولت وجهها صوب الجنوب .. وتمكنت من اختراق خطوط الدفاع الفرنسية في كل مكان ... ومزقت الجيش الفرنسي كل ممزق .. فقررت الحكومة الفرنسية في ٨ حزيران الانتقال من باريس اولا الى (تور) .. ثم الى (بوردو) ..

وفي العاشر من شهر حزيران أعلن موسوليني الحرب على فرنسا .. كي لا يفوته الظفر بنصيب من الاسلاب بعد ان انتهت الحرب ولم تبق هناك مقاومة تذكر في الساحة الغربية ..

ثم سقطت العاصمة الفرنسية في ايدي الألمان بعد ايام خمسة .. فاستصرخت الحكومة الفرنسية روزفلت وبريطانيا ليمدا لها يد المعونة بمساعدات جديّة في هذه اللحظة الرهيبة ، ولكن صرخاتها ذهبت ادراج الرياح .

وفي السادس عشر من شهر حزيران سقطت حكومة بول رينو ، وخاف رينو في رئاسة الحكومة المارشال بيتان الذي طلب من الألمان وقف القتال تمهيدا لعقد هدنة بين الدولتين ، واتخذت الحكومة الفرنسية مدينة فيشي مقرا لها في الوقت الحاضر ، وكان الألمان قد استولوا او احتلوا حتى تلك اللحظة نصف فرنسا ، فأجابوا بيتان الى طلبه .

وفي الثامن والعشرين من شهر حزيران ، امضى المندوبون الفرنسيون شروط الهدنة في (كمبيين) في نفس عربة السكة الحديدية ، وفي نفس البقعة ، اللتين كان الألمان قد وقعوا فيهما في ذلة وامتهان صك الهدنة مع الحلفاء في تشرين الثاني من سنة ١٩١٨ .

وقد شعر الحلفاء بعد اختراق الالمان للشغرة في خطوطهم ان كارثة عسكرية ضخمة توشك ان تقع لان الجيوش البريطانية والفرنسية والبلجيكية الموزعة على طول جبهة تمتد ٢٥٠ كيلو قد حوصرت واصبحت في شرك مرصود .

وفي خلال عشرة ايام اكتسح الالمان ثلاثة ارباع بلجيكا ثم انطلقت الدبابات الالمانية عبر فرنسا متجهة نحو بحر المانش فهاجمت مدينة كاليه وكان امل الجنرال جورث الوحيد في النجاة يكمن في ميناء دنكرك. وفي سبيل الوصول اليه كان عليه ان يقاتل في ممر طوله ٨٠ كيلومترا واتساعه ٢٥٠ كيلومترا وكانت جميع الاحتمالات تدل على ان ٣٠٠ الف جندي من جيشه البالغ قدره ٣٩٠ الفا سوف يقعون اسرع في نهاية الاسبوع . وكلفت بريطانيا الاميرال السير يرتام هيوم راساي قائد منطقة دوفر للقيام بعملية اجلاء هذه القوات عن فرنسا وهي المأمورية التي بدت لهذا القائد البريطاني بأنها لا تبشر بأي امل في النجاح .

دنكرك

كانت دنكرك هي الميناء الوحيدة الباقية في ايدي القوات البريطانية ولكنها كانت معرضة للضرب بالقنابل من الجو منذ اسبوع لذلك لم تكن السفن الكبيرة الحجم تستطيع ان تقترب من الساحل المتعرج الذي يبلغ ٤٠ كيلومترا والذي يعرف باسم مقبرة السفن مما يعني ان الجلاء يجب ان تقوم به السفن الصغيرة ولهذا امكن جمع حوالي ١٢٩ من هذه السفن .

وفي فجر هذا اليوم القى الالمان الافا من المنشورات على القوات البريطانية تدعوهم الى التسليم وكانت هذه المنشورات تحوي خرائط تظهر الجيش البريطاني وظهره للبحر محصورا داخل حدود حصان مروعة .

ولكن البريطانيون رفضوا الاستسلام وواصلوا القتال كما قاتلت الوحدات التي تدافع عن محيط المدينة بشجاعة بينما كان الالمان يحاولون عزل الجيش البريطاني عن دنكرك .

وبعد ظهر ذلك اليوم نفسه ٢٧ مايس سنة ١٩٤٠ ابحر احد ضباط البحرية البريطانية المدعو الكابتن تينانت الى دنكرك على ظهر المدمرة (ولف هاوند) ولم تكد السفينة تغادر ميناء دوفر حتى هوجمت من الجو وظلت تهاجم حتى وصلت الى دنكرك . . . وهنا هلع قلب الكابتن تينانت رعبا

٤

انسحاب دنكرك عده الانكليز نصرا عظيما بعد انهيار فرنسا

بقلم الكاتب العسكري الشهير :
ريتشارد كولير

الانسحاب

في ١٠ مايس سنة ١٩٤٠ اجتاحت عشر فرق المانية مصفحة ١٧ فرقة مشاة هولندا المحايدة وقامت بحركة اكتساح واسعة لبلجيكا ولوكسمبورج وسرعان ما اندفعت سبع فرق للدبابات الالمانية الى مدينة سبران بفرنسا تشق طريقها بسهولة خلال غابات الامازون الجبلية وفتحت ثغرة فسي خطوط دفاع الحلفاء وقد كان الخبراء الحربيون يؤكدون انه لا يمكن اختراق تلك الخطوط .

وقبل هذا التاريخ بأربعة اشهر تقريبا كانت انكلترا قد ارسلت جيشا من المقاتلين البريطانيين تعدادهم ٣٩٠ الف مقاتل تحت قيادة الجنرال اللورد جورث الى فرنسا وكانوا يتمتعون بحياتهم تمتعا كاملا طوال هذه المدة فقد كانوا مطمئنين الى وهم زائف بان خط ماجينو الذي يمتد ٤٠٠ كيلومتر الى الجنوب محصن لا يمكن اختراقه .

حين رأى الحالة التي أصبحت عليها دنكرك . . فلم يكن يتصور حتى في أسوأ أحلامه مثل هذا الخراب فقد كان الدخان الأسود المتصاعد من معامل تكرير الزيت المحترقة يغطي الميناء وأميال من المستودعات والأرصعة تبدو مشتتة من أقصى الميناء إلى أقصاها بينما كانت القاذفات الألمانية تأتي وتروح تسقط قنابلها بلا انقطاع .

وفي السادسة من مساء ذلك اليوم هبط الكابتن « تينانت » إلى الميناء وقام بدراسة سريعة للموقف الذي كان يشير الرعب فلم يكن في دنكرك ماء منذ أربعة أيام ولم يبق غير خط تليفون واحد على اتصال بلندن وبسبب غلطة في ترجمة الأوامر دمر مائة مدفع ثقيل مضاد للطائرات فأصبحت المدينة بلا دفاع ضد الغارات الجوية ، وفي ذلك اليوم فقط أقيمت عليها ٣٠ ألف قنبلة حارقة و ١٥ ألف قنبلة شديدة الانفجار ، وأصبحت أرصفة الميناء وأماكن رسو البواخر انقاضاً وخرائب وكان هناك نحو ألف رجل وامرأة وطفل قتلى بين خرائب المدينة - ثم جاءت الفوضى في أعقاب الهزيمة فظهرت جماعات تضم عدداً قليلاً من الجنود الذين هرب ضباطهم وأخذت تجوس خلال دنكرك يرتكبون أعمال العنف ويعتدون على الأبرياء وكادت جماعة منهم تمتددي على الكابتن تينانت ورجاله وهم يسبرون في المدينة .

وبدا تينانت يصدر أوامر سريعة لرجاله فأمر بتجميع الجنود فوق الكتيبان الرملية ويتقدمون نحو البحر في جماعات تضم كل منها خمسين جندياً وعلى كل جندي ألا يركب السفينة بغير سلاحه وكانت الأوامر ألا يتسنى أي جندي إحضار بندقيته معه لاستخدامها في الدفاع عن بريطانيا نفسها .

ثم حضرت أول سفينة إلى الميناء وأمكن أن ينقل بها ٧٦٦٩ رجلاً إلى انكلترا بسلام وفي الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم نفسه أي ٢٧ مايس سنة ١٩٤٠ استسلمت بلجيكا وهكذا أصبح الجناح الأيسر للجيش البريطاني وطوله ٣٠ كيلومتراً تقريباً مكشوفاً للبحر .

في مجلس العموم

كانت مقاعد مجلس العموم ممثلة بأعضاء البرلمان الـ ٦٠٠ وهم يستمعون في توتر إلى تشرشل رئيس الوزراء وقد ساد المجلس صمت مفرغ وقال

تشرشل أن بلجيكا قد استسلمت وأن المجلس يجب أن يعد نفسه لاسوأ الاحتمالات . . . وبعد دقائق قليلة اجتمع تشرشل بوزرائه وشرح لهم المستقبل المظلم بكل وضوح وختم حديثه بقوله :

« مهما حدث في دنكرك فإننا سوف نواصل القتال دون شك » . وكانت الخسائر الفادحة في السفن والرجال في ازدياد مستمر فقد كانت أخطار عبور القنال الانكليزي لا حصر لها - هناك مثلاً حادث المدمرة (ويكفول) وهي سفينة قديمة ، ففي أولى رحلاتها نقلت ٦٠٠ جندي إلى دوفر ودون أن تنتظر التلذود بالوقود عادت ثانية إلى دنكرك بعد أن تفادت سبعين قنبلة من الجو - وفي منتصف الواحدة بعد ظهر الأربعاء كانت هذه المدمرة في طريق عودتها إلى بريطانيا تحمل ٦٤٠ جندياً آخرين فضرها الألمان بطوربيد شطرها إلى شطرين وظل أكثر الجنود الذين تحملهم هذه المدمرة محاصرين تحت أسطحها ومروا عليهم ساعات في هذه المحنة حتى التقطت سفينة أخرى الأحياء منها .

وساد الاضطراب التام ووسط الظلمة الحالكة التي تثير الرعب فتحت إحدى كاسحات الألغام البريطانية نيران مدافعها على شبح سفينة ظنوا منها أنها قارب طوربيد ألماني وانضمت إليها مدافع إحدى السفن البريطانية الأخرى وبينما كان بحارتها يهتفون ظناً منهم أنهم يطلقون نيرانهم على قارب الطوربيد ألماني الذي أغرق المدمرة (ويكفول) . . ما لبثت الفلطة المشؤمة أن تكشف وتبين أن السفينتين البريطانيتين كانتا تطلقان نيرانهما على إحدى السفن البريطانية .

وزادت الكارثة بشاعة عندما اصطدمت إحدى السفن بسفينة بريطانية أخرى وهي تعتقد أنها تنطح سفينة ألمانية وعندما تجمع بحارتها فوق سطحها لجمع الأسرى الألمان اكتشفوا الحقيقة الرهيبة ولم يجدوا غير اثنين من الجنود الانكليز الأحياء .

وبينما كانت السفينة الحربية روس في طريقها إلى دنكرك أذبرت وسط ضباب الفجر مقدمة المدمرة (ويكفول) ومؤخرتها وانطلقت من عنابرها السفلى صيحات الرجال المحاصرين البائسين ولم يجد قائد السفينة الحربية روس بدا من إطلاق النار على انقاض هذه السفينة رحمة بمن بقي فيها من العديدين فاخفت السفينة عن الأنظار وخفتت الأصوات المنبعثة من داخلها . وفي فجر الأربعاء عاد الكابتن أريك يوش إلى منطقة إجلاء الجنود فوق كاسحة الألغام البريطانية (هيب) وفي المياه القريبة من (لابان) شعر

يوش بشيء غريب في تلك الشواطئ .. فسأل ربان الكاسحة الكابتن جون تمبل عما تكون الظلال السوداء التي تبدو بعيدا على الشاطئ ، ولكن الربان لم يستطع الرد اذ لم يكن يعرف ما هي هذه الظلال السوداء واخيرا اتضح انها صفوف طويلة من الجنود تتلوى كالافاعي السوداء فوق التلال الرملية ، وبدت ارسفة بشرية تبرز داخل البحر مسافات طويلة كانت الصفوف الامامية من الجنود تفوص في الماء البارد حتى اعناقها في انتظار السفن التي ستركبها .

هجوم الطائرات

وبعد ظهر الاربعاء ٢٩ مايس سنة ١٩٤٠ كان على الرصيف في ميناء دنكرك ١١ سفينة تستعد للابحار عندما بدأ هجوم قاذفات القنابل الالمانية المنقضة من طراز شتوكا ... وكانت مزودة بصفارات ذات صوت حاد مزعج وحين كانت القاذفات تهبط كان صراخها الجهنمي يثير الرعدة في قلوب الرجال القابعين على الشواطئ . وانتشرت القاذفات الالمانية في مروحة تحيط بالميناء بين دنكرك ولابان لمسافة اكثر من ١٤ كيلومترا

ولم يكن السلاح الجوي البريطاني قد تعلم بعد كيف يجاري تكتيك السلاح الجوي الالمانى على الرغم من المحاولات الانتحارية التي بذلها ليكفل حماية جوية للجيش البريطاني المحاصر كما انقضت بعض الطائرات الالمانية على المدمرة البريطانية (جرنباو) والقت فوقها ثلاثة قنابل اخترقت الاولى مدختها تاركة البحارة يسبحون في سطح تفتطيه الدماء والزيت ثم امتدت النيران من وسط المدمرة في ثوان ، لتغلق مدخل الميناء وتعرقل عملية الجلاء ...

واخذت الطائرات الالمانية تواصل هجومها بينما كانت اطنان من الرمال تهتز كالزلازل فتخفق اولئك الذين يختفون في زوايا مواقعهم العميقة واصيب بعض الجنود بالجنون فخلع البعض ملابسه واعلن انه المهاتما غاندي بينما احتضن البعض لعب الاطفال وراحوا يبكون وبينما كانت المقاتلات الالمانية تزمجر وهي على ارتفاع منخفض كانت مدافعها الرشاشة تنطلق دون انقطاع وجث الرجال تطفو فوق الماء في كل مكان وعلى الرغم من كل هذا فقد امكن نقل ٤٧٣١٠ جنود الى انكلترا في ذلك اليوم وكان الجنرال جورث قائد القوات البريطانية في فرنسا يواجه ازمة خطيرة هي ازمة قيادة جيش مهزوم . وقد استطاع حتى الان ان

يمنع الالمان من عرقلة انسحابه الا انه لا زال هناك حوالي ٢٠٠ الف جندي داخل رأس جسر دنكرك ٥٠٤ الفا منهم على استعداد لركوب السفن ومهما كان مصير الباقين فقد كان جورث مصمما على ان يشارك جنوده المصير ومن ثم فقد قرر ان يبقى وان يقاتل حتى الطلقة الاخيرة ، الا ان تشرشل كان مقتنعا بان بقاء جورث على رأس رجاله في فرنسا اسراف لا معنى له فأصدر امره بتعيين خليفة له على ان يعود هو الى انكلترا حتى لا يقع اسيرا

وظلت السفن الصغيرة تتجمع على طول الشاطئ طوال يومين حتى بلغ حجم الاسطول حوالي الف سفينة من سفن الصيد والزوارق البحرية واليخوت الخاصة وقوارب الانقاذ والقاطرات البحرية وبعد ظهر الخميس تلقى ضباط هذا الاسطول العجيب التعليمات النهائية في ميناء راسجيت (ميناء صغير قريب من ميناء دوفر) بما يجب عليهم عمله ..

ولم يسبق ان تجمع مثل هذا الاسطول يقود سفنه فريق غريب بجميع المتناقضات الفقير والفني الشهير والمجهول والعجوز والشاب .

واقبل هذا الاسطول وسط جحيم لا يمكن وصفه فقد كانت هناك ملايين من اطنان الزيت التي تدفقت من الخزانات التي حطمتها القنابل تزمجر محترقة فوق سطح الماء وكأنها جبل من نار ارتفاعه ٣٣٠٠ متر واتساعه كيلومتر ونصف كيلومتر ، وكان الهواء يتبخر بمركب جهنمي يجمع بين الدخان الاسود ولحم الخيول المتفنة والتبغ المحترق والبارود والزيت الفاسد واصوات جهنمية تمزق الاذان بين صغير القنابل وصرخات جياذ الفرسان الفرنسيين وهي تترنح ثم تفتس في الماء .

وعلى امتداد ٣٠ كيلومترا من الشواطئ التي يكسوها الضباب صفوف لا نهاية لها من الرجال لا تزال تكدح في السير عبر الرمال وكان اقتراب السفن الظاهر يدفع العشرات منهم احيانا الى التخلي عن كل حرص والاندفاع نحو الماء ليواجهوا الموت في اغلب الاحيان وكثيرا ما كان تدافع الجنود الى القوارب بسرعة يؤدي الى انقلابها وغرق المئات من الرجال .

وزاد الطين بلة ان الالوف كانوا مهددين بالموت جوعا فقد اصبحت دنكرك معزولة عن كل موارد التموين منذ ايام بعد ان حطمت القارات محطتها الحديدية وراح الجنود يجمعون في ياس كل ما تستطيع افواههم ان تلوكه وتمضغه كما كان الظم سببا في عذاب جهنمي وسط كئيب دنكرك

الرميلية حتى كان الجنود يمتصون الحصى ويرتشفون المياه من ميازيب المنازل .

وامرت القيادة البريطانية بتدمير كل وسائل النقل الجوهرية حتى لا يترك شيء يفيد منه العدو وبناء على اقتراح الجنرال هارولد الكسندر امكن استخدام ما بقي من السيارات في صنع رصيف في الميناء سار فوقه الجنود لركوب السفن والقوارب .

وتم رغم هذه المصاعب والمتاعب نقل ٥٣٨٣٣ جنديا الى بريطانيا فسي هذا اليوم (الخميس ٣٠ مايس سنة ١٩٤٠)

الموقف الدقيق

وفي يوم الجمعة ٣١ مايس سنة ١٩٤٠ اصبح ميناء دوفر مصنعا ضخما لسفن يعمل فيه التجارون والمهندسون والفواصات في حماسة شديدة جنونية لاصلاح السفن المصابة ، وكان الاقتراب من دنكرك كابوسا مخيفا للملاحين فقد اصبح الميناء غابة من صواري السفن الفارقة وهياكلها الضخمة - ومما زاد الطين بلة ان خطوط الدفاع اتكمت حتى اصبحت مدافع الالمان تصل الى الميناء وانهاالت نيران مدفعيتهم على كل السفن الموجودة طوال الصباح .

وبدا لقادة ومنظمي ترحيل الجنود من دنكرك انهم لن يستطيعوا انقاذ الباقيين فقد كان هناك اكثر من مائة الف ينتظرون السفن لكن بريطانيا كانت يومئذ في حالة تصنع فيها المعجزات وكان بحارة السفن الصغيرة يعملون في حماسة عجيبة وانضم اليهم المزيد من السفن وكان القليل من البحارة يرتدون خوذات حديدية لحمايتهم من شظايا القنابل وعاد الكثير من القوارب الى الشواطئ مرة بعد اخرى تحت وابل القذائف وقد استطاع قارب نجاة واحد ان يقوم برحلات مستمرة لمدة ٣٠ ساعة دون توقف بين الشاطئ والمدمرات يحمل ١٦٠ جنديا في كل مرة .

وهكذا استمرت معجزة دنكرك بفضل الشجاعة والعزيمة والايمان وفي ذلك اليوم اي يوم ٣١ مايس سنة ١٩٤٠ امكن نقل ٦٨٠١٤ جنديا الى انكلترا وهو اعلى رقم تم اجلاؤه في يوم واحد خلال عملية الجلاء كلها . وفي الخامسة من صباح السبت اول حزيران سنة ١٩٤٠ هبط اللورد جورث الى شاطئ دوفر حيث استقبله احد موظفي وزارة الخارجية فسي

سيارة حكومية ولما اراد ان يرحب بمودته سالما قال جورث في غضب :

- ان عودتي لا تهم المهم ان يعود جيشي .

وتم نقل ٦٤٤٢٩ جنديا في هذا اليوم .

وفي اليوم التالي تم نقل ٢٦٢٥٦ جنديا

وهكذا تم جلاء معظم قوات جيش اللورد جورث الانكليزي عن دنكرك وبلغ عدد القتلى والاسرى نحو ٦٨ الف جندي خلال الانسحاب من مجموع الجيش البالغ ٣٩٠ الف جندي .

الثمن الغالي

وقد دفعت بريطانيا ثمنا مذهلا لهذه العملية اذ فقدت اكثر من ٢٠٠ سفينة و١٧٧ طائرة وعتاد عشرين فرق كاملة ولم يبق لها من العتاد الحربي الا ما يكفي فرقتين بريطانيتين وقد كشف تشرشل فيما بعد الستار فقال ان بريطانيا كلها لم يكن فيها يومئذ غير ٥٠٠ مدفع من عيار ٧٥ ملليمتر ومدافع الهاوتزن اكثرها اخذته من المتاحف .

لقد كانت حياة بريطانيا معلقة في الميزان يومئذ وبدأت نهايتها مسألة ايام بالنسبة لكثيرين من الالمان ، وقد قال احد ضباطهم وهو يرقب الوف العربات والمدافع المحطمة على الشاطئ : لقد انتهى البريطانيون .

وبعد ظهر ذلك اليوم تحدث تشرشل الى بريطانيا فقال : لن نضعف او نلين سنقاتل في فرنسا وفي البحار والمحيطات سندافع عن وطننا مهما يكن الثمن سوف نقاتل على الشواطئ وفي الحقول والشوارع ولن نستسلم ابدا . وسجل التاريخ انهم لم يستلموا حقا .

الرواية الالمانية

وفيما يلي بعض ما جاء في الكتاب التاريخي الذي كتبه جنرال الماني سابق كان احد قادة النازيين في « دنكرك » عن الانسحاب والموقف العسكري .

في العاشر من ايار ١٩٤٠ كانت اذاعة هتلر تعدد اسماء القادة الالمان الذين احتلوا القسم الغربي من الجبهة اي هولندا وبلجيكا ولوكسمبورغ ، وكان بينهم رومل وغودريان ، وكليست . ولم تتوقف اهداف الجيش النازي عند هذا الحد ، بل كانت ترمي من

خلال « العملية الصفراء » للوصول الى ميناء « دنكرك » الفرنسي لقطع الطريق على الامدادات الحربية لجيوش الحلفاء القادمة من بريطانيا واميركا .
ومما زاد في مصاعب الجيش الفرنسي لرد الهجوم الالمانى الجديد المفاجيء ، كثرة اللاجئين المدنيين ، وانتشار الفوضى في صفوف الجيش . وخاصة اسلوب الحرب النفسية الذي اتبعه الالمان بحيث اصبح الجندي الفرنسي يرتعب خوفا لدى سماع صفرات الانذار .

كما ان الضباط الفرنسيين تقاعسوا عن المشاركة المباشرة في قيادة الجيش الفرنسي ، وكانوا يفضلون قيادة المعركة في غرفة العمليات على الطاولة الخضراء بعيدا عن دوي المدافع . وفي هذه الاثناء كان رومل وكليست كل منهما في دبابة على رأس الفرق الالمانية المهاجمة ، ويوجهون جنودهم

في قلب المعركة

ومن الامثلة على ذلك ان رومل عندما وصل الى جسر « دونشاري » الشهير ، ترجل من دبابته ليتحدث مع قائد الفرقة قائلا هل المعركة هنا دائما بهذا العنف فاجابه القائد وهو يبتسم : بعض المرات خلال النهار ! وفي ٢٤ ايار وبعد سقوط بولونيا ، كان رومل على بعد ١٨ كيلومترا من دنكرك التي تعتبر اللجأ الوحيد والآخر للحلفاء الفرنسيين والبريطانيين . وكان امام قائد جيش الحلفاء الدفاع باي ثمن على دنكرك بانتظار وصول الامدادات العسكرية التي تسمح بالصمود في وجه الالمان او على الاقل حتى تتمكن الوحدات من الانسحاب الى بريطانيا خوفا من الاسر والابادة .

وفي ٢٦ ايار الساعة السادسة مساء ، وصل امر من لندن يقول : « ابدأوا عملية دينامو » . وهكذا بدأت في تلك اللحظة اكبر مأساة ومفامرة لجيش اجتاز بحر المانش ليقف بوجه الجيش الالمانى ، ثم اضطر للعودة سباحة مخلفا القتلى والجرحى والمعدات الحربية كلها .

ولم يبق شيء في بريطانيا يمكن ان يعوم على وجه الماء الا واتجه نحو دنكرك لانقاذ ما يمكن انقاذه . وانتشرت الجثث الممزقة على طول الساحل وفي البحر وحولها بقايا عشرات السفن الفارقة .

وقد اصدر احد الضباط الالمان الذين اشتركوا في معركة دانكرك كتابا شرح فيه تفاصيلها ، وقال :

« تحولت دنكرك في لحظات معدودة الى جهنم . آلاف الجنود البريطانيين العراة اصبحوا في البحر تتقاذفهم الامواج وهم معرضون

دون اية حماية لقنابل الطائرات والمدافع الالمانية تحصد ما تبقى منهم على قيد الحياة .

« اما البواخر والعوامات فكانت تعود الى ميناء « دوفر » البريطاني فارغة نظرا لكثافة النيران الالمانية ولجهلها للاماكن التي يمكن انقاذ البريطانيين فيها .

واضاف الضابط الالمانى : ان دنكرك كانت جهنما فعلا ، فالمدينة والمرقا والطرق كانت كلها نيران تضيء ظلمات الليل » .

وفي هذه الاثناء كان البريطانيون قد ادخلوا افضل طائراتهم المقاتلة من طراز « سبيتفاير » و « هوريكان » للدفاع عن السواحل البريطانية . ولكن الهزيمة في دنكرك جعلتهم يطلقون هذه المقاتلات نحو دنكرك لانقاذ ما يمكن انقاذه . وهكذا بدا الصراع الجوي على اشده ، وعلى الرغم من خسارة السلاح الجوي الالمانى في المعركة ، فانه بقي مسيطرا على سمائها .

خسائر الطائرات

وكانت الخسائر بعد ذلك المعركة كما يلي : اسقط البريطانيون ٢٦٢ طائرة المانية في حين اسقط الالمان ١٣٣ طائرة بريطانية . واغرق الالمان ٢٣٥ سفينة من ٨٤٨ سفينة ارسلتها بريطانيا لانقاذ جنودها .

وقد تمكن الانكليز في اليوم الاول من انقاذ ٧٦٦٩ رجلا من جنودهم ، ولكن حالة الطقس كانت الى جانب الالمان بحيث منعت الطيران البريطاني من العمل واصبح الجنود الانكليز في البحر يتلقون القنابل الالمانية في النهار وينتظرون النجدة في الليل .

وفي ٢٤ ايار صدر امر من هتلر في برلين بوقف الهجوم على دنكرك وحصر العمليات العسكرية بحصارها فقط . وثار الضباط الالمان على هذا الامر ، ولكن لا بد من الطاعة .

ويقول احد الضباط الالمان : لقد كنا نرى باعيننا كيف كان الحلفاء يعيدون بناء خطوطهم الدفاعية ويتلقون الامدادات والذخيرة . وحاولنا كثيرا اقناع الفوهرر بسحب الامر ، ولكن عبثا .

وتنت « عملية دينامو » ودخلت القوات الالمانية دنكرك في ٤ حزيران ١٩٤٠ . وكانت حصيلة المعارك ابادت ٧٥ فرقة من الحلفاء واسر اكثر من مليون و ٢٠٠ الف جندي من الحلفاء ايضا . ولكن امر هتلر بوقف الهجوم في ٢٤ ايار ، سمح للحلفاء بانقاذ ٣٣٨ الف جندي بينهم ١٢٣ الف فرنسي .

اشهر المعارك البحرية في الحرب العالمية الثانية

اغراق بسمارك

خرجت « بسمارك » الى الاطلنطي في مايس ١٩٤١، وفي نيسان ومايس كانت البحرية البريطانية تراقبها بحذر شديد وتتابع تحركاتها يوما بيوم. وعندما علم « الاميرال رايدر » بانتهاء بناء بسمارك ، قرر ان يبدأ بانشاء قوة ضاربة في المحيط الاطلنطي فلو انه ركز قوة ضاربة حقيقية من البحرية الالمانية في المحيط ، لاستطاع ان يدخل اي معركة بحرية ضد اي قوة .
ففي بحر البلطيق الان كان لديه « بسمارك » و « البرنس ايوجين » .
وبالاضافة الى ذلك كانت لديه السفينتان الحربيتان « تشارنهورست » و « جينسينو » وخمس سفن تموين .

وكان « رايدر » يعلم ان هتلر سيبدأ هجومه على الاتحاد السوفيتي في حزيران ، ومن هنا فلن تكون هناك اي اولوية لعمليات بحرية كبيرة ، ولذا فقد قرر ان يسرع في هذه العملية ..

وهكذا ابهرت « بسمارك » و « البرنس ايوجين » من ميناء « دينا » في ١٨ مايس . وفي فجر ٢٠ مايس ابصرتهما مدمرة سويدية ، وتأكد « الادميرال ليوتجن » قائد العملية ان الخبر سيصل الى انكلترا في الحال ، كما ابلىخ الملحق البحري البريطاني بالسويد حكومته عن تحركات بسمارك في نفس اليوم .



الحرب في الادغال

ورست السفينتان الحريتان في أحد منحنيات شاطئ الترويج بالقرب من بيرجين في ٢١ مايس . وهنا تزودت « البرنس ايوجين » بالوقود أما « بسمارك » فقد كان عليها ما يكفيها بعد أن ابهرت وعليها تسعة الاف طن من الوقود . وانزلت السفينتان بعد ذلك الى الشمال ، وبعد ابصارهما دمرت غارة بريطانية المينة . وقد شجع « ليوتجين » على الافلات الضباب الكثيف والسحب المعتمة . . وكان من المعتقد أن هذا الجو الكثيب سيستمر يومين .

اما في بريطانيا ، فعند وصول انباء « بسمارك » اقلعت طائرات الاستكشاف في ٢١ مايس تمسح الشواطئ السويدية ، وقد نجحت إحدى الطائرات في تصوير سفينتين اتضح انهما « بسمارك » و « البرنس ايوجين » . وكان الاميرال « جون توفى » على السفينة الحربية « الملك جورج الخامس » وكانت معه السفينة الحربية « البرنس أوف ويلز » و « الطراد الحربي » هود » وحاملة الطائرات « فيكتورياس » ، وتسع مدمرات .

وفي وسط المحيط كان هناك الطراد « نورفولك » و « سافولك » و « مانستر » و « برمنجهام » . فأصدر أمره الى « هود » و « البرنس أوف ويلز » بتغطية « نورفولك » و « سافولك » في مضيق الدنمارك مع ست مدمرات . فبدأت جميعها في الابحار صبيحة ٢٢ مايس .

فشل المحاولات

وفشلت كل محاولات الاستكشاف التي قام بها الاسطول البريطاني لكثافة الضباب على الساحل النرويجي . ولكن أحد الطيارين المشهورين استقل طائرة وقام بنفسه بالطيران على بعد عدة امتار فقط فوق الامواج واكتشف أن « بسمارك » قد ابهرت بالفعل .

وسرعان ما طارت هذه الانباء في الحال الى الاسطول البريطاني . اما « اميرال ليوتجين » فلم يكن موقفا . فقد كان الجو في ٢١ مايس سيئا للغاية ، ولم يكن يصلح للتصوير ولا للاستكشاف ، ولكن طيارا المانيا طار للاستكشاف فوق الجزر البريطانية ، وقال ان « الملك جورج الخامس » و « البرنس أوف ويلز » و « فيكتورياس » و « هود » وستة طرادات أخرى موجودة كلها لم تخرج الى عرض البحر ، وكان مخطئا في حقيقة الامر ، فقد كانت « هود » و « البرنس أوف ويلز » في طريقهما الى المعركة .

هذه المعلومات الخاطئة بالاضافة الى معلومات ضباط الارصاد عن حالة الطقس في مضيق الدنمارك ، جعلته يعتقد ان الطريق الى المحيط الاطلنطي مفتوح ، فقرر ان يخترق طريقه مباشرة ، دونما حاجة الى التوغل شمالا .

ظهر يوم ٢٣ مايس دخت « بسمارك » و « البرنس ايوجين » مضيق الدنمارك لم يكن الجو ملائما تماما ، فبدلا من الجو المليء بالضباب الذي تنبأ به ضباط الارصاد ، كان الجو غائما مع وجود اماكن مفتوحة كثيرة في السحب وكانت الحافة الثلجية ناحية « جرينلاند » تمتد ٨٠ ميلا من ناحية ساحل « ايسلندة » . وقد اجبر هذا السفينتين على الابحار في وسط المضيق حيث كان الطقس رائعا بشكل لم يتوقعه « الاميرال ليوتجين » . وفي هذه المنطقة بالتحديد كان الطراد « سافولك » يطوف في مساء ٢٣ مايس بسرعة ١٨ عقدة .

قرب المساء كانت « بسمارك » و « البرنس ايوجين » تقتربان من الحافة الثلجية لتقطعما اقرب طريق الى المحيط الاطلنطي . وهنا رأتها « سافولك » فأرسلت اشارة في الحال الى « نورفولك » واسرعت تجاه الجنوب الشرقي في اتجاه الضباب الذي كان يلف المضيق ناحية ايسلندة واسرعت « نورفولك » بدورها وبعدها ساعة واحدة كانت تشاهد بنفسها السفينتين الالمانيتين على بعد ستة اميال .

النار الاولى

ورأتها « بسمارك » هذه المرة فاستدارت وفتحت نيرانها عليها ، واطلقت مدافعها خمس مرات فاخطأتها فاستدارت « نورفولك » بدورها لتطلق مدافعها على « بسمارك » .

كانت هذه اول اشارة « للاميرال ليوتجين » بان وجوده قد اكتشف . فلم يكن قد شاهد « سافولك » في المرة الاولى . وهكذا لم يكن يعلم بوجود طرادين بجواره ، ولكنه سرعان ما اكتشف هذا بطبيعة الحال ، بعد ان تبادل الطرادان الاشارات والرسائل .

وتلقى « الاميرال هولاند » وهو في السفينة « هود » اول تقارير عن بسمارك فزاد من سرعته وهو يضع نصب عينيه ان يصل صباح اليوم التالي الى مكان « بسمارك » ويدخل معها في معركة سريعة وحاسمة .

وحينما تلقت البحرية البريطانية اشارة « سافولك » اعطيت اشارة

الى «الادميرال سومرفيل» الذي كان في جبل طارق . وسرعان ما كانت «رينون» و«آرك رويال» و«شفيلد» تعبر مضيق جبل طارق ، وتحمل معها في نفس الوقت مصير «بسمارك» .

وعندما احس «ليوتجن» في بادىء الامر ان امره قد اكتشف ، وان سفينتين بريطانيتين تتبعانه ، لم يقلق ولا خاف . . فقد كان يعتقد ان بإمكانه في ذلك الجو الملبد بالقيوم والضباب ان يفلت من السفينتين . ولكن اصيب بأول صدمة حينما فشل في الافلات منهما . فقد كان من المعتقد في المانيا ان سفن الاسطول البريطاني غير مزودة برادار بعيد المدى ثم ادرك بعد تحركات «سوفولك» انها مزودة بذلك النوع من الرادار .

وقد ادى هذا «بالادميرال ليوتجن» الى اعادة التفكير في العملية كلها والعودة الى المانيا . ولكنه قرر ان يمضي في طريقه لتنفيذ خطة القوة الضاربة في المحيط الاطلنطي . وهنا أمر «الكابتن برتيمان» قائد «البرنس ايوجين» بأن يتقدم «بسمارك» حتى لا يحدث أي ضرر لبسمارك - اذا ما فتحت عليها النيران .

وهنا قامت - البرنس ايوجين - بمغامرة جريئة اذ كان عليها ان تتقدم بمحاذاة الحافة الثلجية ، وبالفعل قامت بها بعد ان لمست الحافة جانبها الايمن وهي تقوم بهذه المناورة ، ولكنها لم تصب .

اثناء الليل كان الادميرال هولاند الانكليزي يتلقى التقارير بانتظام من «سوفولك» وهي تتبع السفينتين . وفي منتصف الليل أصبحت المسافة التي تفصله عن «بسمارك» ١٢٠ ميلا ، وبدأ كما لو كان من الممكن ان يلتقي بها بعد ساعتين .

لم يكن - الادميرال ليوتجن - يعلم عن وجود سفن حربية بريطانية اخرى بالقرب منه . فقد التقطت اجهزة استقبال - بسمارك - الاشارات المتداولة بين «هود» والطرادين اللذين يتبعان - بسمارك - . . . ورغم انه لم يتمكن من حل شفرة هذه الرسائل الا انه تحقق من انه لن ينبثق فجر اليوم التالي ، الا ويكون قد دخل معركة . . وكان مستعدا لها .

كانت الريح تهب من الشمال قوية . . وفي الفجر ، وعلى بعد ١٧ ميلا بدت في الافق للسفينة «هود» و«البرنس أوف ويلز» سفينتان ناحية الشمال الغربي . . .

وتوجه - الادميرال هولاند - بسفينته ناحية - بسمارك - وبعد عشر

دقائق أصبحت المسافة ٢٥ الف ياردة . وفتحت «هود» نيران مدافعها ثم تبعها - البرنس أوف ويلز - . وبعد دقيقتين ردت - بسمارك - و - البرنس ايوجين - مركزتين نيرانهما على - هود - كما كانت السفينتان البريطانيتان ، تركزان على - بسمارك - .

الطراد هود

كانت «هود» تحمل على سطحها شحنة ذخيرة جديدة مضادة للطائرات كان سلاح البحرية يقوم بتجربتها ، ولم يكن هناك مكان لهذه الذخيرة في المخازن التحتية للسفينة . واصابت نيران «البرنس ايوجين» السفينة - هود - وانفجرت قذيفة على السطح العلوي لها ، فاشتعلت النيران في الذخيرة ثم امتدت بسرعة الى الجزء الاوسط من السفينة نفسها .

وبعد ثماني دقائق من بدء المعركة اصيبت - هود - مرة اخرى ، ولكن بنيران - بسمارك - هذه المرة . وكانت المسافة بينهما ١٩ الف ياردة مما سمح للرصاص ان ينطلق الى اعلى ثم ينزل بزاوية حادة على سطح السفينتين .

كانت «هود» سفينة حربية قوية ، صممت منذ ٢٥ عاما ، وكانت تفتقر الى الدروع الثقيلة التي يجب ان تحميها من هذه النيران . ولكنها كانت فخر بريطانيا وبرهانا على قوتها في البحار ، وكانوا يطلقون عليها اسم «اعظم سفينة حربية تمخر العباب» .

واخترقت نيران مدافع «بسمارك» سطحها لتصل مباشرة الى مستودعات الذخيرة لتنفجر هناك . وحدث انفجار هائل قسم السفينة الى نصفين ، وغطت سحابة هائلة من الدخان سطح البحر . وحينما انقشعت ، كان سطح البحر مسطحا بعد ان ابتلع السفينة «هود» العظيمة ، ولم ينج من طاقم السفينة المكون من ٩٥ ضابطا و ١٣٢٤ بحارا سوى ثلاثة فقط !

لقد كانت هذه هي فجيرة بريطانيا ، فقد غرقت «هود» ببساطة شديدة ودون مقابل ! غرقت في اول معركة بحرية تدخلها بسمارك بعد خروجها من الترسانة !

وما ان غرقت «هود» حتى حولت السفينتان الالمانيتان نيران مدافعهما الى «البرنس او ويلز» التي كان عليها ان تغير اتجاهها لتتفادي

حطام « هود » وعندما فعلت ذلك أصبحت على مدى ١٨ ألف ياردة فقط من « بسمارك » .

كانت « البرنس أوف ويلز » بعكس « هود » سفينة جديدة ، ولكن لم يكن امامها أي فرصة الآن ، فقرر قائدها أن يستدير ويهرب بأقصى سرعة تحت ستار من الدخان الكثيف ، ولم تحاول بسمارك اللحاق بها ، وهكذا انضمت « البرنس أوف ويلز » الى « فور فولك » و « سافولك » وقررت السفن الحربية الثلاث مطاردة « بسمارك » والاستمرار في المعركة .

ولكن بسمارك لم تهرب بدورها من المعركة الاغصبا عنها . فقد أصيبت ثلاث اصابات : الاصابة الاولى لم تسبب اضرار في السطح ، اما الاصابة الثانية فقد عطلت دينامو واحدا عن العمل ، اما الاصابة الثالثة فقد اخترقت نيرانها خزائين للزيت وخزانات وقود تحتوي على ألف طن لا يمكن تعويضها .

وهنا نصح « الكابتن ليندلمان » - الاميرال ليوتجن - أن ينهي العملية عند هذا الحد ، ويعود الى ألمانيا . كانت هذه نصيحة طيبة ، فلقد تحقق نصر كبير باغراق « هود » ثم ان العملية كلها فقدت عنصر المفاجأة اللازم .

وفي مساء اليوم ارسل « ليوتجن » اشارة الى ألمانيا تفيد بأنه سينفصل عن « البرنس أوجين » لتقوم بعملياتها مستقلة في المحيط الاطلنطي . وطلب أن يتكون خط من ست غواصات ألمانية ناحية الغرب حتى يستطيع أن يجر السفن الحربية الى معركة مضمونة . وارسل اشارة الى « الكابتن برنكمان » قائد « البرنس » بتعليماته بالانفصال عنه ، وأن يواصل طريقه الحالي ثلاث ساعات متواصلة ثم عليه بعد ذلك أن يغير طريقه ناحية الشمال ليتزود بالوقود من سفينة مثونة جنوبي جريتلاند ، ثم عليه أن يتسلل بعد ذلك الى المحيط الاطلنطي .

المطاردة

واحتج « برنكمان » على هذه الاوامر . . . وقبل أن يصل احتجاجه الى « بسمارك » ، كانت هذه قد استدارت وسارت في خطتها . فقرر أن يعصي هذه الاوامر . وسار في طريقه ثلاث ساعات ، ولكنه بدلا من أن يتجه ناحية الشمال ، استمر في طريقه رغم احتياجه الى الوقود . لقد كان غرض « ليوتجن » أن يبعد الانظار عن بسمارك ، ولكن البحرية

البريطانية كانت تتلقى التقارير عنها أولا بأول . كان مع « الاميرال توفسي » و « الملك جورج الخامس » حاملة الطائرات « فيكتورياس » وعلى سطحها تسع طائرات من طراز « سوردفيش » من - سرب سكواذرون ٨٢٥ - وفي مساء ٢٤ مايس انضمت اليها مجموعة الطرادات الثانية في نقطة تبعد مائة ميل عن « بسمارك » .

وبدأت قصة من أكثر قصص المعارك الحربية البحرية إثارة في الحرب العالمية الثانية .

بدأت طائرات « السوردفيش » تحلق فوق المنطقة باستمرار ، وتهجم على بسمارك بالطوربيدات الجوية ، في محاولة للإبطاء من سرعتها لتلحق بها السفن البريطانية وتبدأ معها معركتها .

كان يقود هذا السرب « ايوجين ايزموند » الذي اكتسب شهرة كبيرة بعد هجومه على « سكارنهورست » وجيسينو ، في القنال الانكليزي . وشاهد السرب « بسمارك » قبيل منتصف الليل بقليل . ولكن السحب اشتدت كثافتها فجأة ، ففقدت السفينة مرة أخرى . واتصلوا « بنورفولك » حيث وجهتهم مرة أخرى الى مكان « بسمارك » ولكنهم كانوا يطيرون في سحب كثيفة . وارشدتهم رادار طائراتهم الى سفينة تحتهم ، ففطسوا خلال السحب ليهاجموا عليها ، ولكنهم وجدوا أنفسهم فوق سفينة سواحل أمريكية على بعد ستة أميال فحسب من « بسمارك » .

الاتصال الاول

ووصل « ايزموند » الى بسمارك في منتصف الليل ، وركز هجومه رغم النيران الثقيلة المضادة للطائرات التي اخذت « بسمارك » تطلقها . واطلق السرب ثمانية طوربيدات أصاب واحد منها « بسمارك » وعادت الطائرات كلها الى قواعدهم باستثناء طائرتين غرقتا ، ولكن نجا طياروهما من الموت بعد أن صارعوا مياه الاطلنطي الباردة المظلمة .

ولم تصب « بسمارك » بأي اضرار . ولكن نارت نائرة « ليوتجن » ، فقرر أن يتخلى عن خطته وأن يترك السفن البريطانية للغواصات الألمانية ، ويذهب من فوراً الى ميناء « سانت نازار » بسبب نقص الوقود ، واستمرت « بسمارك » في طريقها الى الجنوب علها تجد فرصة خلال الظلمات لتهرب من مطاردة الطرادات ولتغير طريقها في دائرة كبيرة تجاه الميناء .

واستمرت « البرنس أوف ويلز » و « نورفولك » و « سافولك » تتبع « بسمارك » وهي ترسل تقارير مستمرة عن تحركاتها وسرعتها . وكانت « سافولك » أساسا هي التي تقوم بهذه المهمة نظرا لكفاءة جهاز الرادار فيها ، بينما قامت السفينتان الأخريان بحمايتها . . . فيما اذا حاولت « بسمارك » الهجوم عليها .

في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تبادلت « بسمارك » و « البرنس أوف ويلز » إطلاق النيران على بعد عشرة أميال ، دون حدوث إصابات .

وحدث ارتباك بالفعل في السفن البريطانية من جراء تبادل إطلاق النيران ، استطاعت « بسمارك » خلال هذه المناورة البارة ان تغفلت من المراقبة . وكان على قواد البحرية البريطانية ان يحدسوا اين قرر قائدها الذهاب بها ، وبدأت السفن كلها عملية البحث عن « بسمارك » وفشلت جميعا في العثور على أي أثر لها .

كانت السفن البريطانية تعرف مكان « بسمارك » ولكنها لم تكن تشاهدها بنفسها ، ولذلك أصبح من المتعذر الدخول في معركة الان بينما هي بحاجة الى التزود بالوقود فلقد كان على السفينة « ريبالس » ان تذهب الان الى « تيوفوند لاند » لنقص الوقود ، اما « البرنس أوف ويلز » فقد حولت طريقها الى « ايسلنده » للتزود بالوقود . كان الطقس نفسه سيئا ، الرياح شديدة والبحر ثقيل والأمواج عالية ، وبدأ المطر يهطل بشدة جعلت الرؤية متعذرة ، وظهرت سحب كثيفة منخفضة اقلت بستان من الظلام الكثيف على مياه المحيط .

وفي اليوم التالي - ٢٦ مايس - ابصرت إحدى طائرات الاستكشاف من - أورك رويال - السفينة « بسمارك » وحددت موقعها بدقة . ومنذ تلك اللحظة لم تكف طائرات الاستكشاف عن الدوران حولها ثانية واحدة ، ولم تدعها تغفل من ناظرها ، ومرسلة التقارير الواحد وراء الآخر تحدد موقعها بالدقة وخط سيرها وسرعتها .

كانت « بسمارك » تبعد ١٣٠ ميلا عن « الملك جورج الخامس » ورودني ولكنها كانت في موقع مناسب تماما من - القوة ه - التي كانت تتكون من - شفيلد - و - أرك رويال - و - ريناون - . ولكن - ريناون - قررت عدم الاشتراك في المعركة لان عمرها ٢٥ سنة ولا يمكنها تحمل نيران « بسمارك » .

وهكذا اقترب « الادميرال سومرفيل » من « بسمارك » على بعد ٥٠ ميلا فحسب وقرر ان تدخل طائرات حاملة الطائرات « أرك رويال » المعركة بطائراتها « السورد فيش » وذلك بالقاء الطوربيدات عليها .

كان الجو سيئا ، فقد كان الممر الممهد على حاملة الطائرات يرتفع وينخفض ٥٦ قدما ، مما جعل مهمة الطائرات في منتهى الصعوبة . وفي مثل هذا الجو أيضا لم تكن رؤية « بسمارك » ممكنة بالنظر ، ولكن بأجهزة الرادار فقط ، ولذلك فعندما تبينت الطائرات جسما في المحيط على بعد ٢٠ ميلا من المكان الذي كان محدد « لبسمارك » من قبل ، اخترقت السحب الكثيفة وهجمت واقتت عليه ١١ طوربيدا . ولكن بعد ان وقعت الواقعة ، اكتشف الطيارون ان السفينة التي هاجموها هي « شفيلد » وليست « بسمارك » ولكن لحسن حظها لم تصب بسوء ، فقد انفجر طوربيدان بمجرد لمسهما للماء ، اما الطوربيدات الباقية ، فقد تجنبتهما « شفيلد » بعد ان قامت ببعض المناورات .

نشاط الطائرات

وتزودت مرة أخرى بالوقود من حاملة الطائرات ثم طارت ، بعد ان طلبت الاتصال « بشفيلد » لتحديد مكان - بسمارك - بالدقة . وانتظمت الطائرات في سربين وشاهدت شفيلد بعد نصف ساعة ، بعد ان كانوا قد فقدوا اثرها نتيجة للجو السيئ للغاية ، ووجهتهم شفيلد الى مكان - بسمارك - الذي يبعد عنها ١٢ ميلا ، ناحية الجنوب الشرقي . وعندما اقترب السربان من - بسمارك - كانا يطيران في سحابة تصل قاعدتها حتى ٧٠٠ قدم ، وهكذا انفرط عقد السرب ، فكان على كل طيار ان يضرب بمفرده .

وانطلق نحو - بسمارك - ١٣ طوربيدا ، ولكن الطائرات قابلتها بنيران حامية الوطيس ، حتى انه اكتشف ان طائرة واحدة بعد ان نزلت على ممر - أرك رويال - قد اصابتها مائة شظية واصيب ملاحاها الاثنان وطيارها .

اما - بسمارك - فقد اصابتها طوربيدان اصابة محققة ، كانت اصابة احدهما في الجانب الايمن وهي التي ادت فيما بعد الى مصرعها ، بعد ان اصابت الكثير من اجهزتها . بعد الانتهاء من الضرب ، شاهدت - بسمارك - في الظلام شبح خمس

مدمرات أثبتت من الشمال الغربي، كان عليها ان تسحب - بسمارك - لتدخل في مدى مدافع السفن الحربية البريطانية من الناحية الاخرى . كانت هذه المدمرات تتبع اسطول - فلوتيليا الرابع - وقد تلقت امرا بالانضمام الى قطع الاسطول التي تطارد - بسمارك - ولكنه سمع اشارة الطائرات بمكان - بسمارك - هناك وقت يجب فيه على القائد الذكي ان ينسى الاوامر السابقة الصادرة اليه ويقرر بنفسه حسب الحالة اتخاذ اوامر اخرى . وهذا ما فعله قائد المدمرات الخمس بدون تردد ، وهكذا اتصلوا - بشفيلد - التي كانت قادرة على توجيههم . . . واقتربت المدمرات على مدى تسعة اميال من - بسمارك - واخذت تطلق عليها الطوربيدات كلما سنحت الفرصة .

كانت « بسمارك » رغم اصابتها قادرة تماما على الدفاع عن نفسها، وكانت مدافعها ما زالت سليمة قوية محكمة في اصابة اهدافها ، واستطاعت ان تبعد عنها الطرادات .

ووصلت السفينة - نورفولك - التي اشتركت منذ اربعة ايام في المعركة وبعد ربع ساعة شاهدت - نورفولك - على بعد ١٢ ميلا - الملك جورج الخامس - و - رودني - وهما تتجهان ايضا الى المعركة . كان الستار يسدل على الفصل الاخير من المسرحية .

على سطح بسمارك

على سطح - بسمارك - كان كل البحارة في اماكنهم ، وقد ادركوا جميعا انهم محاصرون . وقد اعلن - ليوتجن - انه طلب غطاء جويا من سلاح الطيران الالماني ، وان الفواصات الالمانية تحوم حول المكان لاغراق السفن البريطانية . ولكن . . الى الشرق كانت هناك السفينتان الحريبتان - رودني - و - الملك جورج الخامس - والى الشمال كانت هناك - نورفولك - والى الجنوب كانت هناك - دور ستشايل - التي انت من جبل طارق . والى شرق بسمارك كانت هناك - القوة ه - .

وفتحت - رودني - نيرانها وتبعتها - الملك جورج الخامس - واجابت - بسمارك - على الضرب بمثلها ، كانت ضرباتها الاولى ناجية - رودني - محكمة ولكن الضربة الثالثة من - رودني - اصابته - بسمارك - اصابة مباشرة . ثم توالى الضربات لتصيب كل مكان في هيكلها ولتسكت مدافعها التي اخذت حذتها تخف شيئا فشيئا .

واصبحت « بسمارك » حطاما في مياه المحيط السوداء ، كان سطحها العلوي يمتلىء بالجثث والجرحى تجرفها الامواج بلا حول ولا قوة .

وصدرت الاوامر - الى دور ستشايل - بالاقتراب من - بسمارك - واغراقها بالطوربيدات فاطلقت عليها طوربيدين على جانبها الايمن ، وطوربيدا على جانبها الايسر كانت فيه النهاية .

واخذت « بسمارك » تفوص في مياه المحيط الاطلنطي . وفي ثوان لم يكن هناك اثر لها . والتقطت - دور ستشايل - ١١٠ من رجالها الذين كان عددهم ٣٢٠٠ . والتقطت السفن الالمانية والاسبانية خمسة آخرين بعد ذلك .

اما - البرنس ايوجين - فقد رجعت الى فرنسا في اول حزيران ، واما بقية سفن التموين الست فافترقت كلها واسرت واحدة منها بكاملها . وهكذا انتهت المفامرة .

اعلان الخبر

وقف (تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا في مجلس العموم البريطاني في ٢٧ ايارس عام ١٩٤١ ليعلم نيا ضرب البارجة الالمانية بسمارك واغراقها . وقد قوبل هذا النبا بفرح شديد في لندن ووجوم شديد في برلين . فقد كانت « بسمارك » فخر البحرية الالمانية والبيع الذي كان يخيف السفن الانكليزية في شمال الاطلنطي .

وفي معركة « ايلات » تمكنت القوات المصرية البحرية من تدمير المدمرة الاسرائيلية واغراقها بالصواريخ في بضع دقائق . اما « بسمارك » فقد تطلب اغراقها اسطولا ضخما يتألف من ١٧ قطعة حربية ظلت تطارد البارجة الالمانية ٦ ايام كاملة دارت خلالها معارك رهيبه بين الجانبين . والفرق بين « ايلات » التي اغرقتها زوارق الصواريخ المصرية و« بسمارك » التي تطلب اغراقها الاسطول البريطاني . . هو الفرق بين الحرب الحديثة بالصواريخ والحرب العالمية الثانية . وفي اللحظة الاولى للمعركة حاولت « ايلات » الهرب من الصاروخ الاول الذي اطلقته زوارقنا عليها . ولكن الصاروخ غير اتجاهه فورا ليلحق بها وينسفها . ثم جاء الصاروخ الثاني بعد دقيقتين ليقتضي عليها تماما . وغرقت « ايلات » بالقرب من شاطئ بور سعيد .

اما «بسمارك» فقد تمكنت من الإفلات عدة مرات من الاسطول الانكليزي الذي كان يطاردها . بل وتمكنت من اغراق الطراد البريطاني «هود» في إحدى المعارك واصابت عددا آخر من السفن والطائرات البريطانية قبل ان تفرق وتبتلعها مياه الاطلنطي بالقرب من شاطئ (سان نازير) الفرنسي . .

الرواية الثانية عن خروج بسمارك

في نهاية شتاء عام ١٩٤١ كانت بريطانيا مشغولة بمعركة دنكرك . . . وكانت الفواصات الألمانية تثير الرعب في قلب السفن التجارية البريطانية في الاطلنطي . اما بحر الشمال فكان مغلقا تماما في وجه البحرية البريطانية بسبب البارجة الألمانية الجبارة « بسمارك » التي تبلغ حمولتها ٥٠ ألف طن والتي كانت تقلق مضاجع قادة الاسطول البريطاني في لندن .

وبعد النهاية المحزنة لبريطانيا في معركة كريت ، اختبأ الاسطول الانكليزي في البحر الابيض المتوسط في ميناء الاسكندرية . وفي أعالي البحار كانت مدمرات ألمانيا وغواصاتها تبذل ما في وسعها لقطع خطوط الامدادات البريطانية . . . وتجويع الشعب البريطاني حتى يجثو على ركبتيه ويستسلم لألمانيا . .

وفي مايس ١٩٤١ رأى « الاميرال رايدر » ان الوقت أصبح مناسباً لسيطر ألمانيا تماماً على مياه الاطلنطي . وبانتهاء بناء « بسمارك » كانت البحرية الألمانية تستطيع تكوين قوة ضاربة في المحيط تتحدى اية قوة أخرى هناك . وكانت « بسمارك » تقف في ميناء « برجين » في بحر البلطيق . وكان هناك أيضاً الطراد الألماني « البرنس ايوجين » .

وفي ٢٢ مايس ١٩٤١ صدرت اليهما الاوامر بالابحار ، ولكن الانكليز تمكنوا من معرفة نية خروج بسمارك الى الاطلنطي .

كيف علمت البحرية البريطانية بذلك ؟ . .

.. هناك قصتان مختلفتان حول تسرب نية تحرك « بسمارك » من ميناء « برجن » الألماني :

القصة الموجودة في وثائق الحرب العالمية الثانية تقول : ان طائرات الاستكشاف البريطانية تمكنت من تصوير « بسمارك » والطراد الألماني

« البرنس ايوجين » وهما يقادran ميناء برجن . وعلى الفور ابلىغ النبا الى قيادة البحرية في لندن التي اعلنت حالة الطوارئ بين الاسطول البريطاني . . والقصة الثانية تكشفنا اخيراً بعد اذاعة اسرار الجاسوس البريطاني فيلبي . فقد جاء في تقارير المخابرات البريطانية اثناء عمل فيلبي معها ان الانكليز تمكنوا في آب عام ١٩٤٠ من اسر الفواصة الألمانية « يو - ٢٧٠ » . ومع قائدها جواكيم راملو عثروا على جهاز للارسال سليم تماماً . يطلق عليه اسم « انيجما » .

وكانت هذه ضربة حظ كبرى لمخابرات بريطانيا . فقد كان الجهاز « انيجما » عبارة عن آلة خاصة للشفرة ابتكرها الالمان وتحذوا بها اية دولة في العالم ان تستطيع حل الشفرة الألمانية ، وقد كان ذلك مستحيلاً الا بالحصول على جهاز ارسال مماثل تماماً للجهاز الألماني ، وكانت الفواصات الألمانية مزودة باجهزة « انيجما » . . . وكان استخدام الجهاز مقصوراً على ربان الفواصة الذي كان عليه ان يبلغ الاميرال دوينتز القائد العام للاسطول الألماني موقعه بالشفرة يوميا .

واستخدم الانكليز الجهاز الذي وقع في ايديهم في تتبع تحركات الاسطول الألماني طوال الحرب . وكانت اعظم خدمة اداها لهم الجهاز معرفة سر خروج بسمارك . ولولا ذلك لاستمرت مذبحه قوافل الحلفاء في الاطلنطي . وربما تغيرت نتيجة الحرب .

الانتقام

وفي كانون الاول ١٩٤١ هاجم اليابانيون بيرل هاربور وهونغ كونغ وسنغافورة ، وصدرت الاوامر الى الاسطول البريطاني في الشرق الأقصى بمحاولة تحطيم خطوط مواصلات البحرية اليابانية وسفن انزاله التي كانت تحمل القوات اليابانية لفزو تايلاند « سيام آنذاك » والملايو . وكانت الخطة الموضوعة هي ان تضرب بريطانيا بشدة الاخطبوط الياباني قبل ان تصل اذرعه الى سنغافورة وتهاجمها برا .

وتقرر الاستعانة باكبر سفينتين في الاسطول البريطاني وهما البارجة « برنس اوف ويلز » والطراد الحربي « ريبالس » ومعهما عدد كبير من المدمرات ، وعلى بعد ٥٠ ميلاً من ساحل الملايو شوهد الاسطول البريطاني بواسطة طائرات الاستكشاف اليابانية ، وكانت المذبحة . فعقب وصول

أنباء تحركات الاسطول قامت على الفور تشكيلات كبيرة من قاذفات القنابل لضربه رغم سوء الأحوال الجوية ، وحاول الاسطول البريطاني الهرب بالسير في طريق متعرج وباقصى سرعة حتى لا تصيبه قذائف الطوربيد .

ولكن الطائرات اليابانية ركزت ضرب الطوربيد على الجائزتين الشمينتين « برنس أوف ويلز » و « ريبالس » وفي لحظات معدودة غرقت البارجتان والنيران مشتعلة فيهما ، وفي البداية لم تصدق بريطانيا ما حدث ، ولكن عندما أعلن تشرشل النبأ بصوت حزين في مجلس العموم قال :

« طوال حياتي حتى الآن لم تتلق بريطانيا لطمة قوية في البحر كالتي تلقتها عند اغراق « برنس أوف ويلز » و « ريبالس » ، وسيؤدي ذلك الى تحطيم كل آمالنا في مقاومة الخطر الياباني في الشرق الأقصى . وقد نفذت خطة الهجوم على اسطولنا هناك ببراعة وتصميم يثيران الإعجاب »

خداع المحيط

وتتحدث سجلات الحرب العالمية الثانية عن المعارك البحرية التي خاضتها السفينة الألمانية « اتلانتيس » . وهي التي اغرقت الباخرة المصرية « زمزم » عام ١٩٤١ ، وكان عليها ١٤٠ امريكيا و ١٦٠ بحارا أسرهم السفينة الألمانية . . وكانت « اتلانتيس » تعرف باسم السفينة المفيرة لانها كانت تفاجيء قوافل الحلفاء وتفرق سفنهم بعد ان تخدعهم بمظهرها البريء . وكانت « اتلانتيس » سفينة شحن كبيرة حولها الالمان الى قطعة حربية هامة اشتركت مع ثمانى سفن اخرى من نوعها في اغراق ١٣٦ سفينة للحلفاء وكان لـ « اتلانتيس » نصيب الأسد في هذه العمليات بفضل دهاء قائدها برنارد روج وبراعته في السيطرة على الرجال . .

وعندما كانت « اتلانتيس » تقابل سفينة بريطانية كانت ترفع علم دولة اخرى غير مشتركة في الحرب ويمثل بحارتها على السطح دور المسافرين على باخرة عادية ، وكان بعضهم يرتدي ازياء نسائية والبعض الاخر يسترخى في المقاعد الوثيرة بينما يحار اخر في ثياب امرأة يدفع عربة اطفال امامه على السطح . . كل هذا حتى تطمئن السفينة البريطانية لمظهر « اتلانتيس » الخادع وتتركها تقترب منها . وهنا تحدث المفاجأة وتظهر مدافع « اتلانتيس » للقضاء على الضحية الساذجة .

وقد حيرت « اتلانتيس » البحرية البريطانية التي ظلت تبحث عنها



خريطة لمطاردة بسمارك هذه الخريطة تصور بسمارك في المحيط الاطلسي عندما وصلت اليها البوارج الانكليزية ودمرتها . .

سنتين بعد ان اغرقت اكثر من ٥٠ سفينة بريطانية في الاطلنطي وحول رأس الرجاء الصالح وعند منطقة خط الاستواء . . . خدم الحظ بريطانيا عندما عثرت الطرادات البريطانية « ديفونشاير » عليها وهي تقوم بتموين إحدى الفواصات الألمانية بالبترول ، وحاول قائد « اتلانتيس » خداع الانكليز مرة اخرى فادعى انه سفينة اميركية ، ولكن قائد الطراد حاصره لمدة ساعة حتى يتأكد من هذه المعلومات من مقر القيادة ، وعندما تأكد عدم صحتها أطلق عليها عدة قذائف دمرت « اتلانتيس » وقبل ان يترك قائد « اتلانتيس » السفينة أمر بحارتها باغراقها حتى لا يستفيد منها العدو .

وهكذا انتهت قصة « اتلانتيس » بعد ان دوخت بريطانيا .

الحرب في الصحراء

خالد بن الوليد ونابليون ورومل

القواد العظام

الحرب ليست معركة واحدة ينتصر فيها هذا الجانب أو ذاك ثم تنتهي ... الحرب سلسلة من المعارك التي يمكن أن يلقي فيها الجانب المنتصر الهزيمة في النهاية ، ويلقى فيها الجانب المهزوم النصر في النهاية ... وحرب الصحراء الفريية التي استمرت بين الانكليز وحلفائهم من جانب ، والايطاليين والالمان من جانب آخر على طول نحو ثلاث سنوات ، كانت مكونة من عدة معارك كبرى ، انتصر فيها الايطاليون احيانا وانتصر فيها الانكليز احيانا ، وانتصر فيها الالمان احيانا ... وكل معركة كبرى من هذه المعارك كانت تتكون من عمليات عسكرية متعددة منها عمليات برية ، وعمليات بحرية ، وعمليات جوية ... ومنها غارات محدودة القوة ومحدودة الهدف لتحقيق اغراض معينة تخدم هذه العملية العسكرية أو تلك ... وبعد كل معركة من هذه المعارك كان المنسحب يترك وراءه في الصحراء القتلى والجرحى والاسرى ، ليعيد تنظيم قواته ثم يعود الى الهجوم ... وفي كل غارة فدائية كان الرجال يبرزون ابطالا لا في نظر قوادهم بل في نظر العالم .

تحرير من رومل

« حبيبتي لو »

« هبطت في ستاكف في الساعة ١٢ و٤٥ دقيقة . اولا الى قائد عام الجيش الذي كلفني بمهمة جديدة . ثم الى الفوهرر . الامور تتحرك بسرعة . حاجاتي الشخصية ستصلني هنا . لن آخذ معي الا ما هو ضروري جدا . ربما استطيع الحصول على بقية حاجاتي بعد ذلك . لست في حاجة الى ان اصف لك كيف يدور راسي بكل ما يجري . ستمضي شهور قبل ان تتم المهمة . اذن فاجازتنا قد انقطعت . لا تحزني كان لا بد من ذلك . المهمة الجديدة كبيرة وهامة جدا . »

هكذا كان اول تحرير ارسله اللفتنانت جنرال اروين روميل الى زوجته عقب توليه قيادة فيلق الصحراء .

وفي ٧ شباط ارسل خطابا ثانيا جاء فيه :

« نمت مع مهمتي الجديدة الليلة الماضية . انها ستكون علاجا للروماتيزم الذي اصابني امامي الكثير جدا الذي يجب انجازه خلال الساعات القليلة الباقية حتى استطيع ان اجمع ما انا محتاج اليه . »

وفهمت زوجة الجنرال روميل من هذين الخطابين ان زوجها قد قابل الفيلدمارشال فون براوشيتش ، قائد عام الجيش الالماني في برلين ، وانه قابل هتلر كذلك . وانه تولى مهمة في افريقيا ما دام يتحدث عن علاج الروماتيزم . وكان هذا بالضبط ما حدث .

ففي بداية شهر شباط ١٩٤١ ، وعقب ١٩٤١ ، وعقب وصول قوات ويفيل الثلاثين الفا الى العجيلة ، وانزالها هزيمة ساحقة بالقوات الايطالية في الصحراء الغربية ، واسرها ١٣٠ الف جندي ايطالي ، واستيلائها على كميات هائلة من المعدات والاسلحة ، ابلغ احد الضباط المحققين بمقر قيادة هتلر الجنرال روميل ، الذي كان يقضي اجازته مع زوجته ، ان عليه ان يقطع اجازته وان يقدم نفسه الى الفيلد مارشال فون براوشيتش والسي الفوهرر ، فوراً .

وكان الجنرال رومل قد بدأ يكتسب شهرة بين القواد الالمان اثناء قيادته لفرقة اسمها « فرقة الاشباح » في فرنسا ، حيث اصبح معروفا بالدهاء الشديد ، والعقل الراجح ، والجرأة في الحركة السريعة ، والخبرة في

تكتيكات حرب المدرعات .

وعندما قابل روميل المارشال فون براوشيتش في برلين في ٦ شباط شرح له هذا الاخير مهمته الجديدة . وابلغه انه نظرا الى الوضع الخطير الذي أصبح عليه الايطاليون ، حلفاء المانيا ، في شمال افريقيا ، فقد تقرر ارسال فرقتين مدرعتين المانيتين الى ليبيا لمساعدتهم . وان احدى الفرقتين خفيفة ، والاخرى ثقيلة ، وكلفه بأن يتولى قيادة هذا الفيلق الافريقي ، الذي يمثل اول قوات المانية تتوجه الى هناك . ثم طلب منه ان يسافر الى ليبيا باسرع ما يمكن لكي يستكشف ميدان المعركة بنفسه .

وكان الشرط الاساسي لقيام المانيا بتقديم تلك المساعدة لحلفائها الايطاليين هو ان يوافق الايطاليون على التعهد بالدفاع عن طرابلس ، لتأمين المجال اللازم لعمليات سلاح الطيران الالماني في افريقيا ، وهو شرط كان لا يتفق مع الخطة الايطالية الاصلية . ثم كان هناك شرط آخر هو ان تكون جميع القوات الايطالية الراكبة تحت قيادة رومل ، على ان يكون روميل نفسه خاضعا رسميا لقيادة المارشال جرازاني .

وفي عصر ذلك اليوم نفسه ، قدم روميل نفسه الى هتلر ، الذي حدثه بتفصيل عن الموقف في شمال افريقيا وابلغه انه اقدر العسكريين الالمان على التلاؤم السريع مع ظروف ميدان العمليات العسكرية في افريقيا . وابلغه هتلر ان الكولونيل شمونت ، رئيس اركان حربه ، سيصحبه في المرحلة الاولى من جولته الاستطلاعية . ونصحه بان يقوم بتجميع القوات الالمانية في المنطقة المحيطة بطرابلس حتى يستطيع ان يستخدمها كجسم واحد .

وفي المساء ، اطلع هتلر الجنرال روميل على اعداد من المجلات الاميركية والبريطانية المصورة والتي كانت تتضمن وصفا لتقدم قوات الجنرال ويفيل عبر برقة . ويقول روميل في مذكراته ان اكثر ما لفت نظره في هذا الوصف ذلك التناسق الواضح بين القوات المدرعة البرية والقوات البحرية في عمليات ويفيل .

الثعلب يستعد

وفي ١٢ شباط ١٩٤١ ، طار روميل الى طرابلس ، بعد اجتماعاته مع هتلر وفون براوشيتش في برلين ، ومع رئيس اركان حرب الجيش الايطالي في روما ، ومع الجنرال غايسلر ، قائد الفيلق الجوي الالماني في

صقلية ، لكي يصبح من ذلك اليوم اشهر عسكري الماني في تاريخ الحرب العالمية الثانية ، ولكي يحمل عبر التاريخ المعاصر كله لقب « ثعلب الصحراء » بعد ان سجل اشد انتصاراته بريقا في حرب الصحراء القريبة . ولم تكن شهرة روميل مقصورة على قواته الالمانية ، وانما امتدت هذه الشهرة الى القوات البريطانية نفسها ، بحيث اضطرت المخابرات البريطانية الى اصدار التحذيرات والى وضع خطط لمواجهة هذه الشهرة بحرب نفسية مضادة .

وما ان وصل روميل الى طرابلس حتى بدأ محادثات صعبة مع الجنرال غاريبولدي ، قائد عام القوات الايطالية في شمال افريقيا ، والذي كان روميل مسئولا امامه اسما . ثم قام لمدة يومين بجولة استكشافية لارض المعارك . وكتب الى زوجته يقول :

« كل شيء على ما يرام . ارجو ان استطيع تنفيذ المهمة . انا في صحة جيدة لا شيء يدعوك الى القلق . امامي عمل كثير . قمت بالفعل باستكشاف ما حولي » .

وفي ١٧ شباط ارسل اليها خطابه الرابع منذ تولي مهمته الجديدة ، يقول فيه :

« كل شيء رائع . الشمس ساطعة بقوة هائلة . علاقاتي بالقيادة الايطالية على احسن ما يمكن ولا اتصور تعاوننا افضل . الاولاد في الجبهة التي تحركت ٢٥ ميلا الى الشرق . فيما يتعلق بي فانا على استعداد للترحيب بالآخرين متى جاءوا » .

وكانت القوات الامامية الالمانية قد وصلت الى طرابلس عن طريق البحر . وكان من المنتظر ان يكتمل وصول الفرقة المدرعة الخفيفة في منتصف نيسان وان يتم نقل فرقة المدرعات الثقيلة الخامسة عشرة في اخر مايس . ويصبح روميل مستعدا لشن هجوم عام على القوات البريطانية .

وفي ١٩ شباط ، طار روميل الى برلين لكي يحصل من هتلر على اذن بان يسمح له بالقيام بعمليات هجومية للاستيلاء على برقة في اواخر مايس .

قوبل طلبه هذا ببرود شديد ، وابلغه المارشال فون براوشيتش انه لا توجد اية نية لتوجيه ضربة حاسمة ضد القوات البريطانية في شمال افريقيا في المستقبل القريب ، وانه لا توجد انصبة من الجنود والاسلحة

والعتاد والتموين مقررة لتوجيه مثل هذه الضربة .

ولم يعرف روميل حينذاك السبب في هذا الموقف الغريب ، ولم يقل له احد ان السبب هو ان المانيا كانت قد قررت التدخل عسكريا في يوغوسلافيا واليونان ، كمقدمة لحماية الجناح الايمن للجيش الالماني الذي كان يستعد لتنفيذ عملية « بارباروسا » لفزو الاتحاد السوفيتي في حزيران من تلك السنة نفسها .

ومع هذا ، فان المارشال براوشيتش قال للجنرال روميل انه يستطيع ان يقوم بهجوم على العجيلة في اواخر مايو بعد اكتمال وصول قواته ، ويحاول استردادها من ايدي البريطانيين . وانه من الممكن بعد ذلك وعلى ضوء نتائج مثل هذا الهجوم اعادة النظر في الموقف في شمال افريقيا .

وعاد روميل الى افريقيا ، واخذ يستعد للهجوم على العجيلة ، ولم تكن قوات الفيلق الالماني كثيرة العدد ، وكانت القوات الجوية التي تعتمد عليها لا تزيد على مائتي طائرة ، تواجه نحو الف طائرة بريطانية .

ومن ثم ، فقد وضع روميل خطته للهجوم على أساس الاعتماد على المفاجأة وسرعة الحركة وتشعب اتجاهات الهجوم والتقدم المستمر بصرف النظر عن تصفية الجيوب المتخلفة وراء الخطوط . ولقد اصبحت تكتيكاته هذه جزءا لا يتجزأ من أسلوب حرب الصحراء الحديثة . كما اصبحت روميل اول قائد عسكري يخوض معارك الصحراء بدون الاعتماد اعتمادا اساسيا على القوات الجوية المتفوقة .

وبدا الهجوم

واخذت القوات الالمانية المكونة للفيلق الافريقي تصل بطريق البحر الى طرابلس حيث كان يجري حشدتها في « سيرته » . وفي ٢٤ شباط اصطلحت الدوريات الالمانية بالبريطانية لأول مرة في « نوفيا » . واستمر روميل يعد قواته ويستكشف ميدان الحرب ، ويضع خطته . وفي ٥ مارس كتب رسالة خامسة الى زوجته يقول فيها :

« عدت لتوي من رحلة استغرقت يومين . قمت برحلة جوية الى الجبهة التي تبعد الان ٥٠ ميلا الى الشرق . كل شيء يسير على ما يرام .. »
« العمل كثير . لا يستطيع ان اغادر مكاني في الوقت الراهن اذ لا

استطيع ان ابرر غيابي . اشياء كثيرة تعتمد على شخصي وعلى قوتي الدافعة . امل ان تكوني قد تلقيت خطاباتي .

« قواني قادمة . السرعة هي الشيء الوحيد الذي له اهمية هنا . الجو يلائمني تماما . بل انني قد نمت هذا الصباح الى ما بعد السادسة . »
وسافر روميل الى برلين مرة اخرى في ١٨ مارس ، لكنه فشل في الحصول على اذن بالقيام بهجوم عام الماني في برقة قبل نهاية مايس ، وظل الاذن المعطى له مقصورا على محاولة استرداد العجيلة .

وفي ٢٤ مارس ، هاجم الالمان ، مع حلفائهم الايطاليين ، العجيلة واستولوا عليها . وفي اليوم التالي ارسل روميل خطابا الى زوجته يقول فيه :

« قضيت اول يوم منذ قدومي في البحر . انه مكان بديع . الإقامة في عربتي المتحركة المريحة طيبة ، اشبه بالإقامة في الفندق . عمت في البحر في الصباح . الجو دافئ جميل .. تناولت قهوة في الصباح ... تلقيت من الجنرال الايطالي كالفى دي بورجوالو بورنس حمام .. رائع . الوانه زرقاء وسوداء ومطرز بالحريز الاحمر . انه يصلح لان يكون عباءة مسرح لك ..

« لا جديد في الجبهة . على ان امنع القوات من الاندفاع الى الامام . اخذنا موقعا جديدا على بعد ٢٠ ميلا من الشرق . هناك بعض الوجوه المتجهمة بين اصدقائنا الايطاليين » .

انسحاب الانكليز

وانسحب الانكليز من العجيلة ، وبدأ الطريق مفتوحا الى طبرق ، الموقع العسكري الاستراتيجي في برقة ، والميناء الهام بالنسبة لاية قوات تحارب في ليبيا . ولم يضع روميل الفرصة وقرر مطاردة الانكليز المنسحبين فتقدمت قواته الى « مرسى بريجا » واخترقت مواقع الانكليز هناك في ٣١ مارس ثم تقدمت الى اجدابية فوصلتها في ٢ ابريل .

وعندئذ انفتحت ثلاثة طرق امام روميل كان عليه ان يختار طريقا منها . كان هناك الطريق الجنوبي في الصحراء من اجدابية الى « تنجندر » الى « ميتشلي » الى طبرق . وكان هناك الطريق الصحراوي ايضا من اجدابية الى « انتلات » الى « سوس » الى ميتشلي الى طبرق ، وكان هناك الطريق الساحلي من اجدابية الى بنغازي الى درنة واختار روميل السير في الطرق الثلاثة ..

وانطلقت قواته تتقدم من إجدابية التي استولت عليها في ٢٤ مارس (أذار) ١٩٤١ إلى أن وصلت إلى بقيق وسيدي براني في ١٥ أبريل (نيسان) ١٩٤١ . منزلة بذلك هزيمة كبرى بالقوات البريطانية ، وقد أسرت نحو ٨٨ ألف جندي بريطاني ، من بينهم الجنرال أوكنور والجنرال نيم قائد جيش الصحراء .

ولقد كان الجنرالان أوكنور ونيم ومعهما الجنرال كويب في طريقهم بالسيارة من مروى متجهين إلى تميمي . ولكنهم انفصلوا عن القوات المنسحبة ، وفقدوا الاتصال ، وضلوا الطريق في الظلام وفي العواصف الترابية ، حتى وجدوا أنفسهم في الطريق إلى درنة . وعندئذ شعروا بالتعب فناموا ولم يستقيظوا إلا على صوت جنود دورية المانية تأمرهم بالتسليم ، واستسلموا ودخلوا مصيدة الأسرى الإنكليز التي كانت في يد الألمان . وهكذا انتهى ريتشارد أوكنور ، مهندس انتصار ويفيل ، أسيراً مع الأسرى .

وعلى الرغم من هذا الانتصار الخاطف الذي أحرزه روميل ، فإن قواته لم تستطع أن تدخل طبرق ، فحاصرتها . وكان من رأي روميل أن يقوم بهجوم على طبرق ، لكن الجنرال هالدن أمره بأن يترك طبرق محاصرة دون أن يحاول اقتحامها ، وأن يعهد بعملية الحصار إلى القوات الإيطالية ، وأن يقوم هو بتركيز قواته الألمانية حول السلوم . وقد فعل روميل ذلك ، خاصة بعد أن فشل هجوم الماني من ٣٠ أبريل إلى ٤ مايو في دخول طبرق ، وأن نجح في دق أسفينات في الخطوط البريطانية المدافعة عن الميناء الحيوي .

وفي ٢٥ أبريل (نيسان) ، استولت القوات الألمانية على ممر حلفاية ، مفتاح الطريق إلى مصر من الغرب ، وتراجع الإنكليز إلى مرسى مطروح .

معارك حلفاية وطبرق

وإذا كان ممر حلفاية ذا أهمية استراتيجية كبرى ، فلقد حاول كل جانب التمسك به . فجرت حوله معارك عديدة بين الإنكليز والألمان . ففي ١٥ مايو (أيار) ، وضع الإنكليز خطة قصيرة المدى موجزة الأهداف لإصلاح مواقعهم على الحدود المصرية بالاستيلاء على ممر حلفاية . وقامت قوة بريطانية بالتقدم متجنباً الاصطدام المباشر بالتحصينات الألمانية في ممر حلفاية نفسه ، ومتجهة إلى كابوتزو .

لكنها اضطرت إلى التوقف بسبب تكتيكات روميل الدفاعية الرائعة وبسبب ضعف دروع الدبابات البريطانية .

وفي ١٧ مايو (أيار) ، تقدم روميل إلى ممر حلفاية فاجبر القوات البريطانية على الانسحاب مرة أخرى لكي تتجنب خطر قطع خطوط مواصلاتها .

ونظراً لأهمية طبرق أيضاً ، فإن قوات الجانبين حاولت الاحتفاظ بها . وهي وإن كانت بيد الإنكليز ، لكنها محاصرة حصاراً شديداً من جانب الألمان والإيطاليين ، ومهددة ليلاً ونهاراً بقنابل الطائرات وقصف المدافع ، فقد حاول الإنكليز تخليصها من الحصار .

وفي ١٤ يونيو (حزيران) وضع الجنرال ويفيل خطة لكي تتقدم القوات البريطانية من سيدي براني للهجوم على برقة ورفع الحصار عن طبرق . لكن الخطة فشلت .

وبعد ذلك قرر تشرشل تعيين الجنرال أوكنك ، قائداً عاماً للقوات البرية البريطانية في الشرق الأوسط بدلاً من الجنرال ويفيل .

ووضع أوكنك خطة عرفت باسم « الصليبي » للهجوم على برقة ورفع الحصار عن طبرق . واستطاعت هذه الخطة أن تستعيد برقة للحلفاء ، لكنها كانت إحدى معارك الصحراء التي لا تعتمد على الهجوم المفاجيء الذي لا بد وأن يتلوه الفرار . إذ كانت القوات المواجهة مستعدة لها . وهذا هو السبب في أن روميل ما لبث أن أعد خطة مضادة عرفت باسم خطة « الهجوم حتى أسلاك الحدود » ، انتهت بسقوط طبرق وأسر نحو ٣٥ ألف جندي من جنوب إفريقيا فيها ، وتقدمت القوات الألمانية حتى العلمين التي ظلت عندها إلى أن بدأ هجوم الجيش الثامن بقيادة الجنرال مونتجومري في ٢٤ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٤٢ .

على هامش الحرب

وإذا كانت معارك الصحراء بين الإنكليز والألمان في تلك المرحلة تميزت أساساً بكونها معارك برية ، تعتمد أساساً على القوات المدرعة ، فإن ثمة معارك هامة أخرى جرت في البحر وفي الجو بنتائج لا تقل أهمية عن نتائج المعارك البرية .

فبعد سقوط فرنسا أصبحت بريطانيا تمسك بطرفي البحر الأبيض المتوسط بقوات كبيرة تستند الى قاعدتين أساسيتين في جبل طارق والاسكندرية . بينما كانت إيطاليا تسيطر على وسط البحر الأبيض المتوسط بقوات لها قواعد في مسينا وباليروموجزيرة صقلية ، وفي تورنتو ونابولي في جنوب إيطاليا ، وفي بنغازي وطرابلس على ساحل شمال أفريقيا . ولم يكن الاسطول البريطاني يتفوق كثيرا على الاسطول الإيطالي . . . فقد كان لدى الإنكليز سبع بوارج وحاملتان للطائرات هما « ايجل » و « ارك رويال » . وكان لدى الإيطاليين ست بوارج ويعتمدون على قواعد برية لقواتهم الجوية . وكان في استطاعة الإيطاليين ان يستخدموا ٢١ طرادا ضد ٨ طرادات بريطانية ، و ٥ مدمرة وعددا كبيرا من زوارق الطوربيد ضد ٣٧ مدمرة بريطانية ، و ١٠٠ غواصة ضد ٨ غواصات بريطانية .

وكان عند الإيطاليين ٢٠٠٠ طائرة في المنطقة مقابل ٢٠٠ طائرة كانت عند الإنكليز .

ومع هذا ، فقد استطاع الاسطول البريطاني والسلاح الجوي البريطاني ان ينزلا خسائر فادحة بالقوات البحرية والجوية الإيطالية ، بفضل دقة مخبراتهم ، وحسن تدريبهم ، في معارك معقدة تحتاج الى الدقة في تحديد مواقع قوات العدو ، وتحتاج الى السرعة في مواجهته ، وتحتاج الى الدقة في قتاله وتدميره .

لكن الإيطاليين استطاعوا ان يسجلوا لانفسهم بطولة عملية بحرية ، هي مفخرة لهم .

ففي ليلة من ليالي نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٤١ ، قامت الغواصات الإيطالية بأسقاط ستة من رجال الضفادع ومعهم طوربيدات بشرية على بعد نحو ميل ونصف ميل خارج ميناء الاسكندرية . واستطاع رجال الضفادع الستة ان يخترقوا الستار الذي يغلق الميناء عادة ، اذ كان مفتوحا في تلك اللحظة للسماح لعدد من المدمرات بالدخول . ثم تسلى رجال الضفادع الشبكات الواقية التي كانت مقامة حول بارجتين بريطانيتين هما « كوين اليزابيث » و « فالينت » ، ووضعوا المتفجرات تحتها وتحت ناقلة البترول « ساجونا » . وعندما انفجر الديناميت فقد الاسطول البريطاني قطعتين من أهم قطعه البحرية .

وقد تم القبض على رجال الضفادع الستة وقائدهم اللفتنانة دوراند

ديلايتي . وظلوا في الاسر حتى خرجت إيطاليا من الحرب قبل نهايتها بأشهر عديدة . وعندئذ تم الافراج عنهم ، ومنح اللفتنانة ديلايتي الوسام الذهبي الإيطالي للشجاعة .

واغرب ما في الامر ان الذي وضع هذا الوسام على صدر الضابط الإيطالي الفدائي كان الرئيس ادميرال مورجان البريطاني ، والذي كان قائد البارجة « فالينت » في ليلة تلك الغارة الإيطالية الجريئة .

وكان ثمة عمليات كثيرة متبادلة بين العدوين المتواجهين هدفها اما تخريب المواصلات في الخطوط الخلفية ، او اطلاق القوات بفارات صغيرة مستمرة تحرمها من النوم والاستقرار وتجعل كل جندي يسير وهو ينظر وراه ، او تخريب الطائرات وهي على الارض ، او انزال فدائيين بالغواصات خلف خطوط العدو ، او حتى محاولة خطف القواد .

ومن ابرز حوادث تلك الفترة محاولة خطف روميل او قتله في مقر قيادته المعروف باسم « بيت روميل » في سيدي رفاعة .

ففي اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤١ ، قام ستة من الضباط البريطانيين ومعهم ٥٣ صف ضابط وجندي ، بالنزول سرا على الساحل الليبي على مسافة قريبة من سيدي رفاعة . وكانوا بقيادة اللفتنانة كولونيل جوفري كابر والكلونيل لايكوك . وكان يشرف على هذه العملية الكابتن هاسلون ، الذي كان ملحقا بالفيلق العربي الليبي ، والذي كان يتكلم العربية والإيطالية بطلاقة . وكان يتجول بحرية في اراضي العدو يعاونه عدد من العرب الاحرار الليبيين الذين كانوا يكرهون الحكم الإيطالي ويحاربونه . . .

وزحفت قوة الفدائيين هذه تحت ستار الليل وفي قلب عاصفة ومليمة مفاجئة وهي مسلحة بالمدافع السريعة الطلقات والقنابل اليدوية حتى وصلت الى ما قيل لها عنه بانه مقر قيادة روميل . لكنها عرفت متأخرا ان روميل ليس في هذا البيت وانما هو موجود مع قواته في الخطوط الامامية . وانكشف امرها ، وخرج الحراس الالمان يطلقون عليها النار .

وفشلت الغارة ، ومات جميع الرجال ، بسبب سوء معلومات المخابرات . لكن العمل نفسه بث القلق في نفوس الالمان ، كما ادى الى رفع الروح المعنوية في صفوف القوات البريطانية المهزومة والمرابطة عند مرسى مطروح ومن العمليات التي جرت على هامش المعارك ، عملية اغلاق قناة السويس ، لمدة ثلاثة اسابيع ، بعد ان اسقطت الطائرات الالمانية في مياهاها الفامسا مغناطيسية .

وضع بريطاني سيء

وبانتهاء جميع هذه العمليات الكبيرة والصغيرة ، بدأ وضع القوات البريطانية سيئاً للغاية وخطيراً أشد الخطورة في الشرق الأوسط . ويقول سير باسيل ليدل هارت ، المعلق العسكري البريطاني المشهور انه لو كان هتلر لم يشغل نفسه بالاستعداد لغزو الاتحاد السوفيتي ، ولو أن روميل حصل على تعزيزات وامتدادات تمثل خمس ما كان محشوداً على الجبهة الشرقية ، لاستطاع الالمان دخول مصر .

فقد كانت القوات البريطانية البحرية والبرية بل والجوية ، قد وصلت الى نهايتها في اواخر عام ١٩٤١ . وقد انهكت قواتها الحملة ضد قوات حكومة فيشي في سوريا . واختفت ، قتلوا وأسرى ، أغلبية الثلاثين ألف جندي الذين كانوا يكونون جيش الصحراء الغربية ، والذين احرزوا الانتصارات في المعارك ضد الايطاليين ، وحل محلهم جنود جدد لا دراية لهم بحرب الصحراء ، يقودهم ضباط جدد ليست لديهم خطط دقيقة تستند الى معرفة حقيقية بآرضية ميدان القتال ، أو بعقلية العدو ونفسيته .

لكن الذي حدث هو ان هتلر اختار مصيراً آخر له والامانيا بالهجوم على الاتحاد السوفيتي ولم يستطع روميل أن يحصل على ما يريد . وتوقف الزحف الالمانى على مصر في انتظار تعزيزات وامتدادات لم تصل . بينما استطاع الانكليز ان يعيدوا تنظيم قواتهم . حتى بدأوا معركة العلمين .

يعتبر ما كتبه روميل عن معاركه وحركاته العسكرية من أروع الوثائق العسكرية كما يقول ليدل هارت أكبر كاتب عسكري بريطاني . الذي يقول ان ما كتبه روميل يعتبر مساهمة عظيمة في ميدان الفكر العسكري . علاوة على ان التعليقات الحكيمة التي تملأ كتابه كله ، وكلها عن مجالات جديدة مثل : الحشد زمنياً وليس مكاناً . . . والسرعة في مواجهة تفوق العدو . . . والمرونة كوسيلة للمفاجأة . . . والامن الذي توفره الجراحة . . . خلق مستويات جديدة وعدم الخضوع للأمر الجاري . . . وأخيراً عن الطريقة التي يمكن بها تعويض النقص في استخدام القوة الجوية . . .

ويمتاز روميل في تصويره للعمليات بالوضوح والدقة الكبيرة مما زاد من قيمة كتاباته ودقة تصويره لأسباب كثيرة منها : أسلوبه في القيادة وعادته في الاندفاع للامام محاولاً ان يكون دائماً في المكان والوقت

المناسبين ، كما انها تدين أيضاً الى تدريبه الذاتي في الملاحظة وتطويره لها . . . بحيث يمكنه الالمام بجميع المعلومات في اقصر وقت ممكن . .

وهناك تشابه واضح بين لورنس الحرب الاولى وروميل الحرب الثانية ، بالرغم من الفارق في طباعهما ومستوى دراستهما وفلسفتهما ، فقد كانا متقاربين للغاية في احساسهما للوقت وعلاقته بالمكان ، وفي قدرتهما على تحليل المفاجأة بطريقة غريزية ، وقدرتهما على تحليل الارض ، وانتهاز الفرص والجمع بين المرونة والقدرة على التنبؤ وتقديرهما لاهمية القيادة الشخصية المباشرة .

الحرب الخاطفة

واذا أردنا المقارنة بين القادة المشهورين ، يجب ان يكون ذلك على اساس فنهم العسكري الذي يمكن تمييزه من أساليبهم المتطورة في القتال ، على ان تكون هذه الدراسة مبنية على الاستخدام الذي قاموا به للإمكانيات التي كانت في حوزتهم لتحقيق أهدافهم ، وخاصة استخدامهم لمبدأ خفة الحركة والمرونة والمفاجأة للاخلال بتوازن خصومهم جثمانياً وعقلياً . .

ولكي نحكم بعدل ونزاهة ، يجب ان نأخذ في اعتبارنا الظروف والموارد للطرفين ، بالإضافة الى العوامل الاخرى التي تخرج عن نطاق سيطرة القائد ، ويمكن عندئذ فقط ان نقدر بطريقة سليمة قيمة الاعمال المطلوب الحكم عليها . .

وبالنسبة لروميل . . فقد جمع بين عبقريتين : العبقرية الفكرية والعبقرية التنفيذية ، هذا مع علمنا بان العبقرية ترتبط بالانفرادية في اغلب المجالات . . . فبالرغم من ان نظرية الحرب الخاطفة قد وضعت اصلاً في انكلترا . . الا ان الامام روميل السريع بها والطريقة التي طورها بها تبين استعداده العقلي الضخم وقدراته الفكرية . . . وقد كان لقيادته لجيوش افريقيا فرصة كبيرة لتطبيق عقيدته الجديدة ، وظهر روميل دهاء عظيم في حرب الصحراء بافريقيا لانه مزج الدفاع بالهجوم مع جذب المدرعات الى فخاخ منصوبة تمهيداً لقيام مدرعاته بضربات خاطفة للقضاء عليها .

المطلوب في شخصية القائد

ان من اهم المميزات التي يجب ان تتوافر في القائد نظرته الثاقبة .. ولكن بعد اتساع ميدان المعركة وتطور الاسلحة اصبح الامر يحتاج الى شيء اكبر .. وهو القدرة على التنبؤ ، اي القدرة على اختراق صفوف الاعداء ببصيرة القائد (معرفة ما يدور في الجانب الآخر من التل) اي ما يدور خلف خطوط الاعداء وما يدور في عقلية قادتهم ، لان القائد في الوقت الحاضر يجب ان يكون متعمقا في دراسة علم النفس بصفة عامة ، ونفسية الخصم بصفة خاصة .. وهذا الادراك النفسي هو أحد عناصر العبقرية العسكرية . ومنه تنتج القدرة على احداث المفاجأة والقيام بالحركات غير المتوقعة التي تخل بتوازن الخصم ..

ولكن ليكون تأثيرها كاملا يجب ان يكون مصحوبا بالاحساس بعامل الزمن والقدرة على ايجاد اقصى درجة من خفة الحركة والسرعة والمفاجأة .. على ان يكونا ازدواجا ضروريا .. ويتوقف ايجاد هذين العنصرين على خبرة اسمها « الخيال الخارق » ، فان القدرة على القيام بحركات غير متوقعة ، والاحساس الجاد بعامل الوقت والقدرة على ايجاد درجة من خفة الحركة تؤدي كلها الى شل حركة المقاومة ..

هذا ومن الضروري كما يؤكد روميل انه يجب على القائد عند محاولته الاخلال بتوازن خصمه الا يختل توازنه هو .. وهذا ما يعبر عنه الانكليز « بالراس البارد .. او القدرة على التأثير ببرود »

واهم ما يتصف به القائد ايضا قدرته العقلية على القيادة .. وهذا هو اساس السيادة الحربية ولن تعوضه اي مهارة اخرى .. اذا فقد قدرته العقلية على القيادة .. لان القائد العظيم هو الذي يلهم قواته للقيام بما هو اكثر من الممكن ، وبذلك يستطيع احباط التقديرات العادية للخصم .. ويعتبر روميل في هذا المجال قائدا عظيما ، فقد استطاع ان يستلخص من قواته اثناء القتال اقصى طاقة ممكنة ، وهو اكبر واعظم من تقدير اي قائد ..

ويحدد روميل مكان القائد في المعركة .. فيقول : انه يجب على القائد ان يدرك ان مكانه ليس في الخلف مع هيئة اركان حربه ، وانما في الامام مع قواته ، فالجنود لا يشعرون بالصلة بينهم وبين قائد يجلس في الخلف في مقر قيادته ، والذي يرغبون فيه هو الاتصال به بالفعل ..



روميل

ومن السخف في القول ان واجب قائد الكتيبة وحده هو المحافظة على روح الرجال المعنوية .. كما اتضح انه كلما زادت الرتبة زاد اثر المثل المعطى ، وخصوصا في حالات الدمر والارهاق والانحلال .. او عندما يتطلب الامر مجهودا غير عادي ، فالمثل الذي يضربه القائد بوجوده تحت نفس الظروف يفعل المعجزات ، وخاصة لو كان على قدر من الذكاء يكون حينئذ قادرا على خلق اسطورة حول شخصه ..

وفي احدى محاضرات روميل في الكلية الحربية نصح الضباط .. قائلا: « كونوا امثلة لرجالكم في ادائكم لواجبكم في حياتكم الخاصة ... ويجب الا تراعوا انفسكم ابدا ، ويجب ان يرى جنودكم قدرتهم على تحمل المتاعب ، وحرمانكم لانفسكم ، ولتكونوا على الدوام مهذبين وعلى خلق كريم ... وعلموا مرؤوسيك ان يكونوا مثلكم ، وتفادوا الحدة المبالغ فيها في كلامكم والتي تبين ان لدى قائلكها عيوباً يرغب في اخفائها » ..

قواعد حرب الصحراء

اتخذت حرب الصحراء احدث مظاهرها في مسرح افريقيا .. لان القوات المقاتلة من الجانبين كانت تمثلها تشكيلات محملة بالكامل ، علاوة على انها حاربت في الصحراء المنبسطة ، وليس بها موانع طبيعية ، لذلك لم تفرض على استخدامهما اية قيود ، فأدى هذا الى فتح آفاق خيالية لامكانيات استخدامهما .. وقد كان مسرح الحرب في افريقيا هو المسرح الوحيد الذي امكن فيه تطبيق مبادئ الحرب الميكانيكية والمدركة التي درست نصوصها نظريا ..

● والمشاة المترجلة لا قيمة لها في مواجهة عدو محمل او مدرع الا اذا احتلت مواقع مجهزة .. واذا حدث اختراق او تطويق لهذه المواقع فسيكون من الصعب انسحابها امام هذا العدو المحمل، وسيصبح امامها فقط التشبث بمواقعها لآخر طلقة واخر رجل ..

ويضرب روميل على ذلك مثلا .. فيقول : كنا نحارب في بولونيا وغرب اوروبا خصوما دخلوا كل العمليات بعدد كبير من المشاة ، وبذا قيدوا انفسهم نتيجة للجمود التكتيكي الذي فرض عليهم مما ادى بهم الى كارثة، وخاصة في عمليات الانسحاب ، فقد اضطروا احيانا للدخول في عمليات لا تتصل بغرضهم الاساسي ، وذلك لوقف تقدمنا فقط .. ولكن بعد

اختراقنا لخطوط العدو في فرنسا اجتحننا فرق مشاة العدو بكل بساطة بقواتنا المحملة .. وكثيرا ما اضطروا لمواجهةنا في مواقع غير مناسبة تكتيكيا ، محاولين كسب الوقت اللازم لتفغية انسحاب المشاة ..

● والمدربات يجب ان تستر انسحاب القوات المترجلة .. وهذه التشكيلات سوف تسبب مصاعب كبيرة في اي انسحاب عام ، وقد اضطرت لنا شخصا لمثل هذا الاجراء اثناء انسحاب المحور من برقة ، عندما كانت المشاة الايطالية كلها وجانب من المشاة الالمانية بدون حاملات اطلاقا ، وكان علينا اما ان ننقلها بالدور بعدد عرباتنا المحدود او ان نحركها مترجلة ولم تتمكن المشاة الالمانية والايطالية من الانسحاب الا بشجاعة مدرعاتي التي غطت هذا الانسحاب ، لان عدونا المحمل كان يطاردنا باقصى سرعة .. هذا ويمكن ارجاع فشل جرازياني « قائد القوات الايطالية » اساسا الى ان الجزء الاكبر من الجيش الايطالي كان مكتوف الايدي عديم الحيلة في الصحراء المفتوحة لانه كان مترجلا ، بينما كان في مواجهة تشكيلات بريطانية اضعف بكثير ولكنها محملة بالكامل .. ونتج عن هذا ان القوات المحملة الايطالية دخلت في معركة مع العدو رغم ضعفها الظاهر وسحقت بالفعل وهي تدافع عن مشاتها .. المترجلة ..

وقد كانت القوات البريطانية على النقيض من قواتنا ، تتمتع بخفة الحركة الكاملة لركوبها السيارات ، وقد دارت كل معارك افريقيا الحاسمة تقريبا بين قوات خفيفة الحركة ، وخرجنا من هذه الحرب الميكانيكية البحتة بعدة مبادئ تختلف جذريا عن المبادئ التي يمكن تطبيقها في المسارح الاخرى ، اهمها :

● اذا تم حصار عدو بالكامل في ارض منبسطة وصالحة لمرور جميع انواع الحاملات في الصحراء سيؤدي لهذه النتائج :

اذا كان التشكيل محملا بالكامل ، فان الحصار سوف يجعله في موقف تكتيكي سيء جدا حتى ولو كان الحصار من ثلاث جهات .

سيضطر العدو للتخلي عن المنطقة التي يحتلها ، ولكن لا بد من تدمير العدو لان ذلك غرض مباشر لاية عملية ولكنه في بعض الاحيان يكون غرضا غير مباشر لسبب بسيط ، وهو ان اية قوة محملة ... اذا ظل بنؤها سليما تستطيع ان تخترق الحصار بتركيزها الشديد دفعة واحدة على نقطة ضعيفة فيه .. وهذا تكرر كثيرا في الصحراء ...

وامكننا تطبيقه .. وينتج عن هذا انه عند محاصرة العدو يمكن تدميره اذا ما توافر الاسي :

● عندما يكون غير محمل او اصبح ثابتا نظرا لافتقاره للوقود ..
او عندما تشمل قواته عناصر غير محملة .

● عندما تكون قيادة العدو غير ماهرة ، او عندما تقرر التضحية بتشكيل معين لانقاذ قوات أخرى .

● عندما تكون قوة العدو المقاتلة قد تحطمت بالفعل وسادت صفوفه الفوضى ..

وفيما عدا هذه الشروط فخصار العدو وتدميره لا يجوز تنفيذه الا بعد ان يتلقى العدو ضربات قاصمة في معارك متحركة ، بحيث يؤدي هذا الى تدمير التنظيم الرئيسي لقواته ...

ويستطرد روميل قائلا : وانا ساسمي كل العمليات التي غرضها تحطيم قوة العدو وقدرته على المقاومة بمعارك التعرية .. وفي الحرب الميكانيكية يجب ان يكون الهدف المباشر لكل الخطط التعرية المادية للجيش المعادي وتدمير هيكله التنظيمي ..

ومن الناحية التكتيكية فان معارك التعرية يخاض غمارها باكبر قدرة ممكنة من خفة الحركة ..

وهذه بعض الشروط الهامة التي لا بد ان يضمها كل من يخطط لهذه المعارك :

● يجب ان يتم تركيز الجهود لحشد قواتنا مكانا وزمانا ، وفي نفس الوقت نحاول تقسيم قوات العدو مكانا للقضاء عليها في اوقات مختلفة .

● خطوط المواصلات حاسمة للغاية .. يجب العمل على حماية خطوطنا مع ازعاج الحركة على خطوط مواصلات العدو ، والاحسن قطعها لو امكن ، فان اية عمليات في خطوط امداده ستؤدي الى انسحابه على الفور .

● المدرعات هي نواة الجيش الميكانيكي وكلها تدور في فلكها والتشكيلات الاخرى ليست الا مجرد اسلحة معاونة .. ولذلك فانه يجب خوض غمارها باستخدام وحدات تدمير الدبابات اما دبابتنا فتستخدم فقط في توجيه الضربة الحاسمة .

● يجب ان تبلغ تقارير الاستطلاع للقائد في اقصر وقت ممكن ليتخذ قراراته فورا وليقوم بتنفيذها في اسرع وقت وان سرعة رد الفعل تحسم مصير المعركة ، ولذا فعلى قادة القوات الميكانيكية ان يكونوا قريبين لاقصى درجة من قواتهم .

● سرعة الحركة من العوامل الحاسمة وتربط التنظيم للقوات يتطلب اهتماما شديدا .

● اخفاء النية هام جدا فانه يحقق المفاجأة لعملياتنا وبهذا نضيع على قيادة العدو استغلال الوقت اللازم لتتخذ اجراء مضادا لشيء لم يكن يتوقعه ... كما يجب استخدام كل وسائل الخداع لتجعل القائد المعادي مترددا مرتبكا لا يعرف التصرف بسرعة .

● بعد ان توجه للعدو ضربات قاصمة يستغل نجاحها لاجتياح وتدمير اجزاء كبرى من تشكيلاته المفككة وهنا نجد ان السرعة هي كل شيء ويجب عدم اعطاء العدو اي فرصة لتنظيم قواته ..

الغامرة والقامرة

يجب الاهتمام على وجه خاص بالنواحي الفنية والتنظيمية في حرب الصحراء .. وهي .. مثلا ..

- ان اهم صفات الدبابة هي قدرتها على المناورة وسرعتها ومدفعتها البعيد المدى لان الجانب الحائز للمدفع الاكبر كالملاكم ذي الذراع الاطول يستطيع ان يسبق عدوه بالضرب وثقل الدروع لا يمكن ان تعوضها قوة المدافع . ويضاف الى هذا ان ثقل الدروع لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق خفة الحركة والسرعة وكتنهما متطلبات تكتيكية ..

- يجب ان تكون المدفعية بعيدة المدى ويجب ان تكون قبل كل شيء خفيفة الحركة وان تكون قادرة على حمل كمية كبيرة من الذخيرة معها .

- يجب ان تستخدم المشاة فقط في احتلال المواقع الدفاعية بفرض منع العدو من القيام بعمليات معينة او لارغامه على عمليات معينة وبمجرد الوصول الى هذا الغرض يجب ان تكون المشاة قادرة على الهرب بسرعة لاستخدامها في مكان اخر .. ولذا يجب ان تكون خفيفة الحركة وان تكون مزودة بعناد يمكنها من احتلال مواقع دفاعية بسرعة .

ومن أهم ما تعرضت له مذكرات روميل فقط القرارات الجريئة ..
فيقول في مذكراته ..

من واقع خبرتي وجدت ان القرارات الجريئة تؤدي الى النصر ولكن يجب ان نميز بين الجراءة والمقامرة العسكرية .. فالعملية الجريئة هي العملية التي لا يكون نجاحها مؤكدا وانما اذا فشلت فانها تترك للقائد القوات الكافية لمواجهة اي موقف قد ينتج عن هذا الفشل .

اما المقامرة فهي عملية قد تؤدي للنصر او للدمار الكامل للقوات .. وقد تنجم احيانا مواقف تبرر اللجوء الى المقامرة بالفعل كما يحدث عندما نتأكد ان الهزيمة ستتم حسب سير الاحداث الطبيعي وان العملية عملية وقت وينتج عن هذا ان كسب الوقت اصبح غير ذي موضوع وعليه فلا بد من اللجوء الى عملية تنطوي على مخاطرة كبيرة كحل او للحد من الموقف الميؤس منه ..

والفرصة الوحيدة التي يمكن للقائد ان يقرر مقدما سير المعركة معها هي عندما تكون قواته متفوقة لدرجة ان النصر يصبح مفروغا منه ومن ثم تصبح المسألة ليست مسألة اسلوب .. وانما مسألة امكانيات ولكن حتى هذا الموقف اظن انه من الافضل فيه العمل على تحقيق الاغراض الكبرى وليست التحرك ببطء في ميدان المعركة بطريقة حذرة مع تأمين كل حركة ضد اي عمل معاد ..

وفي العادة لا يوجد حل مثالي للعمليات العسكرية فكل خطة لها مميزاتها وعيوبها ويجب اختيار الخطة التي تعتبر احسن الحلول الممكنة واتباعها بكل تصميم .. مع قبول النتائج التي تترتب عليها ولو كانت سيئة ..

اهمية الدروس المستفادة

لا بد من دراسة ظروف كل معركة والخروج منها بالدروس المستفادة .. واذا احس القائد ان خصمه لم يستفد من الدروس المستفادة .. فانه يتأكد من النصر معركة بعد اخرى .. وهذا ما حدث لروميل ، عندما وقع تحت يده مقال كتبه ليدل هارت عن القوات البريطانية .. كتب فيه .. ان القيادة البريطانية لم تصل للدروس المستفادة من هزيمتهم في عامي ٤١ و ٤٢ لماذا؟

« لان الشعور المعادي شيء مستحدث وهو وضع طبيعي بالنسبة لضباط اي جيش نحنا نحوا ثابتا على اساليب تقليدية ثابتة .. وقد كان هذا هو وضع الجيش البروسي الذي هزمه نابليون مثلا . وهذا الموقف كان واضحا ايضا في الدوائر الانكليزية العتيقة التي فقد فيها القادة امكان الوصول للواقع نظرا لتشبههم الفكري بالنظريات المعقدة . فقد صار تجهيز عقيدة تكتيكية والتفكير الوحيد المقبول لدى هؤلاء هو التفكير المبني على اساس تقليدية .

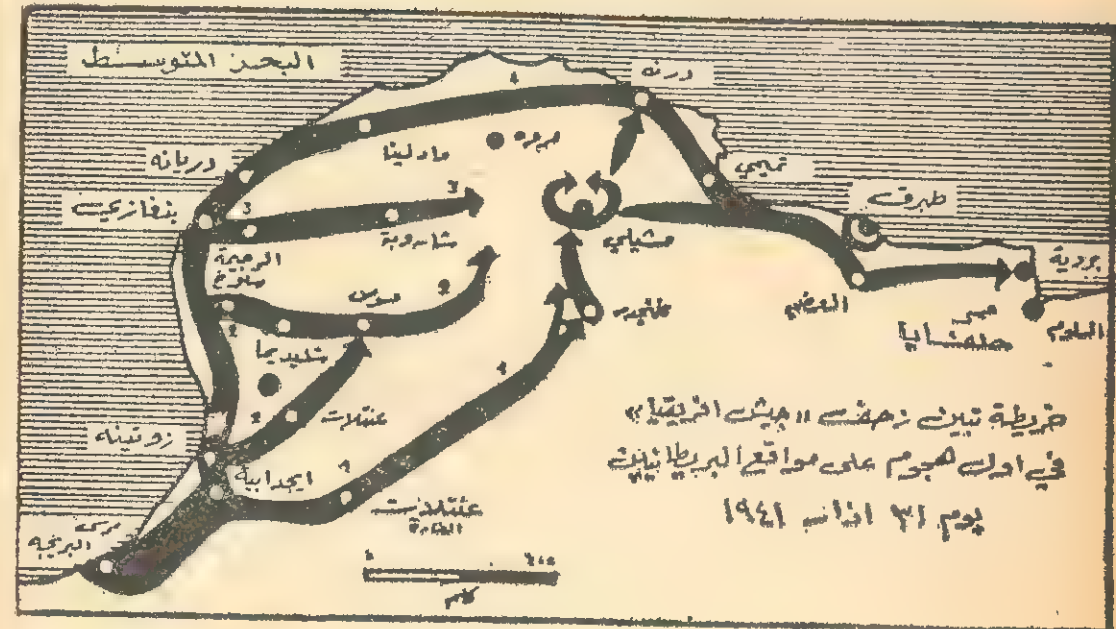
وكل شيء خارج عن هذه القواعد يعتبر في نظرهم مقامرة ولو ادت للنجاح فانها ستعتبر نتيجة الحظ او المصادفة وهذا الجمود الفكري يخلق افكارا ثابتة لا تتغير وعواقب هذا الاسلوب في الحرب وخيمة .. فان قواعد الحرب نفسها تتعرض للتقدم الفني وتناثر به وما كان يسري في سنة ١٤ لا يسري في الحرب الثانية الا عندما تكون اغلب التشكيلات من كلا الجانبين غير محملة .. وعندما يكون الحال هكذا فان المدرعات تحل محل الخيالة في واجباتها بفرض سبق المشاة ثم عزلها .. وهذا الكلام بالطبع لا ينطبق على قوتين محملتين ..

ومهما كانت المحافظة على التقاليد مطلوبة في مجال القيادة العسكرية ... فليس واجب القيادة ان تبتكر اساليب جديدة تقضي على القديمة فحسب بل عليهم ان يدركوا تماما ان مجالات الحرب تتغير باستمرار التقدم الفني .

ولهذا يجب على قائد الجيش الحديث ان يحرر نفسه من الاساليب الروتينية وان يظهر تفهمه للامور الفنية لانه يجب ان يكون قادرا على الدوام على التمييز بين افكاره عن الحرب والامر الواقع والاحتمالات الممكنة في اللحظة التي يفكر فيها .. ولو ان الظروف تطلبت ان يقوم القائد بقلب افكاره راسا على عقب لوجب عليه ان يكون قادرا على ذلك .

خالد ونابليون والصحراء

في دراسة علمية اجراها احد الضباط العرب في كلية الاركان لعملية اجتياز خالد بن الوليد ونابليون الصحراء واسلوب كل منهما .. قال .. عن خالد .. ان قوته سارت من الحيرة الى وادي اليرموك وقطع مسافة قطع مسافة ١٥٠ ميلا من القنطرة الى غزة اي عبور سيناء في خمسة ٥٦٠ ميلا من عين التمر الى مرج راهط في ثمانية عشر يوما . اما نابليون فقد وعشرين يوما .. وقد نجح خالد بن الوليد .. وفشل نابليون في هدفه



خريطة الحرب في شمالي افريقيا ..

.. بالرغم من الفارق الكبير في المسافة بين ال ٥٦٠ ميلا و ١٥٠ ميلا. والسبب ان جنود خالد بن الوليد لديهم الصلابة والمناعة والقدرة على احتمال المصاعب والمشاق ومما ساعدهم على تحمل مشاق الصحراء كونهم عربا ساعدهم على تحمل مشاق الصحراء كونهم عربا خلقوا في الجزيرة وللعرب مزايا خاصة في الصحراء لا نجدها في غيرهم من الشعوب .. كما ان سمو عقيدتهم وتمسكهم الشديد بها سهل لهم ذلك . ولكن بالنسبة لنابليون فقد ذهبت الرياح والرمال العربية بضبط وربط الجيش الفرنسي .. ويستدل على ذلك بقول احد قادة الالوية الفرنسية .. لقد سقط الجنود من شدة الحرارة واطلق الكثيرون النار على انفسهم للتخلص من المشقة اما الضبط والربط فقد ذهب مع الريح بحيث اذا اقترب احد الضباط الراكبين من الجنود السائرين .. كانوا يوجهون اليه كلمات جارحة .. وقد ادى ذلك الى ارتكاب الجنود عدة اعمال خطيرة .. منها انهم ثقبوا اوعية المياه بما فيها اوعية القائد .. وسرقوا حصان قائد الخيالة وذبحوه واكلوه .. تمردوا على كليبر عندما ضلوا الطريق بين

العرش وخان يونس .. قام الجنود بسلب البيوت في غزة .. واخيرا الساح للجنود من قادتهم بسبب وشتهم نابليون .. اما خالد بن الوليد ، فقد امتاز بخبرات فائقة ادت الى نجاحه .. منها: - تقديره للموقف الصائب وقراره الحاسم السريع .. - جرأته النادرة واندفاعه في سلوك طريق الصحراء المهلكة . - ارادته الصلبة وايمانه القوي والصبر الذي هو اهم مزاياه . - فطنته العسكرية واطلاعه على القواعد الحربية ومشاركته لجنوده في كافة مشاكلهم وصعوباتهم ..

بعكس نابليون الذي كان يجهل الصعوبات التي تواجه الجيوش في الصحراء .. فاتخذ قراره باجتياز الصحراء بدون تقدير موقف دقيق ومعرفة صحيحة بوضع الصحراء .. كما لم يظهر له اي تأثير شخصي على جنوده اثناء تحركهم ..

ومن اهم القرارات التي اتخذها خالد في عبور الصحراء .. او في حرب الصحراء بوجه خاص هي نفس القرارات الحربية التي اتخذها روميل .. ونفس ما كتبه مع الفارق بين القوات الميكانيكية وقوات الخيالة .. فكلتاهما قوات محملة ..

قرر خالد ان تكون جميع القوى من الخيالة .. نظرا لما تمتاز به من خفة الحركة والقابلية على السير فوق الرمال الكثيفة والمرونة والسرعة في الحصول على المعلومات .. فقد ادرك انه لا محل للمشاة البطيئة في اي نصيب من المساهمة في حرب الصحراء ، وانه سيكون عبئا ثقيلا عليه يحدد قابليته للحركة ولذا كانت قوته متألفة من ٩ آلاف فارس كما تخلص من الاثقال والضعفاء والنساء ..

بعكس نابليون الذي لم يدرك استخدام الخيالة .. بل اعتمد على المشاة اذ شكل منهم ٤ فرق كل منها ٢٥٠٠ واستصحب معه ٨٠٠ خيال و ٨٨ هجانا مما يدل على عدم تفهمه الصحيح لمبادئ حروب الصحراء ... والصعوبات التي تواجه قوات المشاة ..

واختلاف كبير ايضا بين معاملة خالد بن الوليد ونابليون لاعدائهما. فكان خالد بارا بالشيوخ والضعفاء رحيم بالنساء متوددا الى القبائل فاستمال بذلك قلوبهم بعكس نابليون الذي شهد جنده ينهبون غزة تحت سمعه وبصره .. بل انه هو نفسه اباح لهم يافا يومين .. فمثل الجنود من الفظائع ما لم يتصوره هو نفسه .. وقد ارتكب بنفسه افظع جرم حينما امر باعدام ثلاثة آلاف اسير .. بحجة انه ليس لديه ما يطعمهم وكان

خالد بارا بأصحابه حريصا على راحتهم مشاركا لهم اتعابهم وكان بين وقت وآخر يشدهم بخطب تقوى همهم لاحتمال مكاره الصحراء وليصبروا على شظف العيش ولكيلا يبالوا بالعطش القاتل .. اما نابليون .. فكانت معاملته قاسية ومنافية احيانا للمبادئ الانسانية فقد كان يعجل بقتل جرحاه او مرضاه الخطرين بجراحات من السم او الافيون .. وهكذا شكل صعوبات القتال في الصحراء امتحانا عسيرا لكفاءة القادة في الميدان ولما تتطلبه من ارادة قوية وسبق نظر بعيد وتصور واسع ودراية وخبرة عسكرية .. ولقد ادرك صعوبات الحرب في الصحراء ، فذلها بتقدير موقف لانتخاب احسن المسالك التي تؤدي الى هدفه ، وبتدبير متقنة لتأمين اجتياز قوته للصحراء كتأمين الماء وحفر الابار وخفة الحركة والمباغتة .. وهي معظم ما رواه روميل في مذكراته . هذه هي حرب الصحراء .. بأساليبها وتكتيكها واستراتيجيتها .. كما رأها اكبر قادة التاريخ .. واعظم من حارب في الصحراء .. روميل في مذكراته .. وخالد بن الوليد في زمنه ..



خريطة العلمين في شمالي افريقيا

يوم العار في اميركا

الهجوم

يطلقون في الغرب على اليوم السابع من شهر كانون الاول (يوم العار) .. فيه هاجم الطيران الياباني الاسطول الاميركي الذي يعمل في المحيط الباسفيكي في بيرل هاربور . وفي نفس اللحظة كانت اسراب يابانية اخرى تهاجم سنغافورة ومانيلا وسنغهاي وهونج كونج ، بينما كانت قوات الجيش الياباني تحتل شواطئ تايلاند والملايو

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية في ايلول ١٩٣٩ اخذت الولايات المتحدة موقف المتفرج . بل انه عندما بدأت اليابان عام ١٩٣٧ في احتلال الاراضي الصينية ، كانت تعتمد على الولايات المتحدة في استيراد المواد الاستراتيجية ، ولم يكن موقف امريكا غريبا ، فكل ما كانت تريده هو ان تحول انظار اليابان عن مصالحها في المحيط الهادي .

وفي حزيران ١٩٤١ بدأت القوات الالمانية في غزو اراضي الاتحاد السوفييتي ، فأتاح هذا للقوات اليابانية الفرصة لتتوغل في جنوب شرقي اسيا . ومن هنا فقد تهددت المصالح الامبريالية المباشرة للولايات المتحدة وبريطانيا وهولندا : وهكذا اخذت امريكا تتعد عن موقف الحياد الذي التزمته منذ بداية الحرب ، لتأخذ جانب الحلفاء . فجمدت ارصدة اليابان لديها ، ومنعت عنها البترول الذي كانت تستورده منها . وهنا اتخذ مجلس وزراء اليابان قرارا باحتلال مناطق جديدة تتوفر فيها المواد الخام



ادميرال ياماموتو ادميرال ناجاتو ادميرال ناجامو جنرال توجو

القادة اليابانيون الذين رسموا خطة تحطيم الاسطول الاميركي في الباسفيكي ..

اللازمة ، وهنا قال « كورديل هال » وزير خارجية امريكا :
« لن توقفهم الا القوة . والمساءلة هي كيف يمكننا تأجيل المسألة ريثما
يتضح الموقف العسكري في اوربا » .
وهنا طلب « الامير كونوي » رئيس وزراء اليابان الاجتماع « بروفات »
شخصيا خلال آب وايلول ١٩٤١ . ولكن روزفلت قال انه لا يرى هناك اي
فائدة من هذا الاجتماع ما دامت اليابان مصممة على حروبها التوسعية
وفي تشرين الاول حدث تطور هام في اليابان ، فقد حل « توجو »
وزير الحرب الياباني محل « كونوي » ، وطلب وزير الخارجية انتظار
المحادثات . وفي نفس اللحظة ... كان الاسطول الياباني يعد ترتيباته
النهائية لضربة قاصمة ، ولم تكن المحادثات السياسية الا غطاء للفوز
المفاجيء . لان امريكا كانت تشتت انتباهها عن حرب الصين وانسحاب جيوش
اليابان من الهند الصينية ..
اذن لا مفر من الحرب ..

في اليابان

وكان حجر الزاوية في سياسة اليابان هو السيطرة على الشرق
الاقصى . وقد بدأت محاولتها لاحتلال الصين قبل اندلاع الحرب العالمية
... وكان احتلال القوات الالمانية لقرب اوربا في ربيع ١٩٤٠ فرصة
ذهبية لليابان ، بعد هزيمة فرنسا وهولندا ، القوتين الاستعمارييتين اللتين
كانتا تقفان في وجه التوسع الياباني في اسيا . اما بريطانيا فقد كانت
على مشارف الهزيمة . وهكذا سنحت الفرصة للاستيلاء على الملايو وبورما
والهند الصينية والمستعمرات الهولندية ..
وعندما بدأ الصدام بمصالح الولايات المتحدة ، استعد الجيش الياباني

لهجوم مفاجيء على القوات الاميركية . واقترح الادميرال « ياماموتو » قائد
البحرية الهجوم على قاعدة الاسطول الاميركي في المحيط الهادئ في بيرل
هاربور في جزيرة اوهايو ، وتبعد عن اليابان ٣٤٠٠ ميل .
وفي سرية تامة بدأ قادة الاسطول في دراسة الخطة منذ كانون الاول ١٩٤٠ .
وفي نيسان ١٩٤١ كانت الخطة جاهزة . لقد كان رأي « ياماموتو » ان
امل اليابان الوحيد في نجاح سريع ، تبدأ بعده مفاوضات مع الولايات
المتحدة .

ولقد كان في الخطة بعد ضرب (بيرل هاربور) ان يقوم سلاح
الطيران الياباني من فورموزا لتحطيم الطيران الاميركي في الفلبين وان يقوم
بعدة عمليات اخرى ، فتسقط (مانيل) بعد هذه العمليات في خمسين
يوما ، وسنغافورة في مائة يوم والمستعمرات الهولندية في مائة وخمسين
يوما ، وهكذا تتم سيطرة اليابان على الشرق الاقصى ..

ضربة بيرل هاربور

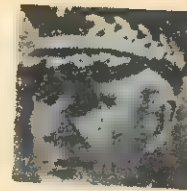
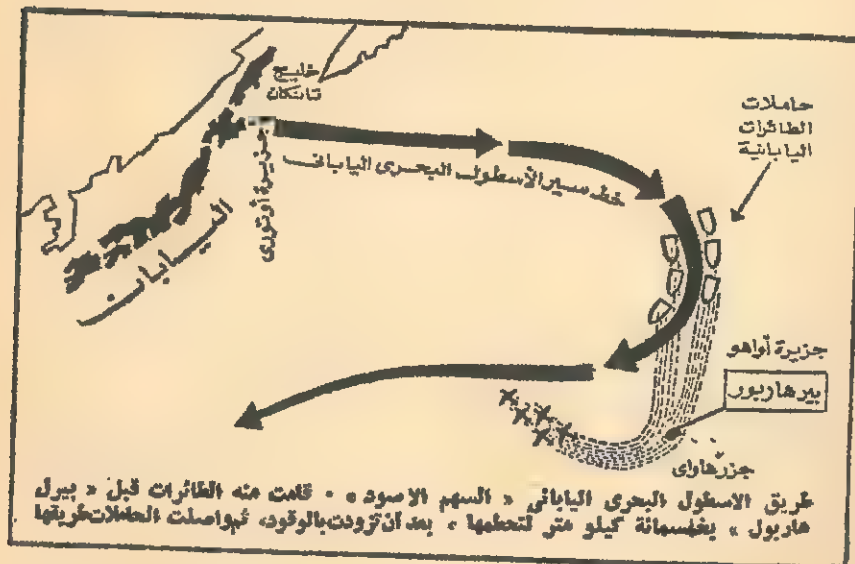
وكان على الاسطول الياباني ان يقوم بتفطية العمليات التي كان يقوم
بها الجيش من الاستيلاء على تايلاند والملايو والفلبين والمستعمرات الهولندية
لقد كان تحت امرة « ياماموتو » في الاسطول ست حاملات طائرات
مجهزة باحدث الطائرات في العالم . وكلف « مينورو جيندا » بطل حرب
الصين بدراسة امكانية القيام بهجوم على بيرل هاربور . فاقترح (جيندا)
خطة تشترك فيها حاملات الطائرات الست .. وهنا اصدر « ياماموتو »
اوامره ليبدأ التدريب - بالطائرات والمدمرات والطوربيدات - على الهجوم
في خليج مفلق ...

وبدا الفنيون في انتاج طوربيدات تلقى من مسافة اعلى من المسافة
المعتادة التي تلقى منها الطائرات ، لتخترق الماء في خط افقي متجنب
القوس العميق منذ بداية الضرب . ولم يمر منتصف تشرين الثاني حتى كان
هذا النوع من الطوربيدات قد انتج للعمل في مياه بيرل هاربور الضحلة ..
وسقطت حكومة « كونوي » في ١٦ تشرين الاول وحلت محلها حكومة
« الجنرال توجو » . وهنا ارسلت اشارات تحذير من واشنطن الى الادميرال
كيميل « قائد البحرية في هاواي و » الجنرال شورت « قائد قوات المشاة
فيها . ولكن الذي جعل هذه الاشارات غير ذات موضوع هو اعتقاد
واشنطن ان اليابان ستهاجم على المناطق الروسية . وقد ايدت هذا بالفصل
المخابرات الاميركية ..

- ٦ حاملات طائرات
- ٣ مدمرات
- ٢ سفينتين حربيين
- ٣ طرادات
- ٨ ناقلات بترول

وبدأت كلها تتحرك الى خليج تانكان بجزيرة اوتوري اليابانية في الشمال . وفرض عليها جميعا صمت رهيب ، فلم ترسل اي رسائل باللاسلكي منذ بداية رحلتها ، بينما كانت قطع الاسطول الياباني الاخرى، ترسل رسائلها كالمعتاد حتى تلتقطها اجهزة المخابرات الاميركية . فلاتشك في امرها ولا تفتن لسرها ..

وكذلك تم الهجوم المروع وفوجيء الاميركيون به فذهلوا وطاشوا وروعوا ترويعا عظيما .. وقضى اليابانيون على الاسطول السابع الاميركي في المحيط الباسيفيكي وسيطروا على البحر ومضوا يستولون على كل المستعمرات الاميركية والانكليزية والهولندية واحدة بعد الاخرى حتى تمكن الاميركيون منهم في اخر الامر ..



ادميرال كيميل



جنرال شورت



روزلت يعلن الحرب

صدرت اوامر الى الجيش الاميركي بالاستعداد وتوقع اي شيء ولكنهم لم ينفذوها في بيرل هاربور

اما « الجنرال شورت » ، فقد كان يستبعد احتمال قيام اليابان بهجوم على الممتلكات الاميركية ، اذ كان يعتقد ان وجود عدد كبير من اليابانيين من سكان هاواي سيمنع اليابان من الهجوم عليها ..

ورغم ذلك بدأت وحدات ردار تصل الى هاواي وتقام حول الجزيرة ، ولكن لم يعمل عليها خبراء ، بل كانت تستخدم للتدريب ، ورغم ذلك ايضا قال الجنرال شورت ان اجهزة التحذير من الهجوم الجوي على اهبة الاستعداد .

وكانت السفن الاميركية قد حولت الى مواني الدول الصديقة الاخرى . وصدرت التحذيرات الى كل القواعد والمطارات في المنطقة . وقام «الادميرال كيميل » على وجه السرعة بتعزيز قوة الفواصات والمخازن والذخيرة وضاعف من دوريات الطائرات الاستكشافية . واتخذت الاحتياطات لتجنب اي ضربة مفاجئة للفواصات في مناطق التدريب . ورغم ذلك فانه يبدو ان فكرة هجوم جوي على بيرل هاربور لم تخطر على بال احد ..

الاسطول الياباني

في نفس الوقت كان هناك نموذج لميناء بيرل هاربور في حاملية الطائرات « اكاجي » التي يرتفع عليها علم الادميرال « ناجومو » قائد قوة الاسطول الياباني . والتف الطيارون حول النموذج يتدارسون . وبدأت سلسلة من التدريبات العنيفة ، وفي اول تشرين الثاني صدر قرار عسكري بالعمليّة التي اطلق عليها اسم « الاحد ٧ كانون الاول » . وبين ٨ و ١٠ تشرين الثاني تسللت سفن الادميرال « ناجومو » بشكل مضلل حتى لا تراها عين العدو وكانت مكونة من :

واذا كان هتلر قد خسر الحرب فبسبب حربه مع روسيا وبسبب محاربته لبردها وعواصفها قبل جيوشها ...

كما يجب ان لا ننسى معركتي لينغراد وستالينغراد اللتين خاضتهما الجيوش الهتلرية ، وما نزل بالامان من الهول فيهما لندرك اي عمل قام به هتلر فهوى تحت اثقال الصدمة الكاسحة والضربة العظيمة ..
فقد نشر مؤخرا في نيويورك كتاب من تأليف الصحفي الاميركي هاريسون سالزبوري عنوانه (التسعمائة يوم) وهي المدة التي استمر فيها حصار لينغراد ، روى فيه الكاتب قصة حصار لم يسبق ان حدث مثله في التاريخ ..

فعلى الرغم من ان مليون ونصف مليون شخص ممن سكان المدينة الثلاثة ملايين لقوا حتفهم في اثناء هذا الحصار ، وعلى الرغم من المجاعة التي فتكت بالسكان فتكا ذريعا ، حتى ان بعضهم اكلوا لحوم البشر ، فقد رفضت هذه المدينة الاستسلام وظلت تقاوم حتى النهاية ..

العدو على ابواب المدينة

في ٣٠ آب من عام ١٩٤١ ، تمكن جيش نازي جبار من احتلال مدينة ماغا الروسية الصغيرة ، وهي محطة للسكك الحديدية تقع شرقي البحر البلطيق ، وبذلك بتر النازيون الحلقة الاخيرة التي كانت تربط لينينغراد ببقية ارجاء الاتحاد السوفياتي ، واحاطوا بطوق فولاذي من الرجال والمدافع والمدافع المدينة الجميلة التي بناها بطرس الاكبر . وبذلك بدأت قصة افزع حصار في التاريخ المعاصر .

وتشتمل فصول التاريخ الحديث على مآسي حصار عديدة تعرضت لها مدن مشهورة ، ولكن هذه المآسي كلها ، على اهميتها وكثرتها تبدو شيئا ثانويا ازاء الحصار الذي تعرضت له لينينغراد في صيف عام ١٩٤١ .
ومن اشهر عمليات الحصار في التاريخ الحديث حصار باريس الذي استمر ١٢١ يوما خلال حرب عام ١٨٧٠ بين فرنسا وبروسيا حيث هلك ما لا يقل عن ٣٠ الف شخص ، كما ان هناك الهجوم الهتلري على ستالينغراد حيث قتل حوالي نصف مليون شخص ، نتيجة لحملة المانية متواصلة استمرت ستة أشهر .
ولكن لينينغراد كانت شيئا مختلفا تماما . فعندما انتهى الحصار الذي



معركة روسيا الزحف على لينينغراد

قصة الحصار الذي مات فيه مليون ونصف من سكان المدينة

الزحف

كان على هتلر ان يضرب روسيا قبل ان تضربه .. هذا ما كان عليه اعتقاده ..
وكان ان ضربها وتوغل في ارضها وظفر بانتصارات لم يكن يحلم بها بعض قواده ...
بل ان بعضهم لم يكن يتوقع ان تكون بمثل هذه الروعة والخطورة ..
ولكن القوات الالمانية كانت تحارب حربا خاسرة ، فكلما اوغلت في ارض العدو كلما امتدت مواصلاتها (وتوزعت قواها) ..
وكلما اقترب الشتاء ، توقفت عن الحرب ، وراحت تحارب البرد والصقيع بدلا من الروس ..

ضربه عليها الالمان بعد سنتين ونصف السنة ، كان مليون ونصف مليون من سكانها قد اصبحوا من سكان القبور نتيجة للمجاعة التي فتكت بالمدينة فتكا ذريعا ، او نتيجة للمدافع او الطائرات الالمانية التي كانت تحصد الارواح باستمرار .

ستالين يخفي الوثائق

وعلى الرغم من الوقفة البطولية التي وقفتها لينينغراد في وجود الغزاة النازيين حتى طردتهم في النهاية ولم تمكنهم من دخول ارضها ودوس تربتها ، فمن الغريب انه لم يكتب الا القليل عن قصة حصار المدينة الجبارة . ويقول المؤلف سالز بوري ان ذلك ربما كان عائدا الى سبب هام ، وهو ان ستالين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي في ذلك الحين ، امر باتلاف عدد كبير من الوثائق الخاصة بهذا الحصار او اخفائها وطمسها .

ولكن المؤلف استطاع اثناء عمله طيلة ست سنوات كمراسل صحفي في موسكو ، ان يعثر على الوثائق او على قسم كبير منها ، بعد وفاة ستالين . وقد سمحت له الحكومة السوفياتية بالاطلاع عليها وكذلك مقابلة عدد كبير من سكان لينينغراد الذين عاشوا المأساة . . ومن هذا كله تجمعت لديه معلومات كافية للكتاب الذي أصدره بعنوان « التسعمائة يوم . . قصة حصار لينينغراد » .

ويتحدث الكاتب بشعور من المحبة عن لينينغراد التي كانت تعرف باسم بطرسبورغ حتى عام ١٩١٨ عندما اطيح بنظام القيصرية ، وجاءت الثورة البلشفية فاطلقت عليها اسم لينينغراد تخليدا لذكرى لينين .

وحتى ذلك العام كانت لينينغراد او « بطرسبورغ » عاصمة لروسيا ولذلك كان من الطبيعي ان تضم اعظم امجاد روسيا القيصرية واروع اثارها الادبية . . ففيها عاش القيصرية وفيها ظهر ادباء روسيا مثل بوشكين ودوستفسكي ، لدرجة انها اشتهرت باسم « باريس البلطيق » ، وكان هتلر يعتبر ان الاستيلاء عليها سيمكنه من تحقيق نصر عسكري ومعنوي كبير على الاتحاد السوفياتي .

عملية « بارباروسا »

وعندما اطلق الزعيم النازي جيوشه ضدها في شهر حزيران من عام ١٩٤١ للقيام بالعملية التي عرفت باسم « عملية بارباروسا » كان يتصور انه

ان تمضي ثلاثة اشهر حتى تجثو المدينة العظيمة تحت قدميه ، فيتمكن من استعراض جنوده في ميادينها الشهيرة ويذل السوفيات . . ولكن المقاومة الباسلة التي ابدتها المدينة حطمت احلام هتلر ولم يستطع دخولها فقرر بدلا من ذلك ان يمحوها من الوجود ، كما اعلن بلاغ رسمي صادر عن القيادة الالمانية العليا في ذلك الحين والواقع ان هتلر كاد يحقق هدفه لا باجتياح لينينغراد فحسب ، بل حتى باجتياح الاتحاد السوفياتي كله ، ويعود ذلك بصورة رئيسية الى موقف ستالين .

ويقول الكتاب الاميركي : لقد كان الزعيم السوفياتي يعتقد ان الالمان - الذين كانوا حلفاء له حتى ذلك الوقت - لا يمكن ان يفكروا بفزو بلاده . وعندما قيل له ان النازيين يستعدون للهجوم على روسيا فعلا رفض ان يصدق ذلك . وحتى عندما ابلغ ان هناك حشدا من زهاء اربعة ملايين وربع مليون جندي الماني على حدود الاتحاد السوفياتي ظل غير مصدق ، ولم يستفك من غفلته الا بعد ان كانت الجيوش النازية قد اقتحمت الاراضي السوفياتية وسحقت ١٤ فرقة من فرقها غير المستعدة التي اخذت بفتة .

ولم يستطع ستالين تدارك الموقف وايقاف الزحف النازي الا بعد ان كان النازيون قد بلغوا مشارف لينينغراد وطوقوها ولم يبق للمدينة سوى منفذ ضيق يقع الى الجانب الشمالي الشرقي منها عبر بحيرة لادوغا باتجاه فنلندا .

بداية المجاعة

وعندما بدأ الحصار استهلك سكان المدينة الكميات القليلة من الاغذية المحفوظة فيها . . وجاءت غارات طائرات السلاح الجوي الالمانسي المتواصلة لتحيل اطنانا عديدة من السكر والارز والطحين واللحوم الى اعمدة كثيفة من الدخان ، وساء الحال فاضطرت السلطات المشرفة على المدينة الى تقنين المواد الغذائية وتخفيف الحصص الموزعة المرة تلو المرة لدرجة ان الاهالي اصبحوا لا تتناولون اكثر من ١٥٠ وحدة حرارية من الاطعمة يوميا ، اي اقل من عشر الكمية اللازمة لحياة الانسان ، ولكي يعوضوا عن ذلك بدأوا يقتاتون بالاعشاب والحشائش ونشارة الخشب ومادة « السيلولوز » والديدان والحشرات .

ولم تمض فترة قصيرة حتى اختفت الكلاب والقطط من شوارع

المدينة ، فقد ذبحها السكان ليأكلوا لحومها .. وعندما كان هؤلاء يشاهدون حصانا شاردا فارا من العمل مع الجيش كانوا يسرعون للامساك به وذبحه وتقاسم لحمه .

وفي المراحل الاخيرة من المجاعة بدأ المواطنون يخبئون اطفالهم ويمنعونهم من الخروج الى الشوارع خوفا من ان ينقض عليهم الجوع فيذبحهم ويأكلوا لحومهم .

والواقع انه وقعت عدة حوادث ذبح فيها اشخاص في لينينغراد واكلت لحومهم .. ولم تكن اللحوم التي كانت تباع في الاحياء الفقيرة من المدينة خالية من اللحم البشري .

ويروي سالز بوري ان السلطات كانت تكافح اكلة لحوم البشر بصرامة . وقد حدث مرة ان اعدم اثنان رميا بالرصاص لاكلهما لحوم البشر .. وبعد ذلك بقليل وجد الجنود الذين اعدموهم جثث خمسة اشخاص معلقة في احد البيوت بالكلايات .. تماما كما تعلق الخراف المذبوحة .

البرد القاتل

وكان شتاء عام ١٩٤١ - ١٩٤٢ ، من اقسى الفصول التي شهدتها لينينغراد في تاريخها ، فقد كان معدل درجة الحرارة في شهر كانون الثاني اربعة تحت الصفر . وكان الناس يموتون اما من البرد او المجاعة في بيوتهم .. وعلى الرغم من ذلك فان اقاربهم المتعبين الضعفاء كانوا يتركونهم حيث هم ، سواء ماتوا في فراشهم ام على موائدهم ام وهم جلوس على كراسيهم قرب مدافئ باردة .

وفضلا عن ذلك كان الرجال والنساء يسقطون موتى وهم يسيرون في الشوارع نتيجة الجوع والبرد والاعياء ، وكثيرا ما كانت تظل جثثهم ملقاة في الشارع دون ان يلمسها احد اسابيع عديدة .

صوت عجيب

وجاء حين من الزمن فكر فيه ستالين بالتخلي عن المدينة ، ولكنه بدلا من ان يترك الالمان يحتلوها كاملة ، امر الحامية العسكرية المدافعة عنها بوضع الالغام تحت جميع قصورها وجسورها وابنياتها وموانئها ، ولم يكن الامر

يحتاج الا الى كبسة زر لتنسف المدينة وتمحي من الوجود ، ولكن الزر الذي كان سكان لينينغراد يطلقون عليه اسم « آلة جهنم الستالينية » لم يكبس ابدا .

ففي هذه الاثناء كانت القوات النازية قد بدأت تخور ، وسحب قسم كبير منها الى جبهات اخرى ، وفي الوقت نفسه بقي عدد كاف من افراد الجيش الاحمر والمتطوعين المدنيين في المدينة للدفاع عنها وابقاء الجيوش التي تحاصرها خارجها . واكتفى الالمان في غضون ذلك بمهاجمة المدينة المحاصرة بالمدفعية متصورين ان المجاعة ستحملها على الاستسلام .

ولكن حتى المجاعة لم تقنع اهالي المدينة بالاسلة بالركوع ، فقد صمدوا وقاوموا ورفضوا السماح لجندي واحد من جنود الاعداء بان يطا ارضهم . وقد افلحت ارادة المقاومة من جهة « وطريق الحياة » من جهة اخرى ،

في رد الفزاة . ولم يكن هذا الطريق سوى بحيرة لادوغا نفسها . فقد استغل الروس تجمدها التام في فصل الشتاء واستخدموها كطريق لارسال المؤن والجنود والدبابات والشاحنات الى المدينة المحاصرة .

وفي نهاية عام ١٩٤٣ ، كان الروس قد استطاعوا بناء قوة جبارة في المدينة يبلغ تعدادها مليونا و ٢٠٠ الف جندي استطاعت القيام بهجوم ناجح مضاد على الجيوش الهتلرية وردها عن المدينة .

وفي ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٤ سحقت الجيوش الهتلرية ورفع الحصار عن المدينة بالاسلة بعد ان ظل مفروضا عليها ٩٠٠ يوم كاملة .

ولقد تحدثت الشاعرة السوفياتية « اولغا بوغولتس » التي كانت في لينينغراد طوال مدة الحصار عن احوال تلك الايام والساعات الرهيبة فقالت :

اسطورة المقاومة

ليس بيننا من لم يسمح باسطورة حصار وتدمير مدينة نومانس الاسبانية التي رفض اهله جميعا الاستسلام ، فماتوا جوعا وعطشا ، ولم يبق منهم على قيد الحياة سوى غلام . وحين احتل الفزاة المدينة الميتةلقى هذا الغلام بنفسه من برج عال مفضلا الموت على الاستسلام ، ودخلت هذه المدينة في التاريخ لتصبح اسطورة من اساطير المقاومة والنضال .

ورغم اهمية هذه الاسطورة ، فان رسالة اهالي لينينغراد وقوة تحملهم اثناء الحصار النازي لم يكن لهما مثيل في التاريخ ، ولم يكن ذلك عائدا الى كون مدينتنا شديدة التحصين . فقد كنا نعلم بان هتلر كان يود ازالة

لينينغراد من الوجود ، وكان يقدر بان المدينة ستأكل نفسها ، وقد قال هتلر ذلك لجنوده في عام ١٩٤١ وردده في عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ ، قبل ان تتمكن من توجيه الضربة القاصمة للعدو النازي .
ولقد تعمدت استخدام كلمتي « نتمكن نحن » ، لان الذين صرعوا العدو واجبروه على فك الحصار عن المدينة ، لم يكونوا الجنود وحدهم ، بل شاركهم هذا الشرف جميع سكان لينينغراد من نساء وشيوخ واطفال، الذين كانوا جميعا يقاتلون ضد العدو في كل دقيقة وثانية ، وبكل خلجة من خلجات قلوبهم ، وكل حركة من حركاتهم .

الشتاء الرهيب

وفي شتاء عام ١٩٤١ - ١٩٤٢ الرهيب ، حين كانت المدينة الجبارة غارقة في الظلام ، اذ لم يكن ثمة كهرباء فيها بعد ان ضربت جميع المحولات الكهربائية ، وحين تجمدت وسائل النقل من البرد في الشوارع وتوقف الماء عن الجريان في الانابيب فراح الناس يستحضرونه من نهر « النيفا » في الاواني الكبيرة والطنابجر ، ويجرونه معهم في كل مكان على زلاجات ، وحين كان الاشخاص يموتون قرب هذه الزلاجات ، او يقفون في صف طويل لنيل حصتهم من الخبز - تلك القطعة الصغيرة من الخبز الاسود التي يمكن رؤيتها اليوم في المتحف - حتى حينئذ كنا نعلم بانه من المستحيل الا تعود تلك الحياة الانسانية الطيبة الحقيقية الذكية التي تسمى « السلام » .

لقد كان هتلر بتفكيره بليينغراد ، يعتقد انه يوقظ فينا احط الفرائز الحيوانية ، وان الناس الجائعين المتجلدين بردا والعطاش ، سينقض بعضهم على بعض ويرفضون العمل ، وفي النهاية يسلمون المدينة ويستسلمون .

ارتفاع المعنويات

لكننا لم نصمد صمودا عظيما فحسب ، بل اصبحنا اقوى معنويا ايضا ، وبوسع المرء ان يرى عددا كبيرا من الصور والرسوم التي تمثل امرأة تجر زلاجة يرقد عليها رجل فقد قواه تماما . لكنكم لن تروا في أي مكان صورة او لوحة تصور نهب متجر مثلا ، في حين كان الاطفال يموتون جوعا ، ولم يحدث أي اعتداء على النساء ، بل انشغل الجميع بالمقاومة العنيدة الضارية للعدو .

وفيما كان الفاشيست يقتربون من ضواحي لينينغراد كان يجري اجلاء سكان هذه الضواحي الى المناطق الداخلية من المدينة .

ورغم البلاء المحيط بالمدينة الباسلة فان مسرح « نيقولاي اكيوف » القائم في جادة نيفسكي واصل العمل بتقديمه كوميدية لروشتشكو وفي تلك الايام ايضا كان يسمع صوت ربة الشعر الباكية والمعتزة الشاعرة الروسية انا اخماتوفا ، وهي تقول ، شأنها شأن ابنة حقيقيّة لروسيا وللينغراد :

« انني مثل جميع مواطني ، أعيش اليوم الايمان الذي لا يتزعزع بان لينينغراد لن تكون ابدا فاشية ، ونحن نعلم بان ارضا كلها وجميع سكانها ، هم مع اهالي هذه المدينة الجبارة » .

السيمفونية السابعة

وفي هذه الفترة الحرجة وضع الموسيقار ديمتري شو ستاكوفيتش سيمفونيته السابعة وعنوانها « اللينينغراديون » . واثناء التمارين على السيمفونية كانت فرقة اوركسترا الاذاعة التي انهك الجوع قوى اعضائها حتى خلا عدد كبير من مراكزها تنشر باستمرار بلاغات من النوع التالي :

عازف الكمان الاول يحضر . . . وعازف « البندير » مات وهو قادم الى العمل ، وعازف بوق الهارموني مشرف على الموت .

وعلى الرغم من ذلك فان هذه الفرقة الموسيقية التي عززت بموسيقين عسكريين من الوحدات المدافعة عن المدينة ، عزفت السيمفونية السابعة في لينينغراد المحاصرة .

كان العالم يبدي اعجابه ببطولة لينينغراد ، ولم يكن بوسع العدو ان يفهم من اين تستمد المدينة هذه القوة الجبارة على مقاومة اشع حصار في التاريخ .

روح المقاومة

ولكن قوة تحمل اهالي لينينغراد هي التعبير عن روح الانسان الروسي التي لا تتزعزع ، والتعبير عن الروح الشيوعية السوفياتية ، وقد ساعد كل ذلك مدينة لينين ، المدينة التي ولدت فيها ثورة تشرين الاول الاشتراكية ،

على الصمود . ومع ان نصب لينين غطي في تلك الايام تحت اكياس من الرمل ، كما غطي نصب بطرس الاكبر القائم على ضفاف النيفا ، فان جميع هذه المعالم المجيدة ، مع سائر كنوزنا ، ويد لينين المرفوعة كانت تذكرنا دائما بان نظل صامدين ابدا وفي كل مكان .

انني اتصفح في الوقت الحاضر يومياتي اثناء الحصار ، واقرأ الملاحظات المكتوبة قبل ربع قرن بالضبط ، اي في كانون الثاني ١٩٤٤ عندما رفع الحصار عن المدينة . وفيما يلي مقتطفات من هذه اليوميات :

١٤ كانون الثاني ١٩٤٤

● غدا سينطلق الهجوم في جبهتنا لانهاء الحصار . يا الهي ساعدنا ، جميعا . (لا تعجبوا لهذا الدعاء ، فهو موجود ، سواء كان المرء مؤمنا بالله ام غير مؤمن) . ورجاؤنا ان تنتهي العملية باقل ما يمكن من سفك الدماء ، واقل ما استطاع من النساء اللواتي سيفقدن ازواجهن ، او الرجال الذين سيفقدون زوجاتهم .

١٥ كانون الثاني الساعة التاسعة و٥٠ دقيقة

● استيقظنا في الساعة التاسعة والنصف على دوي المدافع التي كانت تطلق حممها بلا انقطاع من جبهتنا . وكان دوي القذائف يختلط بزمجرة متواصلة تستمر منذ اكثر من ربع ساعة ، انه هجومنا الذي انطلق . انه تحرير لينينغراد الذي بدأ . يا ماما .. ما اضخم هذا الدوي . منزلنا يقرع كله ، وكأنه محرك جبار جدا يدور بلا انقطاع .

١٨ كانون الثاني

● منذ الصباح والفاشيون يقدفون المدينة بنيرانهم دون انقطاع . وعندما توجهت لزيارة فيرا كيتلينسكايا اجتازت الشارع ركضا فاتنا بني اشمراز من نفسي ، ولكنني كنت اقول : ماذا لو قتلوني في آخر لحظة بالذات ؟

٢٠ كانون الثاني

● يقال ان عددا كبيرا جدا من الالمان قد قتلوا . فهل انتابني الشفقة ؟

لا ادري .. ولكن كلا مطلقا . هل اشفقوا هم علينا في شتاء عام ١٩٤١ والعام الذي تلاه . كلا ، ليس هناك عقاب يعادل جرائمهم ، مهما كان قاسيا .

٢٨ كانون الثاني مساء

● اطلقت البارجة صواريخ الزينة احتفالا بالتصفية التامة للحصار وتوقف نيران المدفعية . اضيئت المدينة اضاءة رائعة بالصواريخ المشعة .. وظهرت تماما مدينتنا المسكينة ، مدينتنا الرائعة التي دفعت ثمن خلاصها كل تلك الدماء والارواح . وبالرغم من جميع التضحيات .. فقد كانت هذه معجزة كبيرة ، اذ ان مدينتنا كان قد حكم عليها بالموت في خريف عام ١٩٤١ .

كانت القيادة الالمانية تستعد لاجتياحها ، وكادت المدينة الجبارة تموت ولا تقوى على النهوض على قدميها ، ذلك لانها طوال عامين وخمسة اشهر ، ظلت ثابتة على قدميها متحدية القصف . وفي البداية كانت تقصف باستمرار ولا تستطيع الرد بشكل كاف ، لكنها لم تستسلم بل صمدت وانتصرت .

زوجي مات جوعا

وبعد الحرب ، ذهبت لزيارة مقبرة « بيسكاريفسكويه » التذكارية حيث دفن اكثر من نصف مليون انسان من المشتركين في الدفاع عن لينينغراد وحيث يرقد ايضا ، بالتاكيد زوجي ، الذي مات جوعا اثناء الحصار . اقول « بالتاكيد » لانه قيل لي في المستشفى حين مات : « اذا كنت تريد دفنه بصورة افرادية ، فعليك اخراجه من داخل المعبد . لقد مات في المساء ، وطوال الليل ملأنا ذلك المكان بجثث الموتى ، حتى اعلاه » .

فقلت : « لقد مات جنديا ، وسوف يدفن في الحفرة المشتركة » . ذهبت اذن الى المقبرة حيث كلفت بمهمة حزينة ولكنها مشرفة ، وهي كتابة كلمة رثاء على النصب التذكاري . ومع انني عشت في المدينة الجبارة طوال فترة الحصار ، فقد انفعلت كثيرا بمشاهدة المقبرة الجماعية التي يبلغ طولها نحو كيلومتر ، مع تلال صغيرة كتب عليها باختصار « ١٩٤١ » و « ١٩٤٢ » .

ويومها حضررتني هذه الابيات تلقائيا :
هنا يرقد اللينينغراديون رجالا ونساء واطفالا .

وقربهم يشوى جنود الجيش الاحمر .
لقد دافعوا عنك بكل حياتهم يالينينغراد .
يا مهد الثورة .

هذا المكان لا يتسع لجميع اسمائهم المجيدة ، فهي كثيرة جدا تحت
الفرانيت الخالد .

ولكن اعلمي ، انت التي تنظرين الى هذه الحجارة بانه لن ينسى احد
منهم ... ولن ينسى شيء .



- ويلات الحرب وهرب السكان

معركة ستالينغراد الهائلة

الحرب في الشوارع والبيوت والازقة

الامل الزائف

امام تقدم الالمان السريع كان الجميع يعتقدون بان (ستالينغراد) لن
تقف طويلا امام العدو الزاحف ..
ويقول الجنرال السوفياني جوكون في مذكراته : ان حالة الجيش
السوفياني كانت يائسة للغاية ، وان القادة كانوا يعتقدون بان ستالينغراد
لن تصمد طويلا .

لقد اعلن الجنرال لوباتين قائد الفرقة ٦٢ من الجيش السوفياني ان
البقاء في ستالينغراد اصبح مستحيلا ، وقرر ضرورة الجلاء ..
ولكن الجنرال لوباتين ابعد عن منصبه بعد ان ابلغ قراره الى القائد
الاعلى للجيش ايريمكو ، وعضو مجلس الحزب نيكيتا خروشيف . لقد
كانت مأساة ومرارة ان يتخلى السوفياني عن كيلو مترات وامتار من
ارضهم .. وان يجبروا على الاعتراف بتفوق العدو الالمانى بمقدرته ومعرفته
العسكرية وخططه ومبادرته .

لقد كانت الطريق المؤدية من ستالينغراد الى نهر الفولغا مكتظة بالبشر .
فقروبو الكولكوز وعمال السوفكوز احتشدوا على هذه الطريق مع
مواشيهم وكلهم يريد اجتياز الفولغا مع ما استطاعوا حمله من الامتعة . فقد
كانت ستالينغراد مشتعلة ، وكانت الانباء تقول ان الالمان اصبحوا داخل
المدينة ، مما جعل جوا من الرعب يسيطر على السكان .

ولكن (ستالين) قرر ان لا يترك المدينة تسقط بدون معارك خارجية ،
وارسل اكثر معاونيه اخلاصا لتحريك الشعب نحو المعركة النهائية . ولقد
كان الوفد ، نيكيتا خروشيف البولشيفي التحمس الذي ربط شرف كل
شيوعي بمصير مدينة ستالينغراد .

خروشيف

وكانت النتيجة بعد وصوله ان ادخل ٥٠ الف مدني في الجيش
الشعبي ، واستدعي ٧٥ الف مواطن للالتحاق بالجيش ، وجندت ثلاثة
آلاف فتاة كمرضات ومساعدات ، ووزع السلاح على سبعة آلاف عضو من
منظمة الشبيبة الشيوعية تتراوح اعمارهم بين ١٣ و ١٦ عاما واطلقوا بين
الفرق المحاربة . وبالاختصار اصبح الجميع جنودا في سبيل ستالينغراد .
لقد كان العمال يخرجون من مصانع الاسلحة الى المعركة بالمعدات التي
انتهوا من صنعها ، وكانت المدافع تخرج من مصنع « باريكاد روج » اي
المتاريس الحمر راسا الى الجبهة .

وفي ١٢ ايلول ١٩٤٢ استدعي القائد الاعلى للجيش (ايريمينكو)
والزعيم خروشيف . الجنرال جوكوف وسلماه قيادة المعركة وعهدا اليه
الدفاع عن المدينة .

لقد كان الاختيار موفقا وكان جوكوف الرجل المهيأ تماما للمهمة . فقد
كان طموحا ، قاسيا ، شجاعا ، حسن التصرف ، وذا قدرة خارقة على
الصمود .

واثناء وصوله الى قرية « يامي » الصغيرة على الضفة اليسرى لنهر
الفولغا لمقابلة القائدين ايريمينكو وخروشيف قال هذا الاخير :

— ان الجنرال لوباتين الذي كان قائدا للفرقة ٦٢ وجد ان جيشه عاجز
عن الدفاع عن ستالينغراد ، وليس من الممكن الان العودة الى الورا ، ولذلك
فقد اقبل من منصبه . وبالاتفاق مع القائد العام ، قرر المجلس الاعلى للحرب
ان تتولى انت يا جوكوف قيادة القوات الروسية فيها . فكيف ستواجه
مهمتك ؟

كان السؤال مفاجأة للقائد الجديد الذي لم تسنح له الفرصة لدراسة
الوضع وتقدير الموقف ولكنه قال :

— ان التخلي عن ستالينغراد يعني اصابة شعبنا في صميم معنوياته .
انني اقسم الا اترك المدينة . سنحافظ على ستالينغراد او نموت فيها .

وقال خروشيف وايريمينكو :

لقد عرفت مهمتك جيدا يا جوكوف .

عشر ساعات بعد ذلك . . تحركت قوات (سيدلitz) الالمانية نحو
وسط المدينة ، واصيب مركز قيادة جوكوف بالقنابل . فلجأ الى شاطئ
« تساريتزا » بالقرب من نهر الفولغا مع اركان الجيش والضباط .
وفي ١٤ ايلول ، دخل مشاة الفرقة ٧١ الالمانية بقيادة الجنرال فون
هارتمان الى ستالينغراد . وبقدرة خارقة ، تمكنوا من اختراق المدينة وشقوا
ممرات حتى ضفة الفولغا . وفي نفس الوقت كان مشاة الفرقة ٢٤ الالمانية
تهاجم الشوارع في جنوب « تساريتزا » ، واسقطوا محطة القطار
الرئيسية . وفي ١٦ ايلول وصلت القوات الالمانية الى الفولغا .

الموقف

كان الجنرال السوفياتي جوكوف في هذه الاثناء متمكرا في بقعة
صغيرة من الارض في ضواحي المدينة ، وكانت تعليماته الى قادة الوحدات :
الوقت من دماء . . المهم كسب الوقت لجلب الامدادات ونفاذ قدرة العدو .
وفي هذا المقر الذي جعل تحت الارض بعشرة امتار ، تنفس طباشير
جوكوف الصعداء ونظر الى خادمة الجنرال قائلا : لن تصلنا هنا اية شظايا
وتقع في الشوربة . . . عبر هذا الحائط .
لقد كانت عشرات الحواجز في مركز القيادة السوفياتية ، تفصل بين
مكاتب رؤساء الأركان تنفذ من ناحية الى النهر ومن الناحية الاخرى الى
شارع بوشكين في المدينة .

وعلى احد الحواجز علقت خريطة لستالينغراد مصورة باليد ، علوها
ثلاثة امتار وعرضها متران . انها خريطة رئاسة الأركان في المعركة . . هذه
المعركة التي لم تكن معركة مقدمة جيش او مؤخرته وانما معركة شوارع
وابنية وزوايا تتم العمليات فيها على مساحة امتار وليس كيلومترات .
لقد كان رئيس الأركان الجنرال كريلوف يرسم بقلمه نتائج المعارك .
انه يصور هجمات الالمان باللون الازرق ، ومراكز الدفاع والمقاومة السوفياتية
باللون الاحمر . . ولكن اللون الازرق كان يمتد اكثر فأكثر نحو مركز القيادة
السوفياتي .

ان كريلوف يشرح الموقف على الخريطة والجنرال جوكوف يلاحظ
تحركات القلم ويقول :

— ولكن اين هجماتنا المضادة ؟

ويجب كريلوف :

— لقد أسكنها العدو .. منذ شروق الشمس والطائرات الألمانية تحلق فوق المدينة وتسكت كل حركة مقاومة على الأرض .
وفي هذه الأثناء دخل ضابط ارتباط يحمل مصورا عن حالة الفرقة ٤٢ من المدفعية اعده قائدها باتراكوف . اما نتيجة المصور فقد رسمها كريكوف بنصف دائرة باللون الأزرق حول مركز القيادة وقال :
— ان الجبهة على بعد ٨٠٠ متر منا ايها الرفيق الجنرال جوكونف .

السلاح الأخير

لقد كان ذلك ظهر ١٤ ايلول ، وكان الجنرال جوكونف يعلم الى اي حد سيمتد اللون الأزرق على الخريطة . فقد كان يحتفظ بالسلاح الأخير للمعركة ، وهو فرقة مدرعة تضم ٣٩ مصفحة من نوع « ت - ٣٤ » .
وقبل ان يأمر جوكونف باستخدام الفرقة الجديدة سأل كريلوف :
— ما هي الحالة في جنوب المدينة على الجناح الأيسر ؟

واكتفى كريلوف بالإشارة الى السهم الأزرق على الخريطة . لقد تقدمت الفرقة ٢٩ الألمانية واجتازت منطقة « كوبورستوي » واسقطت « الفوبور » . وكذلك تقدمت وحدات الجنرال فريمري باتجاه اهراءات الجيوب واصبحت المنشرة ومصنع الملبات داخل الخطوط الألمانية .
ثم اخذ جوكونف الهاتف واعطى شرحا عن الموقف للجنرال ايريمينكو . وكان الجواب بضرورة المحافظة على المرفأ النهرى ومعداته . وقال ايريمينكو في جوابه لجوكونف :

— لقد أرسلت لك القيادة العليا ، الوحدة ١٣ من قناصة الحرس . انهم عشرة الاف رجل مدربين افضل تدريب . خذ رأس الجسر لمدة ٢٤ ساعة وحاول الدفاع عن معدات المرفأ .
ثم التفت جوكونف الى كريلوف وقال :
— فلنبدا . وليأخذ ضباط الأركان رأس التجمعات . يجب ان نترك المر لحرس القائد رود يمزيف .

دخول وحدة المصفحات

ودخلت الفرقة الأخيرة المؤلفة من ١٩ مصفحة « ت - ٣٤ » المعركة . فتمركزت وحدة منها امام مكتب القيادة بحيث تغطي في الوقت نفسه محطة السكة الرئيسية . وتحولت الوحدة الثانية لتقوية الجبهة على خط اهراءات الجيوب ومعدات المرفأ .

وقبل ان يسدل الظلام خيوطه ، اتصل جوكونف برئيس الأركان الجنرال ايريمينكو يقول :

— هل ان وحداتنا المشتتة والمنحجرة يمكن ان تصمد لمدة عشر ساعات او ١٢ ساعة ؟ ان ذلك ما يقلقني . فاذا لم يتمكن الجنود والضباط من تلك المهمة ، فان الفرقة ١٣ من قناصة الحرس لن تتمكن من عبور النهر وستكون من بعيد شاهدا على اعظم كارثة .

وقبل الغروب بقليل ، دخل الكومندان شوبتا الذي يتولى قيادة ماتبقى من القوات السوفياتية الموجودة في المرفأ وقدم عرضا للموقف بقوله :

— ان مصفحة واحدة من نوع « ت - ٣٤ » قادرة على متابعة المعركة ، ولكنها لن تتمكن من التحرك . اما الفرقة فلم يبق منها سوى مئة مقاتل . ونظر اليه الجنرال جوكونف بحدة وقال : اجمع الرجال حول هذه المصفحة وخذ مدخل المرفأ . واذا فشلت فاني سأطلق عليك النار .
لقد سقط شوبتا ، كما سقط نصف رجاله . اما الباقون فكانوا بحالة جيدة .

ساعات حرجية

واخيرا خيم الظلام وتحول الأركان الى المرفأ . وبقدر ما يتمكن افراد وحدة الحرس بقيادة رود يمزيف من عبور نهر الغولفا بقدر ما كانت تتخذ الوحدات نقاطا مهمة للدفاع . لقد كانت ساعات حرجية ومصيرية .
ولكن بعد ٢٤ ساعة من وصول فرقة الحرس ، كان لا وجود لها . فقد اندحرت تحت وابل المدفعية الألمانية الثقيلة .

في جنوب المدينة كانت الفرقة ٣٥ السوفياتية لا زالت تحارب بقيادة الكولونيل دوبيانيسكي ، ونقلت آخر جنود الاحتياط الى الضفة اليسرى بواسطة « الفيري - بويت » لحماية الاهراءات من هجمات الفرقة ٢٩ الألمانية بقيادة فيبيغ .

ولكن سربا من الطائرات الألمانية انجز على هؤلاء . اما ما تبقى منهم فقد اجتاحتهم الفرقتان الألمانيتان ٩٤ و ٢٩ .

لا تحسن في الجبهة

صباح ١٦ ايلول ١٩٤٢ ، لم تكن خريطة المدينة التي ينحني عليها الجنرال جوكونف تشير الى اي تحسن . لقد استولت الفرقة ٢٤ الألمانية على محطة السكة الى الجنوب وتحولت الى ناحية الغرب لتحطم الاستحكامات .

ثم استدعى جوكوف عضو المجلس الاعلى للحرب نيكيتا خروشييف وقال له : سيقضي تماما على هذا الشكل لمدة يومين .. ليس لدينا اية امدادات او احتياط .. اننا بحاجة فورية الى وحدتين او ثلاث .

وخرج خروشييف لينبغ الزعيم السوفياتي ستالين بالامر . وكان الجواب ان ارسلت كتيبتان مجهزتان تماما، الاولى من مشاة البحرية والثانية من المصفحات .

ولدى وصول الكتيبتين ، انطلقت الاولى فورا الى المعركة ، وتمركزت الثانية في وسط المدينة وفي الرقا لحماية الجبهة . لقد انقذت هاتان الفرقتان الجبهة الروسية من الاندحار .

تفسير القيادة الالمانية

في ١٧ ايلول جمعت القيادة الالمانية جميع وحداتها المحاربة على جبهة ستالينغراد تحت امرة جنرال الجيش السادس . وبذلك اصبحت الفرقة ٤٨ المدرعة التابعة للجيش الرابع بقيادة الجنرال بولوس .

وجاء الامر من هتلر : يجب الانتهاء واخذ المدينة . واذا لم تكن المدينة قد سقطت بالرغم من تقدم القناصة والمصفحات وقاذفات القنابل الالمانية ، فذلك يعود الى شيء واحد ، وهو اصرار خروشييف اليائس على استخدام جميع طاقات الجيش الاحمر . فبين ١٥ ايلول و٣ تشرين الاول حصل الجنرال السوفياتي جوكوف على ست وحدات من المشاة بينها وحدتان من الحرس . واطلقت هذه الوحدات في وسط المدينة داخل الانقاض والمنازل والمصانع التي تحولت جميعها الى شبه حصون .

لقد اندحرت سبع وحدات المانية في سلسلة معارك مستمرة بين نهري الدون وال فولغا ، ولم يبق من الجيش الالمانى سوى عشر وحدات .

الف غارة يومية

وكان من الظاهر ان الالمان متفوقون بسلاح الطيران . فقد كانت طائرات الجنرال فيبيغ تقوم يوميا بما يزيد على الف غارة ، لا تجد مقاومة امامها . لكن جوكوف كان يتساءل :

ما نفع التفوق الجوي ، اذا كانت وحدات المشاة ضعيفة الى حد لا يمكنها معه مجابهة المقاومة ؟

وخلال ليل ١٧ - ١٨ ايلول ، اضطر الجنرال السوفياتي ان يترك مركز قيادته المحصن على نهر « تساريتزا » . فقد هاجمت الفرقة ٧١ الالمانية المقر من شارع بوشكين وملأت ممراته بالقتلى والجرحى والمحاربين المحتجزين .

وفي ليلة يفشاها الضباب ، قطع الجنرال جوكوف خطوط الالمان وهو يحمل اوراقه وخريطة المعركة ، وتمكن من الوصول مع كريلوف الى ضفة الكولغا . وهناك وفي ارض منحدرية كثيرة التواء والاجراف ، اتخذت القيادة السوفياتية مقرا لها الى جانب مصنع « باريكاد روج » للأسلحة ، وحفرت عدة ممرات وانفاق للحماية من المدافع الالمانية .

المعركة العنيفة

وفي ٢٧ ايلول ١٩٤٢ كان يمكن الاعلان عن سقوط ستالينغراد بعد ان وصلت الكتيبة الالمانية ٧١ الى ضفة الفولغا . وهناك دارت معركة هي اعنف ما شهدتها الحرب من ضراوة وقسوة . ففيما يتعلق بالصمود وتجميع القوى والمعدات المستعملة في بقعة ضيقة من الارض ... كانت المعركة شبيهة بمعركة فردان في الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٦ حين سقط خلال اشهر اكثر من نصف مليون قتيل من الالمان والفرنسيين .

بالسلاح الابيض

ووصف (رولف فرامس) احد قادة الفرقة ١٤ الالمانية المدرعة المعركة بقوله :

كانت معركة ضارية فوق الارض وتحتها .. بين الانقاض وفي المجاري .. معركة بالسلاح الابيض ، كانت المصفحات تقتحم خلالها جبالا من الانقاض وتجرب طريقها كميات من الاسلحة المعطلة . كانت تطلق قنابلها على مسافات قريبة جدا من الشوارع التي تسدها الحيطان المهتمة . اما على ضفة الفولغا فلم تكن تتميز العدو ولا بطارياته او مشاته . فقد كان يقذف ليلة بعد ليلة مئات من الجند الى المدينة عبر نهر هائل .

فهذه الامدادات التي تعبر النهر باستمرار ، وهذا التبديل الدائم في الجنود ، وهذا الدم الذي يسيل باستمرار في هذا الشريان الحي الذي

اسمه الفولغا ، كل ذلك طرح امام الالمان موضوعا لم يتمكنوا من حله .
اما السر في هذا الموضوع ، فهو التتوءات الدلفانية في ضفة الفولغا
والاجراف المتعددة فيها .

لم تتمكن المدفعية الالمانية من اختراق مركز السوفيات في
الضفة . التي اصبحت مخزنا للمؤونة ومركز تجميع رائع للرجال والعتاد
الذين يصلون ليلا .

لقد كان لهذه الضفة قيمة تساوي قيمة حصن منيع بالنسبة
للقنابل ، ولم يكن بين الالمان وهذا « الحصن » سوى عدة مئات من الامتار .
ولكن الكتيبة ١٤ الالمانية اقتحمت الانقاض ووصلت مصفحاتها حتى
الفولغا حيث دخلت مصنع الاسلحة « باريكاد روج » واصبحت في وجه
مركز القيادة السوفياتي على الشاطئ المنحدر .

وفي ٢٥ تشرين الاول . انهار الهجوم الالمني امام المقاومة الروسية
وانحنى القائد الالمني ليسير وراء مصفحة معطلة ، في حين كان قائد
الكتيبة ١٤ جثة بلا حراك الى جانبه ، وعلى بعد عشرة اقدام منهما كان قائدا
المانيا اخر في حالة نزاع .



الزحف الى موسكو

وصف مشير للقائد الروسي باورجان ماميش اوغلي

الاستقبال

نحن الان في في تشرين الاول عام ١٩٤١ ! والقوات الالمانية قد انتشرت
في كل اوروبا شرقا وغربا !

جيوش الحلفاء تجري امام قوات هتلر التي لا تقهر !
القوات النازية تصل الى مشارف موسكو بعد ان دانت لها كل اوروبا !
راديو برلين يعلن ان القوات الالمانية ستكون بعد ايام في قلب
موسكو !

شبح الخوف والهزيمة يسيطر على الكثير من جنود الاتحاد السوفيتي
وسط دعاية المانية تؤكد اسطورة العسكرية الالمانية التي لن تهزم !

وفي هذا المناخ المحموم ، تصدر الاوامر لكتيبة روسية بقيادة « باور
جان ماميش اوغلي » بان تتحرك من موقعها شرق موسكو الى اقرب محطة
سكة حديد ، وتحرك الكتيبة الى المحطة وهي لا تدري الى اين ستتجه
بعد وصولها الى محطة السكة الحديد ؟ .. ووصلت الكتيبة لتجد في
انفطارها قطارا حريبا ، والقي جميع افراد الكتيبة باجسادهم في هذا

القطار ، وانطلق القطار ولا احد يعرف - حتى القائد نفسه - اتجاه القطار، ولكن عندما مروا بموسكو واتجه القطار الى الغرب عرف اوغلي انه وافراد كتبيته في الطريق الى ميدان القتال حيث توجد خطوط الهجوم الألمانية على موسكو .

وبعد مسيرة طولها ١٢٠ كيلومترا غرب موسكو ، توقف القطار، وكان ذلك في السابع من تشرين الاول عام ١٩٤١ ونزل الجنود بانتظام من القطار ، وكان في انتظارهم بالمحطة قائد اللواء

وفجأة .. تساقطت قذائف المانية على المحطة ، وكانت هناك خزانات وقود روسية ، اشتعلت فيها النيران وتحولت المنطقة في ثوان السي جيم لا يطاق ، واندمجت السنة اللهب في كل مكان ، وتكاثف الدخان حتى حجب الرؤية ..

كان هذا اول استقبال من الالمان لهذه الكتيبة . بعد هذا الاستقبال الحار .. اصدر قائد اللواء اوامره لقائد الكتيبة بان يتجه وافراد كتبيته لاحتلال المواقع الدفاعية في منطقة « فولولامسك » ووصلت الكتيبة الى الموقع الذي حددته لها قيادة الجبهة ، وفي هذا الوقت كان ادولف هتلر يعلن للعالم ان الطريق الى موسكو مفتوح لا مقاومة فيه !! اخذت الكتيبة مواقعها الدفاعية استعدادا للهجوم الالمانى .. وترك القائد موقعه واتجه شمالا الى خطوط الالمان للاستطلاع .. وكلمما اقترب من هذه الخطوط شاهد مئات الجنود والمدنيين المنسحبين امام تقدم الالمان .. وحز في نفسه هذه المشاهد المؤلمة .. وعاد الى موقعه فسي الكتيبة حزينا كئيبا .. وفي موقع الكتيبة شاهد بعض الافراد يجلسون حول النار من شدة البرد في شهر تشرين اول ..

يقول القائد :

- ونظرت بطرف عيني الى الجالسين حول النار ، فنهض البعض ، واقتصر البعض الآخر على التملل في مكانه ..

وسألت .. من هؤلاء ؟

وتقدم جندي قصير القامة ليس من الكتيبة وقال :

- نحن من التطويق ياسيدي ..

- اي تطويق .. واين ؟

- عند (فيازما) .. وهم يندفعون الان الى هنا ..

- من هم الذين يندفعون ؟

- الالمان .. الالمان .. الالمان !!!

- هل رأيتهم ؟

- وهل يمكن رؤيتهم ؟ انهم ينثرون الالغام كما ينثرون حب الحمص ، ويندفعون بدباباتهم على الطرقات وهم يطلقون النيران بفزارة في كل اتجاه ..

- وهل رأيت الدبابات ؟

- في السينما ياسيدي .. ففي السينما يمكن النظر الى الدبابات بهدوء .. أما هنا فلا يتسع الوقت للرؤية ، فكل شيء يعوق العين عن النظر ، حتى النور لا تراه عندما تهدر دبابة وتطلق نيرانها هنا وهناك . كانت هذه الكتيبة لم تشترك بعد في القتال ، وكان أفرادها يستمعون بانتباه شديد لهذا الحوار بين قائدهم والجندي الفار من التطويق . وكان هؤلاء الفارون يمثلون عاملا نفسيا سيئا على افراد الكتيبة ، ولكن لم يكن هناك ايضا مفر من وجودهم بين جند كتيبة تستعد للاشتراك في الحرب . وجاء المساء .. وبدأ القائد يمر بنفسه على رجال الحراسة .. واثناء جولته سأل القائد احد جنود الحراسة عن مدى استعدادهم ..

فقال الجندي :

لم يبق الا ان اضغط على الزناد .. واخذ القائد المدفع الرشاش منه ، وضغط القائد فعلا على الزناد ، ودوت اصوات الطلقات في هذا المكان ، كانت هذه هي اول رصاصات تخرج من فوهة احد مدافع هذه الكتيبة .. وعلى الفور صاح احد الجنود باعلى صوته ..

- المان .. المان .. المان ..

كانت هناك غابة قريبة من موقع الكتيبة ، وعلى الفور ايضا جرى الى الغابة هربا بعض الجنود .

عودوا ايها الجبناء

صاح جندي الحراسة عليهم ..

- عودوا ايها الجبناء .. لا يوجد المان .. عودوا ايها الارانب الجبناء يقول القائد : « وعاد الجبناء .. ماذا افعل بهم ... ؟ هل احدهم فقط ؟ .. هل اصرخ فيهم .. ؟ هل احبسهم .. ؟ أم ماذا اصنع ؟ » ولكن كانت هناك مفاجأة لقد عادت الجماعة الا قائد فصيلة ، ثم سمعوا

القطار ، وانطلق القطار ولا احد يعرف - حتى القائد نفسه - اتجاه القطار، ولكن عندما مروا بموسكو واتجه القطار الى الغرب عرف اوغلى انه وافراد كتيبته في الطريق الى ميدان القتال حيث توجد خطوط الهجوم الالمانية على موسكو .

وبعد مسيرة طولها ١٢٠ كيلومترا غرب موسكو ، توقف القطار، وكان ذلك في السابع من تشرين الاول عام ١٩٤١ ونزل الجنود بانتظام من القطار ، وكان في انتظارهم بالمحطة قائد اللواء

وفجأة .. تساقطت قذائف المانية على المحطة ، وكانت هناك خزانات وقود روسية ، اشتعلت فيها النيران وتحولت المنطقة في ثوان الى جحيم لا يطاق ، واندلعت السنة اللهب في كل مكان ، وتكاثف الدخان حتى حجب الرؤية ..

كان هذا اول استقبال من الالمان لهذه الكتيبة . بعد هذا الاستقبال الحار .. اصدر قائد اللواء اوامره لقائد الكتيبة بان يتجه وافراد كتيبته لاحتلال المواقع الدفاعية في منطقة « فولولامسك » ووصلت الكتيبة الى الموقع الذي حددته لها قيادة الجبهة ، وفي هذا الوقت كان ادولف هتلر يعلن للعالم ان الطريق الى موسكو مفتوح لا مقاومة فيه !! اخذت الكتيبة مواقعها الدفاعية استعدادا للهجوم الالمانى .. وترك القائد موقعه واتجه شمالا الى خطوط الالمان للاستطلاع .. وكلمما اقترب من هذه الخطوط شاهد مئات الجنود والمدنيين المنسحبين امام تقدم الالمان .. وحز في نفسه هذه المشاهد المؤلمة .. وعاد الى موقعه في الكتيبة حزينا كئيبا .. وفي موقع الكتيبة شاهد بعض الافراد يجلسون حول النار من شدة البرد في شهر تشرين اول ..

يقول القائد :

- ونظرت بطرف عيني الى الجالسين حول النار ، فنهض البعض ، واقتصر البعض الاخر على التملل في مكانه .. وسألت .. من هؤلاء ؟

وتقدم جندي قصير القامة ليس من الكتيبة وقال :

- نحن من التطويق ياسيدي ..

- اي تطويق .. واين ؟ ..

- عند (فيازما) .. وهم يندفعون الان الى هنا ..

- من هم الذين يندفعون ؟

- الالمان .. الالمان .. الالمان !!!

- هل رأيتهم ؟

- وهل يمكن رؤيتهم ؟ انهم ينثرون الالغام كما ينثرون حب الحمص ، ويندفعون بدباباتهم على الطرقات وهم يطلقون النيران بغزارة في كل اتجاه ..

- وهل رأيت الدبابات ؟

- في السينما ياسيدي .. ففي السينما يمكن النظر الى الدبابات بهدوء .. اما هنا فلا يتسع الوقت للرؤية ، فكل شيء يعوق العين عن النظر ، حتى النور لا تراه عندما تهدر دبابة وتطلق نيرانها هنا وهناك . كانت هذه الكتيبة لم تشترك بعد في القتال ، وكان افرادها يستمعون بانتباه شديد لهذا الحوار بين قائدهم والجندي الفار من التطويق . وكان هؤلاء الفارون يمثلون عاملا نفسيا سيئا على افراد الكتيبة ، ولكن لم يكن هناك ايضا مفر من وجودهم بين جند كتيبة تستعد للاشتراك في الحرب . وجاء المساء .. وبدأ القائد يمر بنفسه على رجال الحراسة .. والنساء جولته سال القائد احد جنود الحراسة عن مدى استعدادهم ..

فقال الجندي :

لم يبق الا ان اضغط على الزناد .. واخذ القائد المدفع الرشاش منه ، وضغط القائد فعلا على الزناد ، ودوت اصوات الطلقات في هذا المكان ، كانت هذه هي اول رصاصات تخرج من فوهة احد مدافع هذه الكتيبة .. وعلى الفور صاح احد الجنود باعلى صوته ..

- المان .. المان .. المان ..

كانت هناك غابة قريبة من موقع الكتيبة ، وعلى الفور ايضا جرى الى الغابة هربا بعض الجنود .

عودوا ايها الجبناء

صاح جندي الحراسة عليهم ..

- عودوا ايها الجبناء .. لا يوجد المان .. عودوا ايها الارانب الجبناء

يقول القائد : « وعاد الجبناء .. ماذا افعل بهم ؟ .. هل احدثهم فقط ؟

.. هل اصرخ فيهم ؟ .. هل احبسهم ؟ .. ام ماذا اصنع ؟ »

ولكن كانت هناك مفاجأة لقد عادت الجماعة الا قائد فصيلة ، ثم سمعوا

صوت عيار ناري ، وذهب احد الافراد الى مكان هذا العيار ، فوجد ان قائد الفصيلة الهارب قد اطلق الرصاص على يده اليمنى حتى يعفى من الحرب ، وجاءوا به لقائد الكتيبة .

ماذا فعل القائد بهذا الرجل المسئول ؟
لقد قرر اعدامه امام جميع افراد الكتيبة !!
جاء الصباح .. واصطف جميع افراد الكتيبة على شكل مربع .. وجاءوا بالخائن .. وامر القائد برفع الرب والشارات من قائد الفصيلة الهارب .. وامر فرقة اطلاق النار بالاستعداد لاعداد الخائن .. وعروه من المعطف والرب والشارات .. ووقف الخائن امام فوهات مدافع هذه الفرقة .. وقال القائد بصوت ملا صمت المكان كله ...

- ايها الجنود .. ان هذا الخائن يحب الحياة لنفسه ، لهذا قرر ان تموتوا انتم ويحيا هو .. وهكذا يحيا الطغليون على حساب الآخرين

ثم بدأ القائد بوجه كلامه للخائن
هل تذكرت اولادك وانت تفعل ما فعلت ؟ .. انهم الان اولاد خائن .. ولسوف يشعرون بالخزي والعار .. وسيخفون اسم ابيهم عن الناس .. اما زوجتك فتكون ارملة خائن .. جبان .. اعدم رميا بالرصاص امام جنوده .

وقال الهارب :
- الصفح .. ارسلوني الى القتال ..
ورد القائد :

- كلا .. سنذهب جميعا الى ساحة القتال .. ستذهب الكتيبة بأكملها .. انظر الى هؤلاء .. انهم فصيلتك التي كنت قائدها .. عشت معهم .. واكلت معهم .. وضحكت معهم .. وهم جميعا سيذهبون الى ساحة القتال ... ولكنهم قبل ان يرحلوا .. هم انفسهم سيطلقون عليك الرصاص ايها الخائن الهارب من القتال ..

ثم قال القائد :
- خائن .. در
ولترفع صوت القائد اكثر من قبل .. وهو يعطي الاوامر لفرقة ضرب النار ..

- على الجبان .. خائن الوطن .. الناكث بالعهد .. جماعة ..

انتهاء قصة

وقبل ان ينطق باخر امر .. شاهد الجماعة .. وقرا ما تقوله عيونهم .. ان عيون جماعة ضرب النار تقول .. سامحه .. اتركه .. انت تملك ذلك .. ما هذه القسوة اما الخائن نفسه فلقد كان يتمنى الموت .. بل ويسرع اليه .. كان هذا يبدو من نظراته .. مما اضطر القائد ليقول لجماعة ضرب النار ..

- .. توقفوا ...
ونظر الى قائد الفصيلة الهارب وقال له : البس معطفك .. وعد لجماعتك .. وعاد الخائن الى فصيلته .

لم يكن النصف الاخير من قصة قائد الفصيلة الا حلما يتمناه القائد .. كانت هناك عوامل تدفعه الى وضع نهاية لقصة هذا الخائن كتلك النهاية ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. فعندما قال القائد

- على الجبان .. خائن الوطن .. الناكث بالعهد .. جماعة ..
اكمل بقية الامر وقال ..
- اضرب .. اضرب ..
وسقط الجبان ..
وانتهت قصة الخائن ..

يقول القائد تعليقا على هذه الحادثة ..
« انني انسان .. وانا كبشر كانت كل احساساتي تصرخ بشدة وتقول .. لا لزوم لذلك .. ارحمه .. اعف عنه .. ولكني كقائد .. أب .. قتلت ابنا من ابنائي .. وكان يقف امام مئات من ابنائي .. وكان علي ان اطبع في نفوس هؤلاء الابناء .. انه .. لا مكان للرحمة .. ولن يكون هناك مكان للرحمة عندنا لخائن .. »

في اليوم التالي لحادث اعدام الهارب ، مر القائد على الجنود ، وسمع المفوض السياسي للحزب الشيوعي يتحدث اليهم كثيرا عن الموت .. الموت في سبيل الوطن .. الموت في سبيل الاشتراكية .. الموت لا التراجع .. ولم يعجب القائد حديث الموت ، وقرر ان يتحدث الى جنوده عن الحياة ... بدأ الحديث بسؤال :

— أيها الجنود .. ليرفع يده من لا يريد ان يعيش ؟
ولم ترتفع يد واحدة !!
فقال لافراد الكتيبة :

— لكيلا نموت .. لكي نحيا .. لا بد ان نقاتل .. كلنا يريد العودة الى
بيته منتصرا .. يقبل زوجته واطفاله .. ان العودة الى البيت او عدم العودة
متوقفة عليك وحدك .. فاذا كنت تريد ان تبقى حيا فعليك ان تقتل من
يسعى لقتلك .. وانت ان لم تقتل الالماني، فسيقتلك هو ، ولن تعود الى
بيتك حيا .. ان قتل المحارب من الخلف اسهل الف مرة من قتله من الامام
.. فلا تعطوا ظهوركم للعدو .

وبهذا الحديث البسيط عن الحياة دب النشاط في افراد الكتيبة،
وتخلص الجنود من كلمة الموت الثقيلة على النفس دون تهاون امام الواجب
والشرف .

الاستطلاع

بعد هذا الحديث اختار القائد جماعة للاستطلاع ، وذهبوا في
اتجاه خطوط الالمان ، وقالوا ان الالمان على بعد عشرين كيلومترا من مواقع
الكتيبة ..

وبدا العمل على الفور ..

كان الواجب المكلفة به هذه الكتيبة هو حماية سبعة كيلومترات منها
كممر يؤدي الى موسكو ، وقام القائد بتوزيع الافراد والتأكد من الخنادق
والسلاح والدخيرة والروح المعنوية عند الافراد .

وخرجت جماعة الالفام تزرع الطريق امام الجنود الالمان المتوقع
تقدمهم . وتمت زراعة حقول الالفام بنجاح ، واستعدت جماعة المدفعية
المضادة للدبابات .

وفي نفس الوقت كانت جماعة الاستطلاع تتسلل بصفة دائمة الى
مواقع القوات الالمانية ، وكان القائد يرمى من ذلك الى معرفة جنوده
بالالمان ، ومشاهدتهم عن قرب ، وبانهم بشر ، وانزعاج الخوف من نفوسهم ،
ومن كثرة جماعات الاستطلاع التي تسللت الى خطوط العدو اصبح الالمان
شيئا عاديا بالنسبة لجندي الكتيبة .

بعد الاستطلاع قرر القائد انزعاج ما بقي من خوف غائر في نفوس

افراد الكتيبة .. لقد كان العدو الالماني على مسافة عشرين كيلومترا
تقريبا محتلا قرية كبيرة اسمها « سيريدا » ويتفرع منها عدة طرق هامة
تؤدي الى ثلاث مدن ، وللعُدو في القرية مخازن تموين وذخيرة ووقود ،
وتصل الى القرية قوات المانية من اماكن مختلفة للحصول على ما تحتاج
اليه ..

يقول قائد الكتيبة العظيم « وخطرت لي فكرة .. لماذا ننتظر هجوم
الالمان ؟ .. لماذا لا نضربهم في هذه النقطة الهامة .. دون انتظار لان
يضربونا ؟ ماذا يحدث لو قمنا بغارة ليلية على سيريدا .. ؟ »

الهجوم

يقول القائد العظيم « واتخذت قرارا بالهجوم في نفس الليلة » .
واختار القائد مائة جندي للهجوم ليقودهم بنفسه ، على ان يبدأوا
الضربة الاولى في ساعة متأخرة من الليل ، ووضعت خطة كي يبدأ الهجوم
من ثلاثة اماكن ، لكي يتم حرق الدخيرة والوقود والتموين ، وقتل الالمان،
ثم عودة القوة .. وقبل الرحيل ، قال لهم القائد :

— أيها الرجال .. ان العدو يظل رهيبا ما لم نذق طعم دمه ..
فلنذهب .. ولنضرب .. فمن اي شيء خلق الالمان ؟ .. هل يسيل دمه من
رصاصنا ؟ هل يصرخ اذا ما دخلت رصاصاتنا في احشائه ؟ وهل يعرض الارض
باسنانه وهو يلفظ انفاسه ... لننطلق أيها النشور ..

وانطلقت الجماعة ليلة ٥ تشرين الاول عام ١٩٤١ في بداية اول
معارك لها مع العدو، ووضع بقية افراد الكتيبة ايديهم على قلوبهم . هل
سينجح رفاق السلاح ومرت ساعات كأنها الدهر العريض كله .. ثم لاح
في الافق انورا .. واصوات قادمة من بعيد .. هل هذا هو الفجر ؟ لا ..
الشمس لا تشرق من الشمال .. انهم الرجال يحرقون ويقاثلون الالمان ..
ويشعر الجميع بالسعادة .. فليس هناك اسعد واروع من احساسك وانت
تضرب العدو .

عادت القوة الفدائية في الصباح .. وكانت قد ذهبت سيرا على الاقدام
وعادت راكبة الجياد التي استولت عليها من الالمان . لقد كان لقاء رانعا بين
القوة وافراد الكتيبة .. ولقد جاءوا أيضا بأسرى معهم .



الحرب في الشوارع

يقول قائد الكتيبة :

اني اشعر بالخجل عندما اذكر هذا .. لقد كانت لحظات سريعة استسلمت فيها لخداع النفس المنحط .. عندما حاولت ان اقنع نفسي بانني سمعت كلمة انسحب .. انا لم اسمع هذه الكلمة .. ولن اسمعها ..

ورفض الرجل الانسحاب .. وقرر النضال والقتال بالكتيبة المحاصرة .. ولم تتمكن قوات الالمان من احتلال موقع الكتيبة او القضاء عليها ، وظل القائد يحارب بقوة وشجاعة هذه القوات الضاربة بلا توقف .. حتى جاءت القوات الروسية تطارد الالمان وتستمر المطاردة حتى يرلين نفسها .. وتنتهي الحرب .. وتحرر الارض ، وتدفن اسطورة الجيش الالماني النازي الذي لا يهزم .

وبدأت هذه الجماعية تحكي قصة بطولتها بين جميع افراد الكتيبة حتى القائد بدأ استجواب احد الاسرع الالمان وقال الاسير « ان القوات الالمانية سوف تفطر في موسكو » ضحك جميع افراد الكتيبة ، فلقد انتزع الخوف تماما من قلوب افرادها .

وكانت هذه بداية موفقة لمعارك هذه الكتيبة ولكن المعارك الشاقة لم تبدأ بعد .

في احد الايام .. جلس قائد الكتيبة وحده يفكر في الموقف الذي اصبح فيه .. كان يتصور ان مهمته الرئيسية ان يعطل العدو عن تقدمه نحو موسكو ثم الانسحاب الى خط الدفاع الثاني .. فلا بد ان هناك خطوط دفاع مستمرة حتى موسكو .. ولكن الموقف مختلف تماما .. ان مسؤوليته كبيرة ، فعليه ان يوقف تقدم الالمان نحو موسكو .. ولا يوجد خطوط دفاع خلفه .. يا للمهمة المقدسة الجسيمة .

يقول الرجل :

« وضعت نفسي محل العدو ، واخذت افكر بعقله وتساءلت .. هل من الممكن ان يقع اختياره على نقطة تبدو انسب من غيرها للهجوم علينا ؟ لا .. ان العدو ليس باحمق ولا بد انه سيفكر بعقلي كما افكر انا بعقله ، ومن الطبيعي انه سيقدر افكاري بسهولة وسيجد طريقة لخداعي والتمويه علي ، كان يهاجم بقوة صغيرة في مكان ما ، فأحشد انا قواتي على عجل واوجه الى هذه النقطة نيران مدافع الميدان والهاونات ، وعندئذ يوجه قواه الرئيسية لاختراق المنطقة التي اخليتها من الجنود .. لا .. لن اتركه يخدعني !!

في اليوم التالي تمكن الالمان من اختراق ايمن الكتيبة ، واصبحت القوات التي يقودها اوغلي محاصرة ، وكان السبب في ذلك سقوط مواقع الكتيبة المجاورة لهذه الكتيبة .. وكان الالمان يتقدمون تحت ستار ناري كثيف .. وطلب قائد اللواء اوغلي .. وقال قائد اللواء عبر اسلاك التليفون :

- اوغلي .. اهذا انت .. فات الاوان .. لقد تغفل العدو .. هناك طابور يتقدم نحو رئاسة اللواء .. سانسحب .. وطابور اخر يتقدم نحوك .. اسحب جناح الكتيبة الايمن .. وقاوم .. ثم انسحب .. ولم يكمل القائد كلمته .. لقد انقطع الاتصال تماما .. واصبح القائد لديه نصف امز بالانسحاب ..

الهجوم الألماني على روسيا

اسبابه ونهايته

اسباب الحرب

كانت الحرب الألمانية - الروسية - حدثا محتوما منذ قيام الرايخ الثالث وتولى هتلر والحزب النازي زمام الحكم في ألمانيا (١٩٣٣) وقد دارت آلة الحرب الجرمانية الهائلة بعد ذلك وفي اعتبارها الاول القضاء على العدو العنصري والعقائدي من وجهة النظر الألمانية النازية ، الذي يتمثل في الاتحاد السوفياتي وحكومته الشيوعية وشعبه السلافي . ولكن حرص بريطانيا العظمى ، في تلك الفترة ، على لعبة التوازن الدولي وخشيته من قوة المانية طاغية واتجاه هتلر الى اعادة تخطيط الحدود الأوروبية على هواه ، وبالقوة ، ابعد احتمالات الصدام النازي - السوفياتي بعض الوقت وجعل القوة النازية الجديدة تتجه بجبروتها نحو الغرب لتحتل غرب أوروبا كله وفرنسا في أقل من اسبوعين .

وهنا عاد هتلر يتجه بنظره نحو الاتحاد السوفياتي مرة اخرى ، تحقيقا للاستراتيجية النازية الأساسية وسبيلا الى اجبار بريطانيا على الركوع وتلقى شروطه بعد الحاق الهزيمة بالاتحاد السوفياتي والاقضاض على امبراطوريتها في الشرق الاوسط عن طريق آسيا السوفياتية . فهل كان الاتحاد السوفياتي غافلا عن الخطط النازية وعن مطامع هتلر ؟؟

طبعا لا ، ولكن اتفاقية الصداقة وعدم الاعتداء التي عقدها ستالين مع هتلر بالاضافة الى الحرب في غرب أوروبا جعلته يخطئ خطأ بالغا في تقدير موعد الخطر النازي . . وقد كان هذا الخطأ الكبير احد الاسباب الرئيسية في الحاق ضربات هائلة بالاتحاد السوفياتي كادت تجهز عليه في الاسابيع والاشهر الاولى من القتال . . ورغم ان ستالين استطاع ان يعرف موعد الهجوم النازي عن طريق الجاسوس السوفياتي « سيرج » الا انه استخف بهذه المعلومات ولم يستعد . فصدقت المعلومات وخاب حدس وثقة القائد الدكتاتور .

وكانت هنالك ايضا احوال الجيش الاحمر التي بدورها مهدت للانتصارات النازية الساحقة في اول ايام القتال .

لقد كانت عملية باربروسا اعظم عملية شهدتها التاريخ ، ولعل يوم ٢٢ تموز ١٩٤١ وهو اليوم الذي بدأ فيه الغزو الهتلري ضد الاتحاد السوفياتي هو قمة التاريخ العسكري منذ بداية الانسانية . فلم يحدث من قبل ان امكن استخدام فنون التنظيم والمواصلات والاتصال بمثل هذه الدرجة . يومها قال هتلر : « ليس امامنا الا ان نركل الباب الامامي حتى يتهاوى البناء الروسي المتآكل ! »

ومع تتابع الايام والاعلام النازية تتقدم بسرعة فائقة على طول الجبهة الروسية بدأ الناس يميلون الى تصديق هتلر . . ولاول مرة لم يساور العقول العسكرية اية شكوك وهي تشاهد الجيوش الألمانية تتوغل عميقا وسريعا في قلب الاتحاد السوفياتي ، فهنا ، كما كان يبدو بوضوح ، لم يكن الانسحاب بناء على خطة تكتيكية بارعة تستهدف استدراج العدو الى فخ منصوب له ، وانما كان التقدم الألماني الكاسح يسير على ارض خضبتها دماء الجيوش الروسية ، والاسرى الروس يقعون بمئات الالوف ، والمعدات الروسية تدمر بكميات هائلة ، حتى ان الهجمات الألمانية الجوية الاولى على المطارات الروسية استطاعت تدمير الف ومائتي طائرة روسية في الساعات الثماني الاولى من بدء الحرب .

وقد بدأ الغزو النازي بثلاث مجموعات من الجيوش . مجموعة جيوش الشمال ، بقيادة الفيلد مارشال ليب ، وهدفها ليننغراد . مجموعة جيوش الوسط ، بقيادة الفيلد مارشال بوك ، وهدفها النهائي موسكو .

مجموعة جيوش الجنوب ، بقيادة الفيلد مارشال رونشتد ، وهدفها كييف واوكرانيا كلها .

واستطاعت مجموعة جيوش الوسط وكانت اقوى المجموعات الثلاث قوة وعددا ، ان تتوغل في الاراضي الروسية مسافة ٥٠٠ ميل في اقل من شهر من بدء القتال واحتلال مينسك وسمولنسك وانزال خسائر هائلة بالقوات الروسية . وعندئذ اضطرت الى التوقف مدة اسبوعين للراحة واستجماع القوى وحتى يستطيع المشاة اللحاق بالقوات المدرعة المتقدمة . وفي الجنوب بدارونشتد هجومه الصاعق نحو كييف وخاركوف لاحتلال اوكرانيا التي كانت هدفا مغريا امام هتلر لثرواتها الزراعية ولتركز الصناعات السوفيتية في هذه المنطقة . ولهذا السبب فقد امر هتلر بان يتوقف زحف مجموعة جيوش الوسط نحو موسكو وبان يتجه الجنرال هاينز جودريان بسلاحه المدرع الى الجبهة الجنوبية حتى يتم تصفية القوات السوفيتية الكثيفة في هذه المنطقة قبل الاندفاع النهائي فسي اتجه موسكو . وقد استطاع رونشتد ان يوقع بالقوات الروسية افظع كارثة عسكرية في تاريخ الجيش الروسي . فيحتل كل الاهداف المحددة ويأسر ويقتل ويصيب حوالي ستمائة الف جندي روسي .

وفي الشمال استطاع الفيلد مارشال ليب بجيوش اقل عددا وعدة من المجموعتين الاخرين ان يحقق تقدما كاسحا ويحطم كل قوى المقاومة الروسية ويصل الى مشارف ليننغراد في اول ايلول .

وبهذا وفي نهاية عام ١٩٤١ وصلت الحملة الالمانية مرحلة الهدف النهائي وهي تمتد على جبهة طويلة تمتد من ليننغراد شمالا الى جزيرة القرم في البحر الاسود جنوبا والجيوش الالمانية تواجه العاصمة السلافية القديمة وعاصمة الثورة البلشفية : موسكو .

لقد بدأت معركة موسكو . وكان العالم كله يرغب هذه المعركة ، فهي المعركة التي قد تقرر مصير الحرب العالمية الثانية .

ماذا كان في موسكو ؟

كان ستالين يكتب بيده في دفتر صغير كل الامكانيات المتاحة له في الدفاع عن العاصمة الروسية بعد الخسائر المذهلة التي تعرض لها الاتحاد السوفيتي في الاشهر الاربعة الاولى من الحرب . فقد خسر مساحات شاسعة من الاراضي وذهبت معها ثروات صناعية وزراعية لا تقدر وبلغت الخسائر في الجنود القتالين والادوات العسكرية درجة مروعة .

وتجمعت امام موسكو جموع العمال المتطوعين ، والحرس الاهلي ، والمدنيين الذين لم ينالوا اي قسط من التدريب ، وفي نفس الوقت اعطيت الاوامر للفرق الروسية في الشرق الاقصى لتتحرك غربا الى موسكو .

وكانت هناك بقايا الجيوش السوفيتية التي تجمعت في موسكو مرة اخرى بعد ان تشتت في المعارك السابقة ، ولكن باعداد تقل كثيرا من الاعداد السابقة . فالفرقة المدرعة خفيفة ، وفرقة المشاة ٢٩٩ لم يكن يزيد عددها على ٨٠٠ رجل ، واللواء المدرع ٢٥ لم تزد قوته على ٥٠ رجلا و٤ دبابت خفيفة .

ورغم ان كثيرا من اهالي موسكو اتجهوا شرقا طلبا للامن فان ستالين وقيادته بقوا صامدين في موسكو لا ينوون الخروج منها . وحين بدأت العملية الالمانية : «الاعصار» ضد موسكو واستطاعت ان تخترق الخطوط السوفيتية في بعض المواقع اتصل ستالين تليفونيا بالجنرال زوكوف (قائد الجبهة الغربية) وسأله : « قل لي ، بصراحة وبالاسلوب الشيوعي ، هل نستطيع ان نحافظ بموسكو » . فرد عليه زوكوف بان ذلك ممكن ، بشرط ان يزوده ستالين بجيشين جديدين وبمائتي دبابة . فقال ستالين : « الجيوش ممكنة . . اما الدبابات فلا ! »

لقد كان من الممكن تجميع اعداد كبيرة من الجنود الجدد ، اما الآلات وما تحتاج اليه من مصانع وادوات خام فلم يكن ممكنا .

فبعد آب بدى في نقل المصانع الى الشرق ، وانخفض بذلك الانتاج الحربي . وبعد ان استطاعت المصانع ان تنتج الفتي طائرة في حزيران نزل الرقم الى ٦٢٧ في تشرين الثاني ، واكبر مصنع للدبابات في خاركوف انتهى عمله بسقوطها ، وخسر الاتحاد السوفيتي بسقوط منطقة الدون وغيرها ثلثي ثروته من الفحم ، وثلاثة ارباع انتاجه من الحديد والمنجنيز ونصف انتاجه من الصلب . لقد انخفض الانتاج في الاتحاد السوفيتي الى النصف بعد الاشهر الاربعة الاولى من القتال . وانخفضت قوة العمل من ٣١ مليون عامل في سنة ١٩٤٠ الى ٢٠ مليون فقط في نهاية ١٩٤١ ، فبعضهم وقع في قبضة القوات الالمانية وبعضهم كان في طريقه الى مكان المصانع الجديدة في الشرق . واختفى مئات الالاف من العمال الزراعيين لينضموا للجيش وسقط جزء كبير من الاراضي الزراعية ، ونتج عن هذا كله انخفاض كبير في الانتاج الزراعي والانتاج الحيواني .

ويمكن تقدير الخسائر السوفيتية حتى اول كانون الاول ١٩٤١ :

٣-٧ ملايين قتيل

٢-٥ ملايين اسير

٢١٣٩١ دبابة

٣٢٥٤١ مدفع

اكثر من ثلاثة الاف طائرة

ولكن هذا كله لم يمن ان الاتحاد السوفياتي قد خسر القدرة على الاستمرار والمقاومة .

استئناف العمل

فقد استطاعت الصناعات الحربية في الشرق ان تستأنف العمل وسط ظروف قاسية وان تنتج اسلحة متفوقة على الاسلحة الالمانية . فكانت الدبابة الروسية ت٣٤ التي اثبتت تفوقها الواضح على الدبابة الالمانية ، واستطاع الطيران السوفياتي ان يعاود نشاطه وقدراته بطائرات ياك وميغ واليوشين ٢ التي بدورها تفوقت على الطائرات الالمانية ، رغم ان انتاجها لم يصل حتى نهاية ١٩٤١ الى معدلات الانتاج السابقة .

وكذلك فان المدفعية الروسية اثبتت كفاءة عالية ، خاصة المدفع المضاد للدبابات ٤٥ م م والمدفع الصاروخي المضاد للدبابات كاتيوشا (كاتي) واثبت رجال المدفعية الروسية بسالة منقطعة النظير فكانوا يموتون دائما الى جانب اسلحتهم ولا يسلمون . ورغم معدلات انتاج المدفعية فان التنظيم الجديد والجريء للمدفعية الذي اقدم عليه الجنرال فورونوف وذلك بانشاء « قيادة عليا للاحتياطي يجمع فيه كل قوى المدفعية بعد سحبها من الاسلحة الاخرى بما في ذلك سلاح المشاة ويوجهها في ساعة معينة الى احدى نقاط الجبهة فقط قد اعطى ثماره رغم مخاطره الكثيرة .

المقاومة تضرب من الخلف

وعند بداية كانون الاول استطاع الجيش الاحمر ان يستعيد قواه البشرية مرة اخرى وبعد كل الخسائر الجسيمة التي لحقت به ان يبلغ عدده ٤١٩٦٤٠٠٠ جندي « واضيف الى هذا العدد وحدات المليشيا العمالية التي وقفت الى جانب الجيش العامل والتي كانت تتلقى تدريبها احيانا لأول مرة في ميدان القتال . وفي موسكو وحدها بلغ عدد المقاتلين المدنيين ٤٥٠٠٠٠ منهم اكثر من ٥٠٠٠٠ طالب .

وكانت هناك قوة اخرى تخرج في مؤخرة الجيش الالمني وتضربه

ضربات شديدة وتعبث بخطوط مواصلاته وتعطل تقدمه ثم تختفي في الادغال والمستنقعات والليل كأنها الاشباح وهي قوى المقاومة . واستنفدت حرب العصابات في الخطوط الخلفية جهودا كبيرة من قيادة الجيش الالمني . فمع بدء الحرب عهد الى الحزب الشيوعي بتنظيم جيوب المقاومة من العمال والفلاحين في كل الاراضي المحتلة وعلى طول خطوط الجبهة ، وبذلك كان الالمان يواجهون جيشين مختلفين في آن واحد .

وفي قمة البناء السوفيتي كان ستالين يجمع كل الخيوط في يده ويوجه العمليات بنفسه ويتولى مناصبي وزير الدفاع والقائد الاعلى ويتصل بقيادة الوحدات العسكرية يوميا ، هذا ليوبخه وذاك ليهنئه ويبلغه ترقية وآخر ليأمر باعدامه ، فورا ، وفي الجبهة ، على ان ينشر نبا الاعدام في كل الوحدات العاملة لتعلم اسباب الاعدام وحتى « يتشجع الآخرون » . والى جانبه كانت تقوم « لجنة الدفاع عن الدولة » و « القيادة العليا » المؤلفتان من قادة الاتحاد السوفيتي العسكريين والسياسيين .

ويعتقد المؤرخون العسكريون بان القيادة السوفيتية العليا برئاسة ستالين استطاعت ادارة المعركة عسكريا وسياسيا بكفاءة نادرة عوضت عن قصر نظرهما السابق وسوء تقديرهما وكان لهما ، الى جانب الحزب ، الفضل الاول في تعبئة الناس ودفعهم الى الاستبسال في القتال وتعويق الفزو الالمني المتفوق على كل المستويات . كذلك فان قيادة ستالين استطاعت ان تعيد تنظيم الجيش الاحمر وبناءه من جديد وان تعيد اليه اعتباره وكفاءته العسكرية .

في ظل هذه الظروف بدأت معركة موسكو التي كان الجيش النازي يتلظى لها ويسيل لعابه طمعا فيها دون ان يتمكن يوما من تحقيق امنيته .

وحتى نستطيع الاحاطة الكاملة بمعركة موسكو يجب ان نستمع اليها من الجانبين ، الجانب الالمني ويرويه هنا الجنرال الفريد فيليبير احد قادة الحملة الالمانية في الجبهة الروسية ، والجانب الروسي ويرويها الماريشال زوكوف اعظم العسكريين السوفيت الذي عرفتهم الحرب العالمية الثانية وقائد جبهة موسكو والذي انتصر في كل معاركه حتى اطلقوا عليه لقب : الجنرال الذي لا يقهر .

وجهة النظر الالمانية

كتب الماجور جنرال اركان حرب الفريد فيليبير عن معركة موسكو

وعن الهجوم الألماني الأخير في اتجاهها يقول :
« لقد بدأ واضحا أن قوة العدو ، عددا وعدة ، وقوى المقاومة لديه ،
قد قدرت تقديرا خاطئا هو دون الحقيقة بكثير » .

وكتب الجنرال هالدنر في مذكراته بتاريخ ١١ آب ١٩٤١ :
« منذ اندلاع الحرب قدرنا قوة العدو بمائتي فرقة . حتى الآن
استطعنا أن نصد ٣٦ فرقة . صحيح أن فرقهم تكتيكيا تدار بأسلوب سيئ
وليست مجهزة على نفس مستوانا . . ولكنها هناك ! وكلما سحقنا
« دسته » جاءت أخرى . . . والعدو يكسب من عامل
الوقت بسبب قربها من مصادر امداداته في حين أننا نتحرك باستمرار بعيدا
عن مصادرها » .

واستطاع العدو أن ينشئ خطا عميقا للدفاع في مواجهة مجموعة
جيوش الوسط وامام موسكو . . واهيانا انشأ خطوطا وراء خطوط . . وبهذا
وجه الجيش الألماني من جديد بمهمة اختراق خطوط دفاع جديدة ومحصنة
تحصينا جيدا .

وكانت خسائرنا كبيرة منذ بدء الحرب خاصة بين الضباط وضباط
الصف فانخفضت قوة المشاة بمقدار الثلث ، وكذلك فإن خسارتنا بالآليات
كانت كبيرة جدا .

وتقررت الخطة النهائية للوصول الى موسكو في ٢٤ ايلول بعد
اجتماع للقيادة العامة لمجموعة جيوش الوسط حضره الفيلد مارشال فون
بوك وقائد الجيش الأعلى براوشيتش ورئيس الأركان الجنرال هالدنر، واطلقوا
على الخطة اسم « اعصار » وكان علينا أن نندفع في هجوم ساحق
مسافة ٣٠٠ ميل حتى نصل موسكو ، رغم أننا قد قطعنا حتى الآن
(٥٠٠) ميل في الأراضي السوفيتية .

ويتحدث الجنرال فيليبس عن التحركات التفصيلية لتحركات الجيوش
الألمانية . . وتقدمها السريع فيقول :

كما أراد القدر ، على أي حال ، ففي اللحظة التي هزم فيها العدو على
جبهة عريضة (واستطعنا أن نتقدم ثلثي المسافة الى الهدف النهائي)
وبدئ في ملاحقة قوات العدو المشتتة تغير الجو فجأة وهطلت الأمطار
وتعطلت المواصلات نهائيا . عندئذ لم تعد الملاحقة ممكنة . . رغم أن
المرحلة الأولى من الهجوم تكللت بالنجاح وانتهت بأسر ٦٧٣ ألف أسير
و ١٢٤٢ دبابة ، و ٥٤١٢ مدفعا .

وبعد الأمطار بدأ فصل الاوحوال . . وتوقفت الحركة تماما .

وفي الجانب الآخر ، فقد كان العدو مهيا لفصل الشتاء ، فهو في
أرضه وبلاده . وكانت قدرته على الحركة أكثر منا . . كنا نحارب عدوين :
الطبيعة والعدو .

الهجوم المضاد

وفي نفس الوقت بدأ العدو في هجمات مضادة هدفها توقيف رأس
الهجوم الى موسكو . وكتب المارشال بوك في مذكراته بتاريخ ٢٥ تشرين أول :
« المقاومة تزداد صلابة . . لقد أحضر العدو قوات جديدة من
سيبيريا والقوقاز ويقوم بهجمات مضادة على طرفي الطريق المؤدية الى
موسكو من الجنوب الغربي . أن النصف الجنوبي من جيشنا الرابع في
حالة دفاع لأنه لم يتمكن من جلب مدفعيته كاملة بسبب الاوحوال . . كذلك
فإن الهجمات المضادة تنطلق في نقاط أخرى على طول الجبهة . ولكن ، إذا
فكر الواحد بطريقة اجمالية ، فإن هذا كله لا شيء . أن توقفنا ناتج عن
توزيع قوائنا (كان بوك يريد تركيز قواته في خطوط أضيق) وبسبب
الطقس . أن الروس يكسبون الوقت لتقوية جهاز دفاعهم وإعادة بناء فرقهم
وهم الذين يسيطرون على وسائل المواصلات والقطارات التي تجيء الى
موسكو . أن كل شيء يبدو سيئا » .

« وبدأ هجومنا مرحلته الثانية نحو موسكو في النصف الثاني من
تشرين الثاني . وانخفضت درجة الحرارة الى عشرين تحت الصفر وتجمد
كل شيء . واجهتنا مقاومة وحشية اعاقت تقدمنا . كذلك فإن الطيران
الروسي استعاد نشاطه في الوقت الذي لم يستطع طيراننا أن يساعدنا كثيرا
بسبب نقص الوقود وسوء حالة الطقس . . وانخفضت فجأة معنويات جنودنا .
« وأخيرا تجمدت قوائنا الآلية تماما واصبحنا عاجزين عن
التحرك خطوة واحدة . . وبدأت الهجمات المضادة تهدد قوائنا . . وتأكد
نهائيا بأن الهجوم على موسكو قد فشل ولم يكن أمام قادتنا الا الاعتراف
بذلك . واتصل المارشال بوك بالقيادة العليا لاقناعها بالانسحاب وتوقيف
الهجوم إذا أرادت أن تتجنب فناء قوائنا جميعا . وأرسل بوك التقرير
التالي للقيادة العليا :

« بعد صراعات دموية أخرى فإن الهجوم سيتيح لنا احتلال أرض
محدودة وسندمر جزءا من قوات العدو ، ولكنه من المستبعد جدا أن نحرز
انتصارا استراتيجيا . أن الفكرة بأن العدو على حافة الانهيار هي من أحلام
الآفيون كما أثبت القتال في الأسبوعين الأخيرين . . لذلك فإنه من

العبث والسخف القيام بهجوم جديد خاصة وان التحمل الجسدي للجنود اشرف على النهاية» .

« واخيرا ، في الخامس من كانون الاول وافقت القيادة العليا على انسحاب قواتنا امام موسكو الى خطوط دفاعية خلفية .

« وعرفت القيادة السوفيتية حقيقة موقفنا واستغلته الى الحد الاقصى . . وبدا الهجوم الروسي المضاد ضد مجموعة جيوش الوسط بفرقها ال ٦٧ وهي في اضعف حالاتها ، وممتدة على جبهة طولها ٦٠٠ ميل ، بدون احتياطي وفي مواقع مكشوفة وبدون وقت لاعادة التجمع . لقد بدأ زوكوف الهجوم المضاد الذي سجل اول انتصار كبير لقوات الحلفاء ضد قوى المحور . . ولنترك زوكوف يتكلم بنفسه في المقتطفات الموجزة التي نقلها هنا من مذكراته عن معركة موسكو .

زوكوف يروي قصة المعركة

« ان تحول القوات السوفيتية من الدفاع الى الهجوم امام موسكو يجب النظر اليه من خلال الظروف الخاصة للوضع الذي تطور في الجزء الاستراتيجي الغربي ببداية كانون الاول ١٩٤١ . فالقوات الالمانية التي وجهت ضربتها الى شمال غرب موسكو بهدف تكسير اجنحة الجبهة الغربية اصبحت في حالة سيئة من الانهك الجسماني والمعنوي وامتدت خطوطها كثيرا . ولم يكن العدو يمتلك قوات احتياطية في الوقت الذي نشطت فيه حرب العصابات في خطوطه الخلفية .

وعلى اي حال ، فان الحالة كانت لا تزال سيئة بالنسبة للمدافعين . فقد خسروا كثيرا بدون ان يجبروا العدو على التوقف الكامل . وفي بعض النقاط كان العدو على مسافة تقل عن ٢٠ ميلا من موسكو ، وكان يجب صده مهما كان الثمن ، وقبل ان يكون من الممكن القول بان القيادة السوفيتية قد اتمت عملها . لذلك فان قرارنا بشن هجوم مضاد اتخذ في الوقت الذي كنا نخوض فيه معركة الدفاع وبعد ان استطاعت هجماتنا المضادة ان تثبت وجودها في اجنحة الجبهة الغربية عند نهاية تشرين الثاني وبداية كانون الاول .

« وحتى نهاية تشرين الثاني شغلنا الدفاع ووقف توقف العدو عن التفكير في الاعداد لهجوم مضاد .

« وفي ٢٩ تشرين الثاني كلمت ستالين بالتليفون وطلبت منه ان يأمر بنقل الجيش الاول الصاعق والجيش العاشر من احتياطي القيادة العامة الى

الجبهة الغربية حتى يمكننا توجيه ضربات اقوى للعدو ونتمكن من دحره عن موسكو . وانصت ستالين بدقة ثم سألني :

« هل انت متأكد من ان العدو قد وصل الى درجة الازمة وانه لا يستطيع احضار قوات جديدة للميدان ؟

فاجبته بان العدو منهك ولكن قواتي لا تستطيع تطهير الاراضي المتقدمة التي يحتلها العدو بدون جنود جدد . واذا لم نقض على قواته الان في هذه المنطقة فانه سيستطيع تعزيزها بقوات من الشمال والجنوب ويصبح عندئذ اشد خطورة .

« واخيرا ابلغني ستالين بانه سيستشير اولا هيئة الاركان ، ولذلك اتصل رئيس الاركان عندي الجنرال سوكولوفسكي ، بالتليفون ، بهيئة الاركان واوضح لهم الاسباب الداعية الى ضرورة نقل الجيوش وباسرع ما يمكن . . وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة ابلغتنا القيادة العليا بان طلبنا قد قبل وان الاوامر قد صدرت للجيوش بالتحرك بما في ذلك الجيش العشرون ايضا . ثم طلبوا منا ان نقدم لهم خطة لعملياتنا المقبلة .

« وقبيل الفجر تماما في ٣٠ تشرين الثاني اتصل بي ستالين بالتليفون وسألني عن رأي المجلس العسكري في شن هجوم مضاد على طول الجبهة . فاجبته بان قواتنا من الرجال والعتاد لم تكن كافية بعد ، ولكن قد يكون من الممكن تطوير هجماتنا في الاجنحة الى هجوم مضاد شامل . « وبعد ان وضعنا الخطط . . ارسلناها الى القيادة العامة . . ووافق عليها ستالين بدون تعديل .

« واتصل بي ستالين مرة اخرى في ٢ كانون الاول وفهمت منه بان القيادة العليا تفكر في عمليات اوسع . واتصل بي بعد ظهر ذلك اليوم واخبرني بان قوات جيراننا في الجبهات المجاورة قد امرت بالهجوم لتساند هجومنا . وفي ساعة متأخرة من ليلة ٤ كانون الاول اتصل بي مرة اخرى وقال : « هل يمكننا ان نساعد اكثر ؟ وكنت اعلم انه لا سبيل الى المطالبة بشيء كثير فقلت له بانني في حاجة الى مساندة جوية من احتياطي القيادة العامة وقوات الدفاع الجوية . . فوعدني بانه سيأمر الاركان العامة لتلبية طلبتي .

« ولم يكن هنالك موعد محدد لهجومنا المضاد . فقد تطورت هجماتنا الى هجوم شامل في ٦٥ كانون الاول وذلك نتيجة تنابع العمليات وتوسيعها جويا وارضيا ، وهكذا .

« وكان الصقيع الشديد يعوق تحركاتنا . . ورغم اننا لم نتفوق في

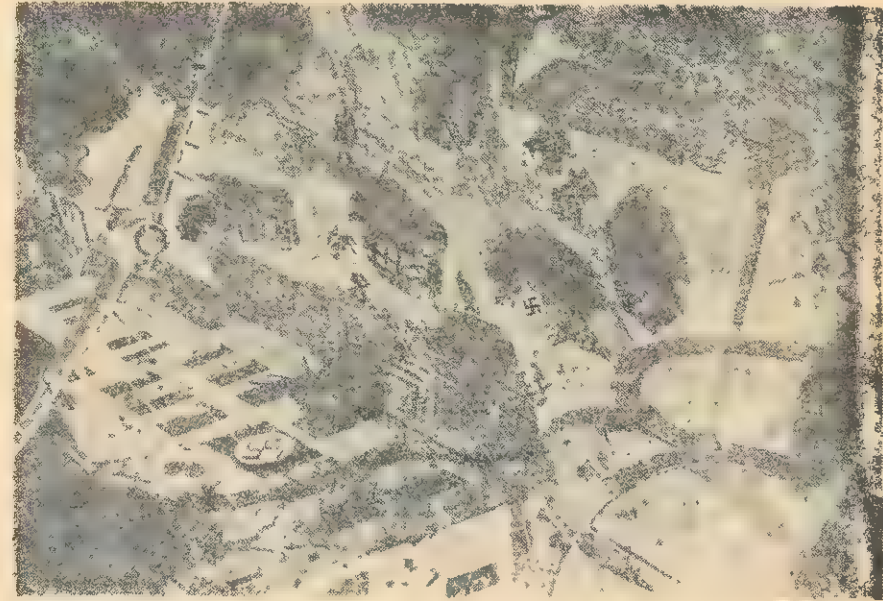
العدد على العدو الا ان معنويات جنودنا المرتفعة جعلتنا في مركز افضل . وقد كانت هذه المعنويات نتيجة عمل سياسي كبير قامت به دوائر الحزب ، قبل بدء الهجوم ، على كل المستويات حتى آمن الجميع بقدرتنا على سحق العدو امام موسكو . وهكذا بدأ هجومنا المضاد » .

ويستمر زوكوف بعد ذلك في وصف العمليات التي ادارها والتي انتهت بدحر القوات الالمانية من امام موسكو مسافات مختلفة تتراوح ما بين ٥٠ و ١٠٠ ميل .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي تهزم فيها القوات الالمانية هزيمة كبيرة منذ بداية الحرب .

واستمر بعد ذلك الاندحار النازي .. حتى ارتفع اخيرا علم الثورة السوفييتية فوق دار المستشارية في برلين .. بعد بضع سنين وملايين الضحايا .

فهذا هو ثمن النصر ..



المعركة في قلب برلين

معركة كورسك الهائلة

بقلم المارشال زخاروف رئيس
اركان حرب الجيش الروسي

اهمية المعركة

يقال عن معركة « كورسك » انها كانت واحدة من اهم المعارك في تاريخ الحرب الكبرى التي خاضها السوفييات ضد النازيين . ولو نظرنا اليها من ناحية اتساع نطاق المهمات الاستراتيجية والسياسية التي تحققت فيها عندئذ ، او من ناحية ضراوة المعارك وبطولة الجنود السوفييات وصلابتهم والفن الذي اظهره القادة العسكريون السوفييات ، لتبين لنا انها تشكل حدثا تاريخيا بارزا يعتبر دليلا على امجاد السلاح السوفيياتي .

فان الانتصار الذي حققه السوفييات في مرتفعات « كورسك » ضد الغزاة الفاشست الالمان ، كان نقطة تحول في الحرب السوفيياتية ضد الغزاة خاصة ، وفي مجمل الحرب العالمية الثانية عموما ، مما ادى الى وضع المانيا الفاشية على شفير الهاوية .

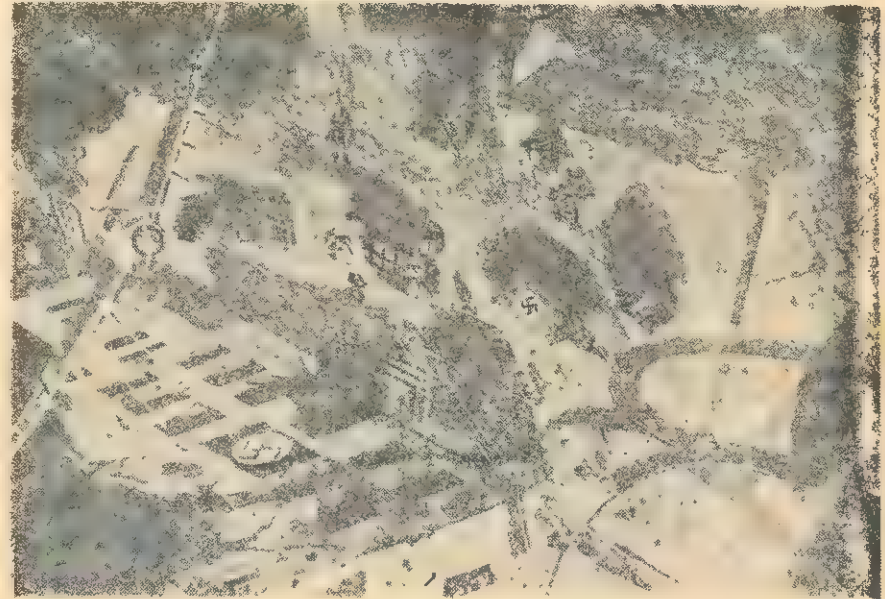
ان مزيفي التاريخ البورجوازيين يسعون بجميع الوسائل للتقليل من الاهمية التاريخية لمعركة « كورسك » ومن ضخامة الفشل الذي اصيبت به مخططات هتلر . ولكن هتلر نفسه كان قد ادرك مدى اهمية هذه المعركة . فقد بعث برسالة الى قواته في تلك الجبهة يوم ٤ تموز ١٩٤٣ قال فيها : انكم

العدد على العدو الا ان معنويات جنودنا المرتفعة جعلتنا في مركز افضل . وقد كانت هذه المعنويات نتيجة عمل سياسي كبير قامت به دوائر الحزب ، قبل بدء الهجوم ، على كل المستويات حتى آمن الجميع بقدرتنا على سحق العدو امام موسكو . وهكذا بدأ هجومنا المضاد » .
ويستمر زوكوف بعد ذلك في وصف العمليات التي ادارها والتي انتهت بدحر القوات الالمانية من امام موسكو مسافات مختلفة تتراوح ما بين ٥٠ و ١٠٠ ميل .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي تهزم فيها القوات الالمانية هزيمة كبيرة منذ بداية الحرب .

واستمر بعد ذلك الاندحار النازي .. حتى ارتفع اخيرا علم الثورة السوفييتية فوق دار المستشارية في برلين .. بعد بضع سنين وملايين الضحايا .

فهذا هو ثمن النصر ..



المعركة في قلب برلين

معركة كورسك الهائلة

بقلم المارشال زخاروف رئيس
أركان حرب الجيش الروسي

اهمية المعركة

يقال عن معركة « كورسك » انها كانت واحدة من اهم المعارك في تاريخ الحرب الكبرى التي خاضها السوفييات ضد النازيين . ولو نظرنا اليها من ناحية اتساع نطاق المهمات الاستراتيجية والسياسية التي تحققت فيها عندئذ ، او من ناحية ضراوة المعارك وبطولة الجنود السوفييات وصلابتهم والفن الذي اظهره القادة العسكريون السوفييات ، لتبين لنا انها تشكل حدثا تاريخيا بارزا يعتبر دليلا على امجاد السلاح السوفيياتي .

فان الانتصار الذي حققه السوفييات في مرتفعات « كورسك » ضد الغزاة الفاشست الالمان ، كان نقطة تحول في الحرب السوفييتية ضد الغزاة خاصة ، وفي مجمل الحرب العالمية الثانية عموما ، مما ادى الى وضع المانيا الفاشية على شفير الهاوية .

ان مزيقي التاريخ البورجوازيين يسعون بجميع الوسائل للتقليل من الاهمية التاريخية لمعركة « كورسك » ومن ضخامة الفشل الذي اصيبت به مخططات هتلر . ولكن هتلر نفسه كان قد ادرك مدى اهمية هذه المعركة . فقد بعث برسالة الى قواته في تلك الجبهة يوم ٤ تموز ١٩٤٣ قال فيها : انكم

نشتركون ، ابتداء من اليوم ، في معارك هجومية كبرى يمكن ان تقرر نتيجة الحرب . وسيقتنع انتصاركم العالم اكثر من أي وقت مضى ، بان من العبث مقاومة الجيش الألماني .

استعدادات عظيمة

والحقيقة ان القوات النازية كانت قد استعدت استعدادا دقيقا للهجوم على « كورسك » . فمئذ ربيع عام ١٩٤٣ جرت في المانيا تعبئة جميع الرجال القادرين على حمل السلاح ، والذين تتراوح اعمارهم بين ١٧ و ٥٠ سنة ، وذلك لتغطية الخسائر البشرية ، وترميم العديد من الفرق التي هلك عدد كبير من رجالها . كما ان القادة الفاشست ، رغبة منهم في زيادة الانتاج الحربي بكل الوسائل ، قاموا بتشغيل ٦ ملايين و ٣٠٠ الف من اسرى الحرب والعمال الاجانب في الصناعة ، مع تخصيص اكبر قدر من الاهتمام لانتاج دبابات جديدة من طراز « فهد » و « نمبر » ، ومدافع جديدة متنقلة من طراز « فردينان » .

وقد استغلت القيادة الالمانية عدم وجود جبهة ثانية في اوروبا ، فحشدت قوات كثيرة في منطقة « كورسك » ، ونقلت خمس فرق من فرنسا والمانيا الى القطاع الواقع جنوب اورييل وشمال خاركوف كما استحضرت خمسة اسراب جوية من فرنسا والنرويج والمانيا ، وانشأت مجموعتين جبارتين للصدام ، في جنوب الاوريل وشمال خاركوف .

وقد وضعت القيادة الهتلرية خطة اطلقت عليها اسم « خطة القلعة » . وبموجبها كان من المقرر ان تهاجم عدة فرق المانية معا وتتلاقى في نقطة واحدة عند قطاعي بيلغورود واورييل ، على ان تقوم بعد ذلك بتطويق القوات السوفياتية في قطاع كورسك وابادتها ولكنها لم تستبعد توسيع الهجوم ، سواء باتجاه موسكو او باتجاه الجنوب الشرقي اذا نجحت خطتها .

حشد ٥٠ فرقة

وتحقيقا لهذا الهدف حشد الالمان خمسين فرقة ، منها ١٦ فرقة مدرعة وآلية ، و ٩٠٠ الف رجل ، وعشرة الاف مدفع ، بما فيها مدافع الموتر ، وحوالي ٢٧٠٠ دبابة ومدفع متنقل ، واكثر من الف طائرة . وكان الالمان يعلقون آمالا كبيرة على المعدات الحربية الجديدة التي زودوا بها مثل دبابات « الفهد » و « النمر » ومدافع « فردينان » وطائرات

« فوسك - وولف - ١٩٠ - ١ » و « هنشل - ١٢٩ » . ولذلك فان القيادة الالمانية لم تكن تشك في النجاح قط .

وفيما بعد قال الجنرال ه. ميلانين رئيس الاركان السابق لجيش الالمانى المدرع الثامن والاربعين الذي اشترك في المعركة : ليس هناك هجوم سبق اعداده بمثل هذه الدقة .

وكانت القيادة الالمانية لدى اعدادها عملية « القلعة » تضع نصب عينيها اهدافا حاسمة ، لان وضع المانيا عقب الهزائم التي منيت بها في الاتحاد السوفياتي في شتاء ١٩٤٢ - ١٩٤٣ ، كان يزداد سوءا .

وبالاضافة الى ذلك كانت حركة المقاومة الوطنية تتصاعد في البلدان التي احتلتها المانيا ، وكان ذلك يعزز رغبة المانيا للانتقام من الهزيمة التي حلت بها في ستالينغراد وقد اختيرت مرتفعات كورسك لتسديد ضربة قوية الى السوفيات كان من شأنها ان تعيد الوضع لمصلحة الالمان على الجبهة وفي علاقاتها مع الاقطار الاخرى ، لو قدر لها ان تنجح .

بدء الهجوم الالمانى

وفي ٥ تموز ١٩٤٣ بدأ الالمان هجومهم من قطاعي بيلغورود واورييل فاصطدموا بمقاومة قوية حسنة التنظيم من جانب السوفيات ، واخفق هجومهم هذا بسرعة .

وعلى الجانب الشمالي من مرتفعات كورسك لم تستطع القوات الالمانية التقدم سوى مسافة تتراوح بين ٩ كيلومترات و ١٢ كيلومترا في دفاع الجبهة الوسطى ، وذلك في جبهة واسعة جدا . وفي القطاع الجنوبي استطاع الالمان في ١٢ تموز ان يتوغلوا مسافة ٣٥ كيلومترا ، ولكن القوات السوفياتية في جبهة فورونيج ، مدعومة بقوات الجبهة الشعبية ، قامت بهجوم مضاد اوقفت خلاله تقدم الالمان ، واستطاعت في ٢٣ تموز ان تعيدهم الى المواقع التي انطلقوا منها اصلا .

الهجوم المضاد

وخلال المرحلة الدفاعية من معركة كورسك اعدت الاسس الضرورية لانتقال القوات السوفياتية الى مرحلة الهجوم المضاد الذي بدأ في ١٩ تموز . وقد بدأ سلاحا المدفعية والطيران السوفياتيان عملهما صباح ١٢ تموز ، وكان عملهما فعالا في الحاق الخسائر بالعدو ، فلم يتمكن الالمان ، بعد

ان اصابوا بضربات قاصمة ، من ان يبدو اية مقاومة جدية . ومع انهم حاولوا القيام بهجمات معاكسة في قطاعات عديدة ، فانهم لم يحققوا اي نجاح .

وقد قاتلت القوات السوفياتية ببسالة متناهية ، حتى غدت البطولات شيئا عاديا ويوميا . وكان جنود الدبابات ورجال المدفعية والمشاة يبرهنون عن صلابة لا مثيل لها .

وفي هذه المرحلة برز الطيار السوفياتي ماريسيف الذي استمر يقاتل ضد الالمان ، رغم قدميه المبتورتين ، حتى اسقط ثلاثا من طائراتهم . ولقد اشتركت شخصا في المعارك بالقطاع الجنوبي من مرتفعات كورسك ، وكنت اود ان اتحدث بتفصيل اكثر عن عملية بيلغورود - خاركوف الهجومية التي قامت بها قوات الجبهة الشعبية ، بقيادة الجنرال كونييف، والتي كنت رئيسا لاركانها .

وكان على القوات السوفياتية ان تخوض معارك مريرة لاختبار دفاع العدو الجيد التحصين والموزع توزيعا ممتازا .

ولدى اعداد تلك القوات للمعركة ، كان يبرز عدد كبير من المسائل حول التمكن بالدخائر والوقود والاغذية ونقل القوات من قطاع الى آخر . لكن القائد والمجلس العسكري وهيئة اركان الجبهة ، كانوا يعتبرون ان الحلقة الاهم في عملهم ، هي اعداد الرجال للمعارك الحاسمة ضد الغزاة .

ولقد بينت تجربة الحرب مدى اهمية انشاء انطلاقية هجومية للجيش، ولم يكن هناك شيء يؤثر في قواتنا التي اتعبتها الاستعدادات والمعارك ، من المثال الشخصي ، والتوجيهات المخلصة ، والصرامة المطلوبة ، التي كان يمارسها القادة . ولا زلت اذكر ان الضباط والمفوضين السياسيين كانوا يقضون ايامهم ولياليهم بين الجنود . وكانوا يقولون للجنود انه وراء الاستحكامات الحربية للالمان تبدأ اراض اوكرانيا المعذبة التي تنتظر دخول ابنائها الينا محررين ، وان طريقنا تؤدي اليها حتما ، وان علينا ان نحطم العمود الفقري للعدو .

٦ آلاف مدفع تعمل معا

وعندما حانت ساعة الصفر ظل زهاء ستة الاف مدفع تقصف استحكامات العدو النازي طوال ثلاث ساعات دونما توقف او انقطاع . وفي الساعة الثامنة من صباح ٣ آب انتقلت دباباتنا للهجوم وتقدمت بسرعة ولم يتمكن العدو من الصمود في وجه الضغط السوفياتي .



من ويلات الحرب

وكان يوم ٥ آب هاما بصورة خاصة ، فقد تحررت في ذلك اليوم مدينتان روسيتان هما اوريل وبيلفورود .

ولم يكد الالمان يستفيقون من هول هذه الضربة حتى اصابوا بضربة اخرى .

وكان الفيلد مارشال مانشتاين الالمانى ، قائد مجموعة جيوش الجنوب ، عصيبا بشكل خاص . فقد سبق له ان اصاب بهزيمة شنعاء في ستالينغراد ، وكان يسعى لاستعادة اعتباره كقائد عسكري كبير في كورسك ، وكان قد تبجح امام هتلر بانه قد هزم قوات الجيش الاحمر ، وان هذه القوات لم تعد قادرة حتى على الدفاع . . ولكنه يجد نفسه الان مضطرا لابلغ هتلر وهو يتراجع مذعورا ، بان الروس متفوقون تفوقا جبارا .

وبعد ذلك واصلت القوات السوفياتية هجومها على خاركوف عاصمة اوكرانيا الثانية ، واضطرت الى خوض معارك قاسية جدا قبل ان تستعيد هذه المدينة المهمة في ٢٣ آب ، وبذلك فتح الطريق الى اوكرانيا كلها من ضفة الرونباس اليسرى ، وكان تحرير خاركوف نهاية للمرحلة الثانية من معركة كورسك .

المعركة الاخيرة

والواقع ان معركة كورسك التي اطلق عليها الهتلريون اسم « المعركة الاخيرة من اجل انتصار المانيا » ، انتهت بانتصار مجيد للجيش السوفياتي وهزيمة ساحقة للجيش الالمانى الذي تحطمت عشرون فرقة من فرقها ، منها ٧ فرق مدرعة ، اي نصف الفرق الالمانية التي كانت مرابطة امام كورسك . كما خسر حوالي نصف مليون قتيل ، و ١٦٠٠ دبابة ، وثلاثة الاف مدفع ، واكثر من ٢٥٠٠ طائرة .

ولقد بذل العدو محاولة اخيرة لتغيير مجرى الحرب لصالحه ، ولكنه اخفق اخفاقا ذريعا ، وظهر شبح الكارثة النهائية امام الدولة الالمانية بكل هوله وضخامته .

وقد اضطر ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الراحيل ، الى الاعتراف بتأثير هذه المعارك على المجرى النهائي للحرب ، فقد قال : ان المعارك الثلاث الكبرى من اجل كورسك ، واوريل ، وخاركوف ، التي جرت

كلها خلال شهرين ، سجلت انهيار الجيش الالمانى في الجبهة الشرقية . وجدير بالذكر ان اولئك الذين كانوا يتحدثون عن جبروت الجيش النازي ، كانوا يزعمون ان الجيش السوفياتي لا يستطيع احراز الانتصارات الا بالتحالف مع فصل الشتاء الروسى الشديد البرودة ، وان الصيف هو فصل هجوم الجيش الالمانى وانتصاراته . غير ان الانتصارات الساحقة التي حققتها القوات السوفياتية امام كورسك كذبت كل هذه الادعاءات . . فقد جرت معركة كورسك في « عز » الصيف .

تطور الفن العسكري السوفياتي

وقد سجلت معركة كورسك مرحلة مهمة في تطور الفن العسكري السوفياتي . وثبت ان النصر في المعركة يعود الى تقدير صحيح للوضع ونسبة القوى ، وحصول القيادة على معلومات كافية عن خطط العدو واتجاهات هجماته .

وسجل الانتصار السوفياتي في كورسك كذلك انعطافا جذريا في مجرى الحرب وحطم العمود الفقري للجيش الالمانى وادركت المانيا النازية لأول مرة ان هزيمتها غدت محتومة .

كما اثبت هذا الانتصار جبروت الاتحاد السوفياتي ومقدرة قواته المسلحة وفنه العسكري العظيم .

ولا يزال السوفيات يذكرون باعتزاز كل ما يتصل بمعركة كورسك . لكن باستطاعتنا اليوم ، بعد انقضاء ٢٥ عاما على هذه المعركة ، ان نلاحظ بان كثيرين قد نسوا عبر الماضي ودروسه . فلتكن نتائج هذه المعركة تحذيرا قاسيا للمعتدين الامبرياليين ، وبالدرجة الاولى للاميركيين الذين يخلقون بؤرا جديدة للتوتر في العالم ، ويعتبرون انفسهم بوليس العالم ، فيعتدون على حريات الشعوب واستقلالها . كما ان كورسك ستظل درسا وعبرة للالمان الفريبيين الذين يطمحون الى تعديل خارطة اوربا من جديد ، تغييرا واقتطاعا .

الايام الاخيرة للنازية

الهجوم الألماني الأخير في فرنسا

الموقف الأخير

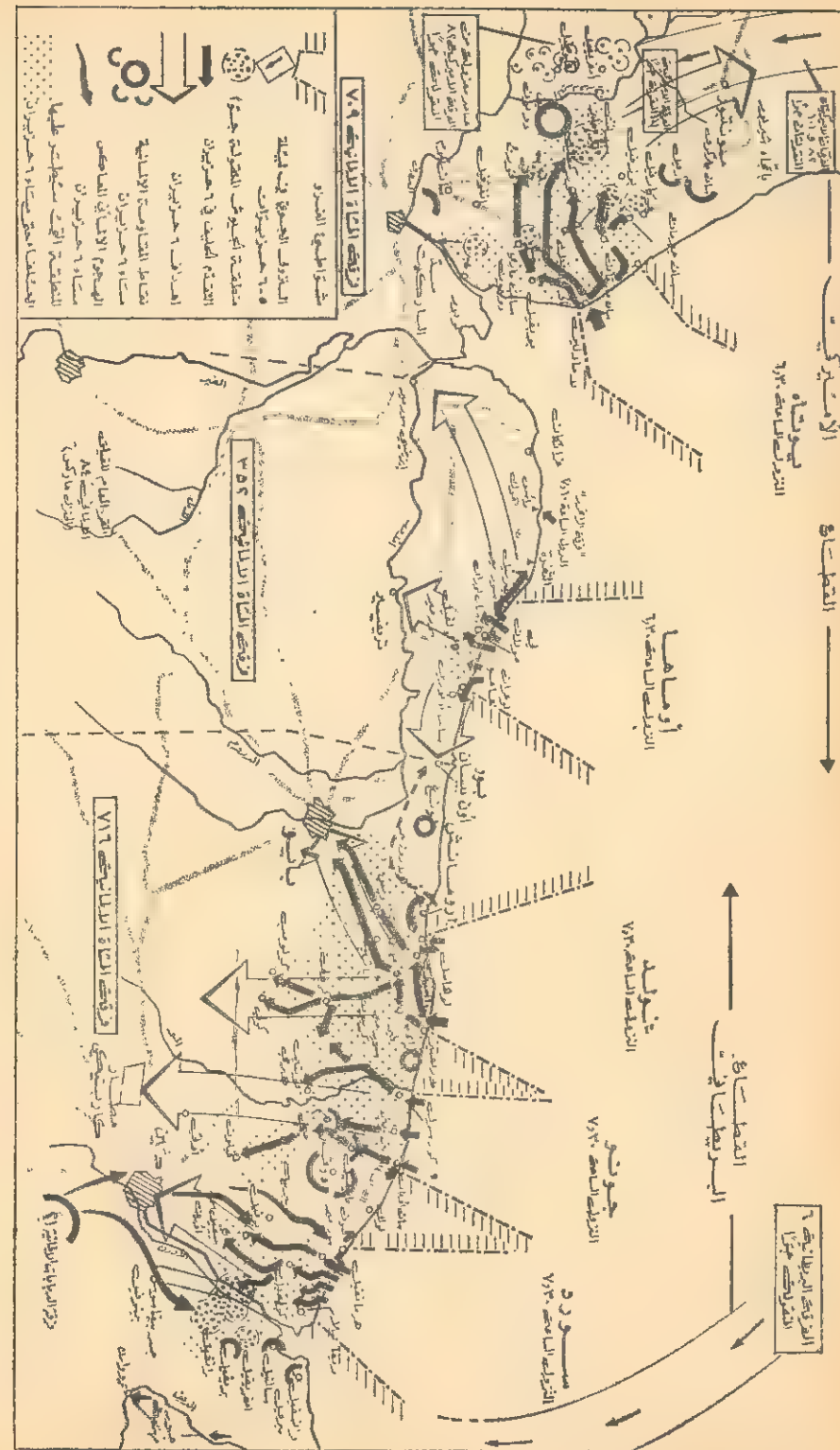
أشرق ميلاد عام ١٩٤٤ على الرايخ الألماني وقوات أعدائه لا تزال عاجزة عن أن تظا أرضه ، على الرغم من أنها كانت تحيط به من كل جانب ففي الجبهة الشرقية كان الألمان قد استطاعوا إيقاف اندفاع الجيش الروسي باتجاه برلين . . وفي الجبهة الغربية كانت حملة نورماندي الانكلو - أميركية قد تعثرت وضعف اندفاعها بعد نجاحها في طرد الألمان من فرنسا وبلجيكا . . وتوقفت عند الحدود الدفاعية لألمانيا . وكان هتلر يدرك أن وقف اندفاع القوات الفازية أصبح مستحيلا ، ومع ذلك قرر أن يقامر ويلعب لعبة خطيرة لو قدر لها النجاح لفيرت أحداث التاريخ .

كان ذلك السبت الحاسم ١٦ كانون الأول ١٩٤٤ ، باردا جدا في مقر القيادة العليا لقوات الحلفاء في أوروبا . وكان الضباب مخيما على المنطقة التي يحتلها العدو منذ عدة أيام ، ولذلك كان من الصعب علينا أن نحصل على معلومات صحيحة عن نشاطه .

وقبل الفجر بقليل ، تلقيت تقارير عن هجمات قام بها العدو في الليل وفي الصباح الباكر في الإردن . وذكرت التقارير أن العدو قذف في المعركة ، كما يبدو ، بعدة فرق .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر كنت مضطرا لحضور اجتماع دعا اليه الجنرال أيزنهاور في غرفة الخرائط بفرساي . وقد حضر هذا الاجتماع

النزو الحليف لألمانيا



الجنرالات برادلي ، وبيدل سميث ، وبل ، وسباتز ، ومارشال الجو ثيدر ، وكان الفرض الرئيسي منه بحث النقص في التعزيزات الحليفة . . ولم يبحث الجنرالات في الهجوم الألماني الا عرضا لانهم حتى تلك اللحظة كانوا يظنون هجوما ثانويا لا أهمية له .

وقد جلسنا جميعا في مقاعدنا فيما وقف ايزنهاور ليشرح لنا انه لا يستطيع البقاء مشلولاً عن الحركة في الوقت الذي يواصل فيه العدو تحسين مواقعه الدفاعية وتنظيم فرق جديدة . وكان الجنرال بيدل سميث قد بدأ يسأل الجنرال برادلي عن رأيه في مدى نجاح الهجوم من الشمال لاحتلال سدود نهر المور ، عندما استدعيت فجأة في امر هام ومستعجل .

الحالة خطيرة

كان في انتظاري على الباب مساعدتي الاميركسي البريفادير جنرال بيتس ، وهو في العادة رجل هادئ الاعصاب ، ولكنه في هذه المرة بدا لي منهارة تماما . وقد حمل لي اخبارا عن الوضع في جبهة الاردن حيث بدا لي ان الحالة اصبحت خطيرة وسيئة .

كانت الانباء التي حملها مساعدتي ملأى بالتناقضات والثغرات ، كما يحدث خلال احتدام اية معركة ، ولكن كان هناك امرين واضحين تماما في هذه المرحلة :

١ - ان الالمان وجهوا ضربتهم الى جزء من الجبهة كانت السيطرة الاميركية عليه ضعيفة .

٢ - تشترك في القتال فرقة المانية كبيرة ، مما يدل على ان هناك شيئا غير عادي .

تلك اذن كانت بداية العملية التي عرفت فيما بعد باسم « معركة البيلج » وبعد ذلك بايام قلائل كتبت في دفتر مذكراتي الرسمية خلاصة قلت فيها : « لقد ارسل الفوهرر شخصيا جيوشه الغربية في عملية مقامرة واسعة النطاق ونهائية اعدت منذ زمن طويل عن سابق تصور وتصميم . وفي احدى الهجمات المضادة قذف الالمان بكل ما يملكونه من جنود في المعركة » . والواقع ان فكرة « معركة البيلج » كانت من اعداد هتلر ، وقد وضعها في منتصف شهر ايلول عندما كانت جيوشه تتراجع على طول الجبهة في نورماندي .

اهداف الهجوم

وبعد انتهاء الحرب قال لنا الجنرال جودل رئيس العمليات العسكرية لدى هتلر ان اهداف الهجوم كانت ما يلي : احتلال انتورب ، شطر جيوش الحلفاء الى شطرين ومحاصرتها ، توجيه ضربة شبيهة قاضية الى الحلفاء بحيث يصبحون عاجزين عن القيام باية حركة ضد المانيا زمنا طويلا .

ولكن فيما عدا بعض كبار القادة العسكريين لم يكن احد في الجيش الألماني كله يعرف النطاق الحقيقي لمشاريع هتلر . وقد استخدم الالمان مختلف انواع الحيل والخداع والسرية لاخفاء مقاصدهم الحقيقية . فقد اطلقت على التشكيلات العسكرية اسماء كاذبة وارقام مزورة . وكانت البرقيات المرسلة بالشفيرة تمر من مقر قيادة كاذب الى مقر قيادة كاذب آخر . اما التحركات التي سبقت الهجوم فلم تكن تجري الا خلال ساعات الليل . وكانت الطرق تفرش بالقرش لامتناص اصوات المدرعات والدبابات والسيارات .

وكانت الخطة الألمانية تستهدف القيام بهجوم رئيسي تشنه ثلاثة جيوش تعمل على جبهة يبلغ طولها ٧٥ ميلا . وكان الجيش الشمالي بقيادة الجنرال النازي السوء السمعة سييب ديتريش ، الذي كان من المقرر ان يحتل انتورب في خلال اسبوع واحد ، وجيش الوسط الذي كان يقوده الجنرال فون مانتيفيل ، احد القادة الصليبين القديرين الذي ينتمي الى المدرسة العسكرية الألمانية القديمة ، وكانت مهمته احتلال مركزي طرق رئيسيين ، والاندفاع من هناك الى بروكسل وما خلفها .

اما الجيش الثالث الذي يقوده الجنرال براندينبيرغر القدير والموثوق به ، فقد كلف بتفطية الجناح الجنوبي للهجوم .

وكان الجيشان الاولان يضمن معظم التشكيلات المدرعة التي كان مقررا لها ان تحقق الاهداف المطلوبة ، كما كانا يضمنان معظم فرق الصاعقة مفخرة الجيش الألماني .

طبعا هذه المعلومات كلها عرفناها فيما بعد . ولكن في الاجتماع الذي عقد في غرفة الخرائط بمقر قيادة الحلفاء بفرنسا لم يكن بوسعي ان ابلغ الجنرال ايزنهاور وغيره من الجنرالات الذين كانوا مجتمعين في تلك الغرفة ، سوى المعلومات التي نقلها الي مساعدتي .

وعلى الفور قال الجنرال بيدل سميث ان الجنرال عمر برادلي حذر من احتمال وقوع شيء كهذا ، فرد الجنرال برادلي بقوله انه خاف من وقوع مثل هذا الهجوم وضع فرقتين على استعداد للتدخل فور وقوعه ، وطلب ان

يسمح له بمغادرة مكان الاجتماع للاتصال بكبار مساعديه وضباطه وإبلاغهم تعليماته .

بقي الجنرال برادلي معظم تلك الليلة في مقر القيادة العليا ، كما حضر إليها في ساعة مبكرة من الصباح . . وفي ذلك الوقت كانت التقارير الأولية من الجبهة قد بدأت تصل إلى القيادة .

١٧ فرقة

اتضح لنا من هذه التقارير أن الوضع كان أخطر من كل ما قدرناه أو تصورناه . فقد بقي الألمان في المعركة بنحو ١٧ فرقة على الأقل (الفرقة تتراوح بين ١٢ و ١٥ ألفا) أي أكثر بكثير مما كنا نظن أن الألمان لا يزالون قادرين على قذفه في الحرب . وعلى الأثر قرر الجنرال برادلي العودة على الفور إلى مقر قيادته في لوكسمبورغ ولكن لم يكن قد سادنا القلق بعد . وظل الجنرال برادلي وغيره من كبار القادة يعتقدون أن الهجوم الألماني لن يستمر وسيُنظف بالنظر إلى ضعف الموارد الألمانية .

مسؤولية المخابرات

ولقد ساد الموقف شعور آخر ، وهو أن الحلفاء أخذوا على حين غرة ، وأن المخابرات الحليفة تتحمل المسؤولية عن ذلك . ولكنني لم أكن الآن مهتما بتنظيف سمعتي وسمعة الدائرة التي أشرف عليها ، بقدر اهتمامي بمعرفة العدد الصحيح للفرق الألمانية المشتركة في المعركة ، وأين هي على وجه التحديد ، ومن أين تتزود بالمواد والبتروال والذخائر .

ولقد ازداد قلقي عندما اكتشفت أن عدد الفرق الألمانية المشتركة في المعركة وصل الآن إلى ٢٥ فرقة ، وأن بعض طلائع هذه الفرق ، توغلت توغلا عميقا في خطوطنا . إذن لقد كان هذا أكثر من مجرد هجوم لتخفيف الضغط عن الألمان .

جومتوتر

وفي ١٩ كانون الأول عقد الجنرال إيزنهاور مؤتمرا لقادته الرئيسيين في مقر قيادته المتقدم بفيردان لاستعراض الوضع . كان الجو متوترا والبريطانيون في قلق من جراء تطور الأحداث . والواقع أن ثقة البريطانيين

بالقيادة العسكرية الأميركية كانت دائما ضعيفة ، ولكنها كانت اليوم أضعف منها في أي وقت مضى ، وكنا نحن البريطانيون نعتقد أن الأميركيين أعجز من أن يستطيعوا التغلب على وضع حرج كهذا الذي نواجهه اليوم ، خاصة وأن الأخبار كانت قد بدأت تصل عن فوضى خلف الخطوط الأميركية ، والتخلي عن قيادات أميركية بشكل مفاجيء ، وسقوط كميات كبيرة من الأسلحة والوثائق في أيدي العدو وهي سليمة تماما . . ولم تفلح القصص التي رويت عن الشجاعة الكبيرة التي أبدتها بعض الأفراد في تبييض صفحة الجبن العامة التي بدت بها القوات الأميركية .

وقد استهل الجنرال إيزنهاور المؤتمر العسكري بقوله أننا يجب أن نعتبر الوضع الحالي فرصة لنا لإثبات مواهبنا ومقدرتنا ، لا كارثة أو مأساة . ثم التفت إلي وطلب مني أن أكشف الوضع على حقيقته للقادة .

هجوم عام

كنت في هذه الأثناء قد حصلت على صورة شبه كاملة للوضع ، فقلت أنه ليس هناك أدنى شك بأننا نواجه هجوما ألمانيا عاما يستهدف احتلال بروكسل وفصل جيوشنا .

وقال الجنرال إيزنهاور أنني على حق ، وذكر أنه لا ينوي البقاء مكتوف اليدين إزاء هذا التهديد . وأضاف يقول أن القوات الحليفة لا تزال صامدة على كلا كتفي التفلفل الألماني ولكن في الممر الواقع بين هذين « الكتفين » كان الألمان قد توغلوا عميقا جدا وحاصروا جزر المقاومة الصغيرة ، ولكي يصبح بالإمكان وقف اندفاع الألمان ينبغي مهاجمتهم من الشمال والجنوب . كان بالإمكان شن الهجوم الجنوبي بسرعة ، أما الهجوم من الشمال فقد تقرر تأخيرته حتى يصبح الوضع أكثر وضوحا وصفاء . وعلى الفور كلف الجنرال باتون بوقف جميع عملياته في الجبهة والاتجاه شمالا .

وكان هدفه الأول مساعدة « باستون » ، وهي إحدى جزر المقاومة المحاصرة . وكانت قوات المظليين قد أرسلت إليها ولكنها لم تستطع أن تنجدها تماما . . فضلا عن ذلك فإن الدخائر كانت قد بدأت تنفذ منها . وعندما سأل إيزنهاور باتون عن الوقت الذي سيستغرقه للبدء في التحرك نحو الاتجاه الجديد ، أخذ الجنرالات الإنكليز يضحكون عندما أجاب باتون قائلا : ٤٨ ساعة .

وافق القائد العام على ذلك ، ولكنه طلب من الجنرال باتون ألا يتحرك

قبل ٢٢ كانون الاول ، لانه يريد ضمان توفير جميع اسباب القوة للهجوم .
ولقد رد الجنرال باتون على ذلك بالموافقة وتحرك فسي الوقت المعين
ووصل الى اهدافه في الوقت المعين ايضا . وقد وصف الجنرال عمر
برادلي بعد ذلك ما فعله الجنرال باتون بانه كان من اعظم الاعمال العسكرية
التي سجلها تاريخ الحروب .

انباء مقلقة

غادرت فردان لدى انتهاء الاجتماع في طريقي الى باريس وانا ممتلئ
اعجابا بالجنرال ايزنهاور ، ولكنني قلق في الوقت نفسه حول المستقبل .
وعندما وصلت الى فرساي في الساعة الثامنة مساء ، عقدت اجتماعا
مع كبار مساعدي الذين ابلغوني ان الاندفاع الالماني باتجاه « الميز » مستمر
دون توقف او تباطؤ ، وان الجيوش الالمانية تواصل زحفها السريع متجاوزة
جزر المقاومة ، وانها تقترب بسرعة من مخازن الوقود الاميركية . . وهذا ما
اقلقنا وشغل بالنا اكثر من أي شيء آخر .
وعندما انتصف الليل كانت انباء الجبهة قد ازدادت سوءا وبدا كما لو
ان الخطوط كلها تتساقط امام الجيوش الالمانية الزاحفة تساقط اوراق
العنب . .

وخيل الي ان لا سبيل لتنفيذ خطة الجنرال ايزنهاور بشن هجوم
مضاد على الالمان الا اذا حدث تغيير في القيادة ووضعت كل الجيوش
المشاركة في الهجوم شمال التفلفل الالماني ، تحت قيادة رجل واحد مثل
الجنرال مونتغمري .

امر بطردي

اثار هذا الاقتراح ضجة بين الاميركيين الذين كانوا يكرهون مونتغمري
. . وذهب الجنرال بيرل سميث الى حد اتهامي والجنرال هويتلي بالتحيز
الى جانب ابناء جلدتنا الانكليز ، وقال اننا لم نعد موضع ثقة من قبل هيئة
اركان الجنرال ايزنهاور . واذاف يقول انه ستصدر الينا غدا تعليمات
باعفائنا من مراكزنا واعادتنا الى بريطانيا !

توجهت الى فراشي في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل . . وفي
الساعة السابعة والنصف كنت في مكتبي بانتظار وصول التعليمات باعفائي
من الخدمة .

تبني الاقتراح

في الساعة الثامنة تلقيت مخابرة هاتفية تستدعيني انا والجنرال هويتلي
للتوجه الى الاجتماع الصباحي المعتاد لهيئة الاركان . كان الجنرال بيرل
سميث الذي ترأس الاجتماع يبدو غابسا ولم يتكلم الا نادرا ، ولكن ما كدنا
نفادر غرفة الاجتماع حتى لحق بنا وامسك بذراعي ثم قال انه يعتزم تقديم
اقتراحي بتولي الجنرال مونتغمري قيادة المنطقة الشمالية كما لو كان
اقتراحه الخاص .

وقال انه يرجونا ان نبقي صامتين وهو يتحدث الى ايزنهاور بهذا
الشأن لان صدور مثل هذا الاقتراح عن اميركي قد يكون مقبولا من ايزنهاور
. . اما صدوره عن بريطاني فانه سيعقد الموقف . .

تلفون لبرادلي

استمع الجنرال ايزنهاور بصمت الى اقتراح الجنرال بيرل سميث
حول تعيين مونتغمري . . ثم امسك سماعة التلفون واتصل بالجنرال عمر
برادلي . . وطبيعي اننا لم نكن نسمع سوى صوت ايزنهاور . . . ولكن كان
واضحا من الحديث ان برادلي يحتج بقوة على هذا التعيين . . ولكن
ايزنهاور ختم كلامه بقوله : هذه اوامر يا جنرال .

نقطة تحول

شعرت براحة نفسية كبيرة بعد اعادة تنظيم القيادة ، وادركت ان
الوضع سيتغير ، ولم يكن هذا مجرد شعور . . فان تعيين مونتغمري كان
في الواقع نقطة تحول في سير معركة الاردن .

وفي ٢٢ كانون الاول كان التقدم الالماني قد وصل الى ذروته ولكن
ايزنهاور عمل بسرعة وحزم ، وكان الهجوم المضاد قد بدا ينطلق .

وكانت مراكزنا الرئيسية في سانت فيت وباستون لا تزال تقاوم . . .
وكانت مقاومة سانت فيت من العوامل الرئيسية التي تسببت في هزيمة
العدو .

نداء بالاستسلام

وفي نفس هذا اليوم ، اي في ٢٢ كانون الاول ، وجه الالمان نداء الى
الحامية الاميركية في باستون للاستسلام . . فما كان من قائد الحامية

الماجور جنرال انطوني ماك اوليف الا ان اجابهم بكلمة واحدة دخلت التاريخ وهي « ننس » بالانكليزية التي تعني « انتم مجانين » .

وفي هذه الاثناء كان الضباب الذي استمر يغطي الجبهة منذ بدء الهجوم الالماني ، قد بدا يختفي ، وعادت الطائرات الحليفة للعمل ومهاجمة الطرق والسكك الحديدية ، وكانت النتيجة مذهلة ، اذ لم يعد بوسع جندي الماني او سيارة المانية التحرك على الطرق .

وقبل ذلك كانت طلائع القوات الالمانية قد وصلت الى نقاط لا تبعد سوى خمسة اميال عن نهر « الميز » ، واعتقد انه لو لم يتفقد الوقود معها ، لكانت قد اجتازت النهر .

وفي غضون ذلك كان مونتغمري قد تسلم القيادة وبدا يعيد تنظيمها ، ولكنه رفض مرات متعددة اقتراحات ايزنهاور وبرادلي بالاسراع في الهجوم . وفي اول كانون الثاني هاجم الالمان مطاراتنا حول بروكسل ودمروا عددا كبيرا من طائراتنا .. وكنتنا نظن ان هذه الضربة ستؤخر هجوم مونتغمري .. ولكن العكس كان الصحيح .

بدء الهجوم

وفي ٣ كانون الثاني هاجم مونتغمري من الشمال وباتون من الجنوب ، فقابلهما الالمان بمقاومة ضارية ، ولكن الجنود الاميركيين الذين كانوا منذ ١٦ كانون الاول قد تعرضوا لهزيمة مريرة كانوا الان غاضبين لا يريدون التوقف عند شيء .

وفي ١٦ كانون الثاني التقى الجيشان المهاجمان من الشمال والجنوب وبينهما في المصيدة وقع عشرات الالوف من الجنود الالمان والعربات والمدافع والدبابات .. وسرعان ما كانت الغابات القريبة مملأة بالجثث من الجانبين . وهكذا هزم الالمان .. وانتهت مغامرة هتلر الاخيرة .

مسؤولية المخابرات

ولكن يبقى السؤال : ما هي مسؤولية المخابرات عن هذا الهجوم الالماني ؟

لقد جرت بعد الحرب تحقيقات واسعة أدت الى تبرئة المخابرات من اية مسؤولية .. ولكن اذا كانت المخابرات غير مسؤولة ، فمن هو المسؤول عن مفاجئتنا بالهجوم ؟

اعتقد ان عوامل عديدة ساعدت على ذلك منها الشعور العام بأن الالمان غلبوا على امرهم وان قضية استسلامهم أصبحت مسألة وقت ليس الا ، ومنها الاحساس بأن الحرب تكاد تنتهي ، وكذلك ثقة الجميع بأن الالمان أصبحوا عاجزين عن تنظيم فرق جديدة ، واخيرا وليس اخرا الضباب الكثيف الذي أعاق كل استطلاع جوي .



حارب الفدائيون من قوات المقاومة ضد الالمان في كل مكان وهذه الصورة تمثل بعض رجالهم في فرنسا .

نهاية هتلر

وصف رائع لايامه الاخيرة

القصف السوفياتي

في ٢١ نيسان ١٩٤٥ ، اوقف هتلر من نومه في الساعة التاسعة والنصف صباحا وابلى ان برلين اصبحت تحت نيران المدفعية السوفياتية . وكان الجنرال ويلهالم بيرغدورف كبير مرافقيه ورئيس ادارة الجيش مع بعض المرافقين ومنهم غوينش ينتظرونه في غرفة الاستقبال في ملجأ المحصن تحت حديقة المستشارية . وبعد عشر دقائق دخل هتلر الغرفة مسرعا دون ان يكون قد خلق ذقنه ، وقد اعتاد في نهاية ايامه ان يخلق ذقنه بنفسه ، ولم يسمح لحلاقه الخاص ان يخلق له اذ قال انه لا يتحمل او يطيق احدا يحمل موسى يعمل فيها قرب عنقه .

وسأل هتلر : ماذا يحدث ؟ من اين يأتي اطلاق النار ؟ وابلفه بيرغدورف ان وسط برلين يتعرض لقصف شديد من المدفعية الروسية المتمركزة الى الشمال الغربي من زوسن . وتمتم هتلر متعجبا ، وقال : هل اقترب الروس الى هذا الحد ؟

اقصر اجتماع

وفي صباح ٢٢ نيسان زادت نيران المدافع السوفياتية كثافة وسقطت قنابلها في حدائق الوزارات القائمة في فيلهالم ستراس ، وكان صوت دويها

قويا بحيث استيقظ هتلر من النوم مذعورا في الساعة التاسعة صباحا . وبعد ان ارتدى الفوهرر ثيابه استدعى خادمه لينج (صاحب هذه الرواية) وسأله بقلق عن عيار المدافع التي يدوي صوتها بهذه الشدة . ويقول لينج انه اراد ان يطمئن هتلر ، اذ ابلفه ان ما يسمعه هو صوت المدافع المضادة للطائرات في حديقة المستشارية ومن مواقع المدفعية الروسية البعيدة المدى . وعندما تناول هتلر افطاره في مكتبه عاد الى غرفة نومه حيث قام طبيبه الخاص باعطائه حقنته المعتادة .

ودعا هتلر الى الاجتماع العسكري المعتاد عند الظهر ، وقد حضره كل من : الاميرال دونتيز قائد البحرية (تقول الروايات الغريبة ان دونتيز لم يحضر هذا الاجتماع اذ غادر برلين في الصباح الباكر ، ولكن الذي حضر هو نائبه الاميرال فوس) والمارشال كايتل ، والجنرال جودل ، والجنرال كريبس رئيس اركان حرب الجيش بالوكالة ، والجنرال بيرغدورف ، ومارتن بورمان مستشار الحزب الذي لم يعثر عليه حتى الان والمحكوم بالاعدام غيايبا في محاكمات نورمبرغ ، واوثوغوينش ، وغيرهم .

وقد كان هذا الاجتماع اقصر مؤتمر عسكري في تاريخ الحرب كلها وكانت وجوه المجتمعين قلقا وعلى شفاه الجميع سؤال تردد طويلا : لماذا لا يغادر الفوهرر برلين . وجاء هتلر من جناحه الخاص اكثر هدوءا من ذي قبل فحيا الحاضرين وجلس .

وبدا كريبس بتلاوة الوقائع العسكرية ، فابلى المجتمعين ان الحالة العسكرية تزداد سوءا في صفوف القوات الالمانية المدافعة عن برلين وان القوات السوفياتية استطاعت اقتحام بعض ضواحي العاصمة حيث يدور قتال عنيف يائس .

هتلر يقرر الانتحار

ونفض هتلر ، وانحنى على الطاولة امام خارطة كبرى ويدها ترتجفان ، ثم رمى بالاقلام الملونة التي كان يشير فيها الى الخارطة وانتصب ثم تنهد تنهيدة طويلة واحمر وجهه وانفتحت عيناه الى اقصى مدى ، وصرخ قائلا : انها النهاية . وفي مثل هذه الظروف لن استطيع ان اسير اي امر . لقد خسرنا الحرب . ولكنكم تخططون ايها السادة اذا كنتم تظنون انني ساغادر برلين . انني افضل ان اطلق الرصاص على رأسي .

وحملق الجميع فيه وانتابهم الرعب ، ولكنهم فض الاجتماع قبل ان ينطق احدهم بكلمة قائلا : شكرا لكم ايها السادة وغادر القاعة .

وتجمد الحاضرون جميعهم متسائلين : هل هي النهاية ؟ ثم قام غوينش ولحقه وسط اصوات الرجاء الصادرة من الحاضرين داعية هتلر لاعادة النظر في قراره . ولحقه غوينش عند الباب المؤدي الى مكتبه فوقف هتلر وصرخ به قائلا : اعطني غوبلز على التلفون .

مقابلة غوبلز

وكان الحاضرون في حالة مسن الارتباك والفوضى يتحدثون جميعهم دفعة واحدة ويقاطعون بعضهم البعض . ولما خرج غوينش من مكتب هتلر سألوه جميعهم بلهفة : اين الفوهرر ؟ ماذا قال لك ؟ فابلغهم غوينش انه يحدث غوبلز على التلفون .

وقد بدا بورمان ظاهر العصبية وظل يردد : مستحيل .. مستحيل .. لا يمكن للفوهرر ان يقتل نفسه . وقال كايتل : يجب ان نمنعه .

وبعد دقائق حضر غوبلز مسرعا وسأل عن مكان هتلر فافتيد اليه فورا . واستغرق اجتماع الرجلين ١٠ دقائق فقط . وعندما خرج تجمهر حوله المجتمعون يسألونه عن حديثه مع الفوهرر ، فابلغهم ان هتلر يعتقد ان الحالة يائسة وان المانيا خسرت الحرب ، وانه منهار تماما وفي وضع لم يسبق ان شاهده فيه من قبل .

وابلغهم غوبلز انه صعق عندما ابلغه هتلر على التلفون بصوت مخنوق ان عليه ان يحضر فورا مع زوجته واولاده الستة الى ملجأ الفوهرر قائلا له : انها النهاية .

وكان بورمان بالغ الاضطراب وظل يردد انه يجب اقناع هتلر باية وسيلة بوجوب مغادرة برلين . ثم وجه غوبلز سؤالا لكايتهل بصوت حزين : سيدي المارشال .. هل تعتقد حقيقة انه ليست هناك اية امكانية في وقف الهجوم الروسي ؟

رهان لم يتحقق

ويقول الكتاب ان افادات اوتو غوينش تدل على ان هتلر ظل حتى النهاية يراهن على امكانية احداث انشقاق في صفوف الحلفاء ، وانه لم يسقط من حسابه امكانية مفاوضة الغربيين للوقوف بوجه الشرقيين . ويذكر غوينش ان هتلر عام ١٩٣٧ بعد مقابلته للورد هاليفاكس الذي اصبح وزيرا لخارجية بريطانيا عام ١٩٣٨ ، كان بادي الانشراح ومسرورا من

هذه المقابلة ، وعلق عليها بكثير من الارتياح قائلا : لقد كنت دائما اقول ان الانكليز سيركبون مركبي ، فهم في سياستهم يسرون على نفس الخطوط التي اسير عليها وهي الضرورة الملحة في اجتثاث البلشفية .

شروط الانكليز

ويقول غوينش في افاداته ان هذه الفكرة عاودت هتلر في ايلول عام ١٩٤٤ بحيث بات يتحدث علنا عن التوتر بين الغربيين والسوفييات وان المسألة هي مسألة وقت . وبات في ذلك الوقت مقتنعا ان الانكلو - اميركيين سيكونون على استعداد لتوقيع صلح منفصل مع المانيا . ولكن الانكليز طالبوا برأس هتلر ثمنا لذلك ، اذ انهم في المفاوضات التي جرت سرا بينهم وبين ممثلي الخارجية الالمانية في ستوكهولم طالبوا بان يستقيل هتلر قبل عقد مثل هذه المحادثة . ولما علم هتلر بهذا الشرط قطع المفاوضات .

ويؤكد مرافق هتلر في افاداته ان السفير هيويل الذي اوفده ريبنتروب لمفاوضة الانكليز ابلغه عدم رضاه من قطع المفاوضات قائلا ان الحرب على الجبهة الشرقية تسير سيرا سيئا بحيث انه لم يعد هناك مفر من عقد صلح مع القوات الغربية ، وتسائل : ماذا ينتظر الفوهرر ليفعل ذلك . عليه ان يتخذ قرارا ليخرج من هذا المازق .

انتظار المفاجأة

وكان هتلر يعتقد ان المخرج هو الصدام بين القوى الغربية والاتحاد السوفيياتي ، وكثيرا ما كان يردد في اعقاب الاجتماعات العسكرية مخاطبا الضباط « ايها السادة سوف ترون انني على حق .

وحسب الافادات التي ادلى بها مرافقه لدى استجوابه من قبل المخابرات السوفيياتية ، ان هتلر خطط معركة البيلج في نهاية عام ١٩٤٤ لاستدراج الغربيين نحو صلح منفصل . وقد اجهضت الخطة لكن هتلر لم يسقط هذه الفكرة من حسابه ابدا حتى عندما كان الجنود السوفييات يدقون ابواب برلين .

ويقول غوينش ان هتلر استحوذت عليه هذه الفكرة في الايام الاخيرة بشكل عنيف اذ كان يقول : لو انني اهزم الروس هنا واحتفظ ببرلين فقط فهناك امل في ان يقتنع الانكليز والاميركيون بان هناك املا في مواجهة الخطر السوفيياتي بالاشتراك مع المانيا النازية .

موت هتلر

ويروي الكتاب اشياء مثيرة عن الفترة التي تلت الاحتلال السوفييتي لبرلين والاهتمام بمعرفة مصير هتلر وغيره من زعماء المانيا النازية ، واستجواب العشرات من الناس الذين كانوا على صلة او اخرى بهم . فعندما كان ضباط المخابرات السوفياتية يفتشون حديقة المستشارية في اليوم الثاني من ايار دون ان يعرفوا ما يمكن ان يعثروا عليه فيها ، كانت قيادة القوات السوفياتية قد تلقت عددا من الافادات تؤكد موت هتلر .

رسالة ستالين

وجاءت الشهادة الرسمية الالمانية في رسالة وجهها غوبلز وبورمان الى ستالين . ويقول بزيمنسكي كاتب هذا الفصل :

لقد امسكت هذه الرسالة بيدي . ولما كنت ضابط اركان استدعيت باكرا صباح اول ايار للاجتماع بالمارشال جوكوف . ولما قابلته سلمني مجموعة من الاوراق مطبوعة باحرف كبيرة غير مألوفة . وعلمنا فيما بعد ان هذه الاوراق طبعت على الآلة الكاتبة الخاصة بهتلر لانه كان يشكو من ضعف في نظره ويرفض ان يضع نظارة على عينيه ، فكانت جميع الوثائق تطبع باحرف كبيرة ليتمكن من قراءتها . وقد طبعت رسالة غوبلز وبورمان الى ستالين على نفس هذه الآلة .

ويضيف قائلا : واخذت اترجم للمارشال جوكوف محتويات هذه الاوراق من الالمانية الى الروسية فورا وكان يصفي بانتباه الى كل كلمة ويسأل ويستوضح اذا لم يفهم عبارة من العبارات . وفي هذه الرسالة ورد نبأ موت هتلر ، وكانت تنقل جملة اثر جملة الى موسكو هاتفيا حيث ابلغ ستالين بمحتوياتها فورا .

وقال : وابلغني ضباط اركان الجيش ان الرسالة سلمت ليلا بصورة شخصية من قبل الجنرال هانس كرييس رئيس اركان الجيش الالمانسي بالوكالة .

وقد انتحر كرييس في ملجأ هتلر قبل ان يجتاحه الروس وقد شرح الاطباء السوفييات جثته . وكان يجيد اللغة الروسية وهو معروف جيدا من قبل كبار الضباط السوفييات لانه كان ملحقا عسكريا في موسكو . وفهم من مضمون هذه الرسالة الموجهة لستالين ان هتلر قد انتحر .

عمليات التفتيش

وفي الوم التالي القي القبض على اوتو غويش . ولما كان قد القي القبض عليه في ضواحي المدينة ، فان افادته حول موت هتلر عرفت فيما بعد ، اذ كان قد القي القبض على كثيرين غيره وتم استجوابهم قبله نظرا لانه قبض عليهم بجوار مبنى المستشارية . ولكن هذه الافادات كانت غامضة . ومن بين الذين القي القبض عليهم رجل يدعى منجرز هاوزن كان شاهد عيان لعملية احراق جثة هتلر وعشيقتة ايغا براون التي تزوجها قبل ان يموت

وكانت لدى المخابرات السوفياتية اوامر صريحة بالبحث عن هتلر فورا ، وكان يقود هذه العملية الكولونيل ايفان كليمنكو .

ووصل كليمنكو الى المستشارية بسيارة جيب ومعه ثلاثة ضباط وشاحنة تحمل خمسة جنود واربعة شهود المان .

جثة غوبلز

ويقول كليمنكو : وصلنا الى دار المستشارية بعد الظهر وكان الطقس ممطرا فنزلنا في الحديقة عند باب الطوارئ المؤدي الى ملجأ الفوهرر . . ولما اقتربنا من المدخل صرخ احد الالمان الذين حملتهم معي قائلا : « هذه جثة غوبلز وهذه جثة زوجته » .

ويضيف قائلا : فقررت ان اخذ الجثتين معي . ولما لم يكن لدينا حمالة فقد حملناها على باب خشبي الى الشاحنة ومنها الى سجن بلوتزنسي حيث تعسكر وحدتي . وفي اليوم التالي ، اي يوم ٣ ايار عثرنا على جثث اولاد غوبلز الستة وعلى جثة الجنرال هانس كرييس فنقلناهم جميعا الى السجن . ثم بدأت اجراءات التعرف على الجثث . وقد حدث ذلك على الوجه التالي : مددت جثة غوبلز على طاولة والجثث الباقية على الارض ، وكان الشهود في الخارج ، واخذنا ندخلهم واحدا واحدا للتعرف عليها . وكان اول من ادخلناه نائب الاميرال فوس ممثل الاميرال دونيتز لدى مقر هتلر الذي اسره جنود الصاعقة السوفياتية . وتعرف فوس على جثة غوبلز واولاده دون تردد وكذلك فعل الشهود الآخرون . فتأكدنا من موت غوبلز دون اي شك . ومنعنا لاي شك تعرف على الجثث اكثر من عشرين شاهدا .

البحث عن هتلمر

ويقول كليمنكو: وكان من الطبيعي ان نسأل فوس عن مكان هتلر ، فلم يعطنا جوابا واضحا ولكنه ابلغنا انه هو شخصيا غادر برلين مع مرافق هتلر الذي اخبره ان هتلر قد انتحر وان جثته احرقت في حديقة المستشارية . وبعد عمليات الاستجواب في السجن قررت ان اعود الى مبنى المستشارية للبحث عن اثباتات حسية .

ويضيف قائلاً : وصلت الى المستشارية ومعني قوس واحد ضبط
المخابرات السوفياتية ومترجم .. وهناك نزلنا الى ملجأ هتلر وكان مظلماً .
فاستعملنا مصابيح كهربائية ، وكان تصرف قوس غريباً اذ بدا عصيباً يتمتم



الطائرات فوق السفن في البحار

۲۲۲

اشياء غير مفهومة . ومن هناك صعدنا الى الحديقة الى مكان غير بعيد من باب الطوارئ . وكانت الساعة قد قاربت التاسعة مساء ، فتوجهنا الى خزان ماء فارغ يستعمل لمكافحة الحريق فوجدناه مليئا بالجثث فاشار الى احدها وقال : هذه جثة هتلر . وبعد ان تفحص الجثة بشيء من الدقة عاد واطهر شكوكه قائلا : لا . لا . لا . لا . لا . استطع ان اؤكد انها جثة هتلر . وبصراحة اقول انني انا ايضا لم اصدق انها جثة هتلر من مظهر جوارب صاحب الجثة! ولما كان الوقت متأخرا صرفنا النظر عن المزيد من البحث تلك الليلة واصدرت اوامري بالتفتيش بين السجناء عن كل رجل يعرف هتلر شخصا ويمكن ان يساعدنا في التعرف اليه .

خطاً رھیب

« وفي اليوم التالي ، في الرابع من ايار ، بدأ البحث عمن شهدوا بين المساجين منذ الصباح الباكر . وفي الساعة الخادية عشرة عدت الى حديقة المستشارية مع ستة من هؤلاء الشهود وتوجهنا الى الخزان لنجد ان الجثة التي كشفنا عليها في الليلة السابقة قد اختفت . ولكننا عدنا فعثرنا عليها في احدى قاعات الملجأ ، وقد نفى خمسة من هؤلاء الشهود ان تكون هذه جثة هتلر ، وواحد فقط قال انه ربما كانت هي جثة هتلر . »

يساعد على التعرف على هتلر ، وكان ذلك حوالي الظهر . ولمح احد جنودي ويدعى ايفان تشوراكوف فجوة احدثتها قنبلة في الحديقة فسلق اليهسا وكانت مليئة بالاوراق المحروقة وناداني قائلاً: هناك ارجل بشرية . وبدانا نتنشل هذه الجثث وكانت متفحمة ، فقمنا فقط على جثة رجل وجثة امرأة . ولم يخطر ببالي ابدا ان هذه هي جثة هتلر وجثة عشيقته لانني كنت اعتقد ان جثة هتلر هي بين الجثث داخل المستشارية بانتظار مبن يتعرف اليها . فامرنا ان تلف الجثتان بالبطانيات وان يعاد دفنهما . وظلت عمليات التعرف قائمة داخل المستشارية .

العشور على الفوهرر

ويقول الكتاب : ولم يكن احد من ضباطنا (الضباط السوفيات) قد وقع نظره على هتار من قبل ، ولكن بانتظار توقيع معاهدة الاستسلام وصل

عدد من الدبلوماسيين السوفييات السى برلين قد تكون افاداتهم جازمة وموثوقة . ويذكر كليمنكو انه شاهد في المستشارية مجموعة من الضباط يحيطون باحد الدبلوماسيين الذي ابلغهم ان الجثة التي يفتشونها ليست جثة هتلر وانه بإمكانهم دفنها . واستمر البحث عن هتلر .

هذا الحادث جعل كليمنكو يعيد النظر بأمر اكتشاف الجندي تشوراكوف ، لذلك عاد الى المستشارية صباح يوم الخامس من ايار لنبحث الجثتين من جديد . وهكذا حدث . وفي حفرة أخرى تم العثور على جثتي كلبين احدهما الزاسي هما بكل تأكيد كلبا هتلر .

وفي هذه الاثناء بقي القبض على هاري منجرز هاوزن الذي اتينا على ذكره من قبل وهو من رجال الفستابو ، وتبين من استجوابه انه كان من حرس هتلر الخاص وشاهد عيان لعملية احراق ودفن جثة الفوهرر . فاقنيد هذا الرجل الى دار المستشارية ، ليسدل كليمنكو على مكان وجود جثة هتلر ، فأخذه الى نفس الحفرة التي عثر فيها على الجثتين والتي كان قد اكتشفهما الجندي تشوراكوف .

وبذلك تأكد موت هتلر وانتهت مهمة الضابط كليمنكو وحدثه في الثالث عشر من شهر ايار .

ويقول الكتاب الذي يتضمن الاسرار السوفياتية :

بعد التفتيش الدقيق في دار المستشارية الذي أجرته القوات السوفياتية والذي تم خلاله العثور على جثتي هتلر وعشيقتة أيفا براون ، كان هناك سؤالان رئيسيان في ذهن المخابرات السوفياتية لا بد من إيجاد اجوبة قاطعة لهما : هل الجثتان هما فعلا جثتا هتلر وعشيقتة ، وما هو سبب الوفاة .

وجرى التأكد من هوية الجثتين بصورة قاطعة من افادة احد افراد الحرس الشخصي لهتلر ويدعى هاري منجرز هاوزن الذي جاء ذكره قبلا . . . والذي شهد انتحار هتلر وحرقه ودفنه . . . فقد دل هذا الرجل المخابرات السوفياتية على المكان الذي دفن فيه هتلر بعد حرق جثته وهو نفس المكان الذي عثر فيه على الجثتين .

حقيقة الانتحار

يقول الشاهد منجرز هاوزن انه كان يقوم بدوره في الحراسة في الممر بين مكتب هتلر و « غرفة الطعام الزرقاء » المسماة « قاعة السيراميك » في

دار المستشارية الجديدة عند اقرب مكان من باب الخروج من الملجأ الى الحديقة . وفي هذه الاثناء خرج مرافق هتلر الخاص غوينش وخادمه لينج وهما يحملان جثتي هتلر وعشيقتة ، مما اثار حفيظة الحارس فوقف يشاهد ما يجري على بعد حوالي ٦٠ مترا فقط .

وعند الباب صب غوينش البنزين على الجثتين واشعل فيهما النار ، وبعد نصف ساعة نقلهما الى حفرة على بعد متر واحد فقط ودفنهما بعد ان اكلتهما النيران . كان ذلك في آخر يوم من شهر نيسان ١٩٤٥ .



هجوم خاطف في لحظة النصر

وقد روى الشاهد ما رآه بأم عينه في اليوم السابق عندما أمر هتلر بتسميم كلبه . وقد تأكدت هذه الشهادة أيضا بشكل لا يقبل الجدل .
استدعاء الأطباء

ويقول الدكتور شكارافسكي كبير خبراء الطب الشرعي في الجيش السوفياتي الأول أنه استدعي في أول أيار عام ١٩٤٥ إلى رئاسة الخدمات الطبية للجيش في الجبهة حيث أبلغ أن الجنرال تيلجن عضو المجلس العسكري طلب تقريراً طبياً شرعياً في مسألة مهمة . فانتقل الطبيب فوراً إلى ضاحية بوش في برلين إلى مقر قوات الصاعقة السوفياتية .

ويقول الجنرال تيلجن : لقد أصدرت هذا الأمر بعد أن استدعيت للتحديث على التلفون مع موسكو ، وطلب مني أن أحصل على آراء الخبراء في جثث الزعماء النازيين الذين يتم العثور عليهم ومن بينهم جثة غوبلز التي عثر عليها قبل ذلك أي في الثاني من أيار . وفي هذه الأثناء لم تكن قد تأكدنا من أنه تم العثور على جثة هتلر . ولكن الأمر من موسكو كان صريحاً ويطلب معلومات عن كل شيء نعث عليه .

اللجنة الطبية

ويقول رئيس اللجنة الطبية الدكتور شكارافسكي : في الخامس من أيار وصلت إلى ضاحية بوش حيث ادخلت إلى بيت صغير تحت الحراسة ، فوجدت على أرض إحدى الغرف تسع جثث هي جثث غوبلز وزوجته وأولاده الستة وجثة الجنرال كريبس الذي انتحر في ملجأ الفوهرر . أما الجثتان الأخريان فقد أحضرتا في وقت لاحق . وهنا انضم إلينا عدد من الأطباء الخبراء وبينهم البروفسور كريافسكي .

والبروفسور كريافسكي هو أكبر الخبراء السوفيات في علم التشريح ، وكان أثناء الحرب كبير أطباء التشريح على الجبهة الروسية الأولى ثم أصبح في نهاية الحرب كبير أطباء التشريح في الجيش الأحمر كله . وبهذه الصفة انتقل إلى برلين لينضم إلى لجنة الخبراء برئاسة الدكتور شكارافسكي .

وقد أجرى واضح الكتاب ليف بريمافسكي الذي كان ضابطاً في هيئة أركان المارشال جوكوف الذي قاد الهجوم على برلين ، حديثاً مع البروفسور كريافسكي ، هذا نصه :

— أين جرى التشريح ؟

● كان مقرنا في مستشفى ميدان للجراحة في أحد مستشفيات ضاحية بوش . أما التشريح فقد جرى في المشرحة لأن جميع الأدوات اللازمة كانت متوفرة هناك والأحوال فيها طبيعية .

— من كان حاضراً عملية التشريح ؟
● لجنتنا التي تضم عدة أطباء والبروفسور الكبير غراشينكوف أحد



هتلر وغوبلز

أكبر أطباء موسكو في هذا العصر الذي صادف وجوده في برلين في ذلك الوقت .

— هل كنت تعرف من هم أصحاب الجثث التي جرى عليها التشريح ؟

● بالنسبة لغوبلز وعائلته والجنرال كريبس كنا نعرف ذلك أما الجثتان الباقيتان فلم تكن لدينا معلومات كافية ولكن كان هناك قول بأنهما هتلر وعشيقتة .

— متى جرى تشريح الجثتين ؟

● في الثامن من أيار .

رائحة اللوز المر

ويقع تقرير الدكتور شكارافسكي في ٥٠ صفحة تروي تفاصيل عمليات التشريح . ويقول التقرير أن أسهل عملية تشريح كانت بالنسبة لاطفال غوبلز الستة لأن جثثهم لم تأكلها النيران وكذلك جثة الجنرال كريبس . وعندما شق صدر الجنرال وصدور الأولاد الستة ظهرت رائحة كريهة اللوز المر . وعندما أجري التحليل المخبري على الأحشاء الداخلية لهذه الجثث تبين وجود آثار لمركبات السيانيد السامة في كل حالة من هذه الحالات .

وهذا التقرير الطبي الذي يكشف النقاب عنه لأول مرة يدحض الأقوال الشائعة في كتب التاريخ القريبة من أن الجنرال كريبس وهو آخر رئيس أركان لجيش الميدان الهتلري، مات ميتة جندي بإطلاق الرصاص على نفسه . ويقول التقرير حرفيا : « سبب الوفاة التسمم بمركبات السيانيد » . ويدحض التقرير كذلك الكتابات القريبة عن موت غوبلز وزوجته ماجدا .

تشريح هتلر

كانت جثة هتلر قد شوهتها النيران ولكن وجد عليها قطعة من سترة صوفية لم تصل إليها النيران طولها ٢٥ سنتيمترا وعرضها ٨ سنتيمترات أكلتها النيران على أطرافها . ولما كانت الجثة مشوهة من آثار الحريق فلم يكن بالإمكان وصف ملامح صاحبها ، غير أن التقرير يؤكد الحقائق التالية عنها :

١ — الطول حوالي ١٦٥ سنتيمترا .

٢ — العمر على أساس النمو العام وحجم الأعضاء يتراوح بين ٥٠ سنة و ٦٠ سنة .

٣ — لم يعثر على الخصية اليسرى .

٤ — أهم ما أمكن العثور عليه تشريحا للتحقق من هوية صاحب الجثة، أسنانه المليئة بالجسور وبينها أسنان اصطناعية وتيجان وحشوات .

أما عن سبب الوفاة فيقول التقرير : كان الجسم مشوها نظرا لأن النيران أمت عليه كله تقريبا ، ولكنه لم يعثر على أثر لجروح قاتلة أو لأي مرض عضوي . وقد اكتشف وجود بقايا زجاج أنبوب محطم فسي تجويف الفم ، وظهرت رائحة اللوز المر عند التشريح كما حدث فسي حالة الجثث الأخرى . ولدى إجراء الفحص المخبري تبين أن سبب الوفاة هو التسمم بمركبات السيانيد أيضا .

دور الطالب البلغاري

قبل أن يروي الكاتب تفاصيل الخطوات التي أدت إلى التأكد من هوية هتلر ، ذكر أن بعض الروايات المتداولة في الغرب والتي نشرت بعضها صحيفة « شترن » الألمانية الغربية مؤخرا ، أتت على ذكر طبيب بلغاري هو الدكتور أرنودوف الذي نقلت الصحيفة على لسانه رواية يتحدث فيها بالتفصيل عن الدور الكبير الذي زعم أنه لعبه للتعرف على هتلر .

ويقول الكاتب : لما اطلعت الأطباء السوفييات الذين قاموا بالتشريح على ما جاء في الصحيفة الألمانية سخرُوا منها ، ولكنهم أكدوا وجود طالب بلغاري قابلوهُ في التاسع من أيار عام ١٩٤٥ في مستشفى المواساة ببرلين عندما كانوا يحاولون البحث عن طبيب أسنان هتلر البروفسور بلاشك ، فعرض عليهم الطالب البلغاري أن يدلهم على عيادة الطبيب ، لأن العثور على مكان ما في برلين في تلك الأيام العسيرة لم يكن بالشيء السهل أبدا . وقد قادهم الطالب البلغاري الذي يحمل الآن الجنسية الألمانية الغربية ، وسط الشوارع المليئة بالانتقاض والدمار إلى عيادة البروفسور بلاشك ولم تكن قد أصابها القنابل فبقيت سالمة ، إلا أنه لم يعثر على البروفسور نفسه لأنه كان قد هرب إلى ميونيخ . وهنا انتهت مهمة البلغاري وبقية حديثه لمجلة « شترن » عار عن الصحة تماما .

اسنان الفوهرر

ويروي فاسيلي غرهوشين وهو ضابط مخبرات سوفياتي قـد عملية البحث عن اطباء اسنان هنر التفاصيل التالية بقوله : في صباح التاسع من ايار قمت بالبحث عن اطباء اسنان هنر ، فسقطتني في عبدة البروفسور



من صور الحرب

بلاشك طبيب يدعى الدكتور بروك . وعندما علم بروك انني فسي مهمة بالفة الاهمية بامر من قيادة الجيش السوفياتي ابلغني ان البروفسور ليس موجودا في بيته وسألني ما اذا كانت مساعده الانسة كاتي هوزرمان قد تكون ذات فائدة ، فطلبت حضورها للاستجواب فقام الطالب البلغاري باحضارها .

ويضيف قائلا : وطلبت من كاتي ان تحضر لي التاريخ الطبي لاسنان الفوهرر فقامت الى الملفات واجرت عليها تفتيشا سريعا ثم سحبت بطاقة يتبين منها ان اسنان الفوهرر لم تكن على ما يرام وكانت بحاجة دائمة الى العناية .

ويقول ايضا : وكنا بحاجة كذلك الى صور الاشعة لاسنان هنر ، ولكن هذه الصور لم تكن في العيادة ولما سألت عن المكان الذي يمكن ان تكون فيه هذه الصور اجابت كاتي بانها يجب ان تكون موجودة في مكتب البروفسور بلاشك في دار المستشارية نفسها . ولم نضيع لحظة من وقتنا ، اذ توجهنا الى المستشارية ومعنا كاتي ، فنزلنا الى الطابق الارضي حيث مكتب البروفسور بلاشك وبمساعدة كاتي عثرنا على الصور حالا وعلى عدد من الاسنان الذهبية الجديدة التي كانت قد حضرت للفوهرر ولكن الوقت داهم الطبيب والمريض وحال دون استعمالها فبقيت حيث هي .

صانع الاسنان

ويضيف الضابط السوفياتي قائلا : وابلغني كاتي ان الرجل الذي كان يضع الجسور الذهبية لاسنان هنر يدعى فريتز ايختمان ، وانها تعرف عنوانه . وقد ذهبنا اليه فوجدناه في بيته . وشرحت له الغاية من زيارتي وطلبت منه ان يأتي معنا فابدى استعدادا طيبا للمساعدة .

ويقول : وقمت باستجواب كاتي وايختمان كل على حدة يعاونني المايجور بيستروف الذي يجيد اللغة الالمانية . وجوابا على اسئلتي وصف كل منهما بوحى الذاكرة التفاصيل الدقيقة لاسنان هنر . وكانت معلوماتهم عن الاسنان والجسور والتيجان والحشوات مطابقة تماما للمعلومات الواردة في البطاقة التي تحمل التاريخ الطبي لاسنان هنر ولصور الاشعة . وبعد ذلك طلبت منهما ان يتعرفا على عظم الفك الذي انتزعناه من جثة الرجل الذي نريد التأكد من هويته ، فاجابا على الفور ودون تردد بان صاحبه هو ادولف هنر . وبعد استجواب دقيق آخر عرضنا عليهما اسنان المرأة فاطنا دون تردد او شك انها تعود الى عشيقه هنر ايفان براون .

ويمضي الضابط في روايته فيقول : وقد عرضنا كسل هذه الدقائق والافادات والتفاصيل على اللجنة الطبية التي اصدرت حكما قاطعا لا يقبل الشك بأن هذه الاسنان هي اسنان أدولف هتلر .

النقص الجسدي

ويقول مؤلف الكتاب انه عندما قابِل البروفسور كريافسكي مؤخرًا للتحديث معه عن معلوماته التي يتذكرها بعد هذا الوقت الطويل ، أجابه الطبيب قائلا : لا زلت اذكر رائحة اللوز المر التي يعرف اطباء التشريح فورًا انها تدل دون اي شك على التسمم بمركبات السيانيد .

ويقول المؤلف : وذكرت الطبيب بما جاء في التقرير عن تشريح جثة هتلر وعن الخصية المفقودة فأجاب انها ظاهرة طبية يعرفها الاطباء باسم « مونوركيزم » وهي عادة تكون طبيعية أي منذ الولادة وانها لا تمنع المصاب بها من اقامة علاقات جنسية طبيعية . وسألته ما اذا كانت هذه الظاهرة نتيجة مرض لانه يقال ان هتلر قائد الفستابو ابلغ مدلكه الدكتور كرستن ان هتلر اصيب بمرض السيفلس في شبابه ، فأجاب البروفسور كريافسكي انه لا علاقة بين السيفلس وهذه الظاهرة .

ويقول المؤلف ايضا : ان هذا النقص الجسدي لدى هتلر لم يذكره احد على ما اذكر في كل الكتابات التي ظهرت عن تاريخ حياة هتلر . ولكن البروفسور هانس كارل فون هاسلباخ طبيب هتلر الخاص يذكر ان الفوهرر كان يرفض دائما اجراء كشف طبي شامل عليه . والتفسير لهذا الرفض هو انه لا يريد ان يظهر عورته هذه للآخرين .

وبعد ان تم التأكد بان صاحب الجثة هو أدولف هتلر اثر تحقيقات ودراسات مضنية ، ابلقت موسكو بكل هذه التفاصيل والمعلومات ، فامرت باحراق الجثث جيدا فتم ذلك واذري رمادها في الهواء .

ومنذ عام ١٩٤٥ وهذه المعلومات نائمة في ادراج الكرملين بعد ان اعتبرتها القيادة العليا للدولة والجيش انها نهائية .

وكنتم ستالين كل هذه الحقائق تاركا للفريبيين مشقة البحث والتكهن دون جدوى . . ولكن احدا لا يعرف لماذا اثر ستالين الصمت .

محاكمة مجرمي الحرب الالمان

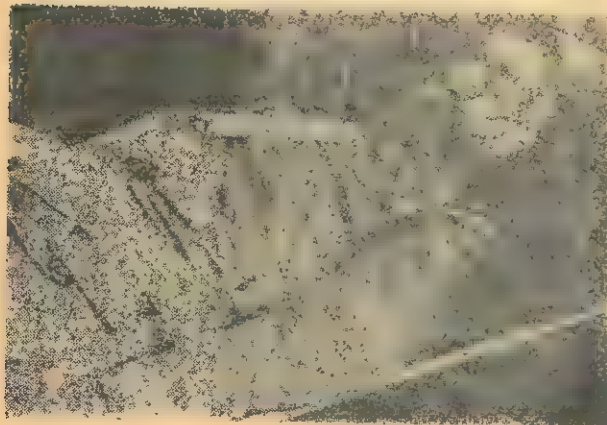
متى يحاكم المجرمون الجدد في فيتنام وفلسطين

قرر الحلفاء بعد انتصارهم محاكمة الجنرالات الالمان بحجة التعاون او المشاركة في قتل عدد كبير من المدنيين اكرهم من اليهود الذين اعلنوا انهم قتلوا ستة ملايين فير أثناء الحرب العالمية الثانية .

— وفحص على كبار رعايا المانيا الشرقية . .

— وارسموا للمحاكمة . .

— وحكم عليهم بالامدام . . واعدموا كما تشاهد في الصور التي تلي :



— المارشال كايتل : لانه

قرر ابيادة سكان الشرق .



- المارشال جودل: لانه امر
باعداد اسرى الحلفاء .



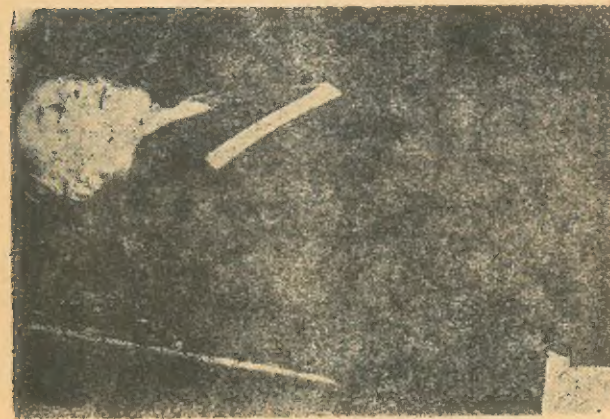
- كالتنبرونر : دفع ثمن
جرائم الفستابو .



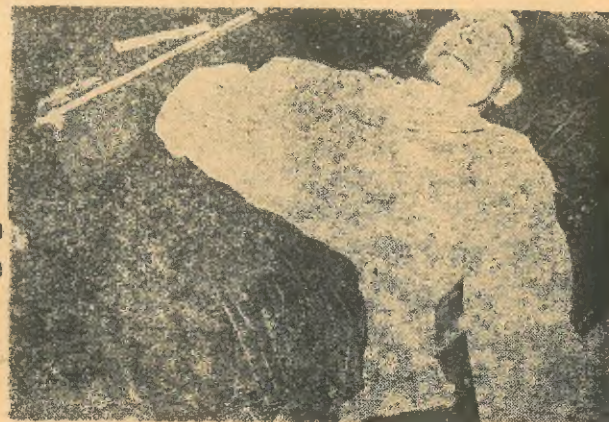
- شترايشر : كان يرسل
الاسرى الى معتقل تريبلنكا
واوشفيتش .



- فرانك : كان يريسه
استئصال شافة البولونيين
واليهود .



- فون ريبنتروب : « لقد
فشلنا في كل شيء » كانت
جملة الاخيرة .



- المارشال غوبنغ : لانه
اطلق الصواريخ عابرة
القارات على لندن



فائد الماني اعدم لانه كان مسئولاً عن قتل المدنيين

ارهابي لا اسم له ...

مصير زعماء الرايخ الثالث في اقبية عدالة نورمبرغ

ايار ١٩٤٥ : هزمت جيوش الحلفاء قوات الرايخ الثالث وجرت محاكمة زعمائه في نورمبرغ .
في قفص الاتهام واحد وعشرون زعيماً نازياً متهمون بارتكاب جرائم :
التآمر ، جرائم ضد السلام ، جرائم حرب ، جرائم ضد الإنسانية .
تم تنفيذ حكم الاعدام في ليلة ١٥ الى ١٦ تشرين الاول وقد منعت المحكمة نشر صور المدوميين .

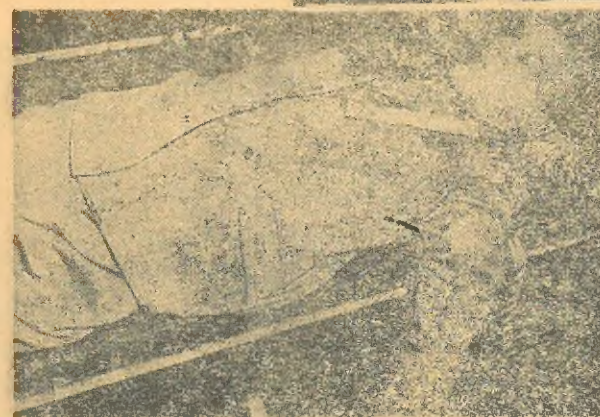
ولكن الالمان ليسوا وحدهم الذين اعدموا وقتلوا آلاف المدنيين من غير المحاربين ..
ان الاميركيين يفعلون مثل هذا في فيتنام ..
كما فعلوه قبلاً في كوريا .. وقبل في هورشيما يوم قذفوا مدينة هوروشيما بقتيلة ذرية ..
وكذلك تفعل اسرائيل الصهيونية اليوم مثل هدامع العرب في فلسطين ..
فمضى يحاكم هؤلاء القتلة كما حوكم القادة الالمان ؟؟
بالتأكيد ستدفع اسرائيل الثمن قريباً ..
وستدفعه ...



دو زانبرغ : لانه انشا
القومندس الارهابي .



- فريك : لانه كان يوقع
احكام الاعدام .



- سايس - انكار : لانه
تخيل الطابور الخامس .

فهرست

الفصل	صفحة	كلمة المؤلف
	٥	القسم الاول
١	٧	اسباب الحرب العالمية الثانية
٢	١٩	هتلر وسياسته العسكرية
٣	٢٤	فشل اتفاقية مونيخ
٤	٣٠	الحرب العالمية الثانية
٥	٣٩	معركة بريطانيا والهجوم على روسيا
٦	٤٩	دخول الولايات المتحدة واليابان الحرب
٧	٥٨	الحلفاء يبدأون هجومهم
		القسم الثاني
	٧٣	المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية
١	٧٤	الهجوم على بولونيا
٢	٨٦	الهدوء يسود أوروبا بعد معركة بولونيا
٣	٩٩	المعارك في السماء والارض
٤	١١٦	انسحاب دنكرك هذه الانكليز نصرا عظيما ..
٥	١٢٧	اشهر المعارك البحرية في الحرب العالمية الثانية
٦	١٤٢	الحرب في الصحراء ورومل
٧ - ٨	١٦٠	يوم العار في اميركا
٩	١٧٠	معركة روسيا والزحف على ليننغراد
١٠	١٨١	معركة ستالينغراد
١١	١٨٩	الزحف على موسكو
١٢	١٩٨	الهجوم الألماني على روسيا
١٣	٢٠٩	معركة كورسك الهائلة
١٤	٢١٧	الايام الاخيرة للنازية
١٥	٢٢٦	نهاية هتلر
١٦	٢٤٣	محاكمة مجرمي الحرب الالمان

الحرب العالمية الثانية

١٩٣٩ - ١٩٤٥

قصة الحرب المرعبة المثيرة في كتاب واحد .. تقدم لك في القسم الاول منه تاريخ الحرب وتطوراتها حتى نهايتها .
ونقدم لك اهم معاركها الحاسمة في القسم الثاني ، فتقرأ معركة بولونيا ومعركة فرنسا وغزو النرويج ، وبلجيكا وهولندا ، والدنمارك ، وستالينغراد ولينغراد ، وشمال افريقيا ، ثم الى الحرب مع اليابان ، وكيف تجاذب النصر الفريقان ، فتارة كان بجانب اليابانيين واخيراً ظفر به الاميركيون ..
وكذلك ستقرأ في هذا الكتاب معارك البحر ، وكيف تصادمت السفن القوية فوق المحيطات ، بصورة لم يسبق لها قبل في العالم ..

قصة الحرب العامة الثانية في كتاب واحد مشتقة من اوثق المصادر ، واصدق الرواة ، ومزينة بالصور الفريدة والخرائط العسكرية ..

تطلب مطبوعاتنا في العراق الشقيق من وكيلنا :

السيد عواد عبد الكاظم

مكتبة دار الثقافة العربية

شارع المتنبي - سوق السراي - بغداد